

معهد الدراسات الإسلامية

شعبة الدراسات الاجتماعية

---

الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية  
في الدولة الأموية  
في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز

يحيى

أحمد فهمي عبدالقادر

---

مقدم إلى معهد الدراسات الإسلامية  
لتأهيل درجة الماجستير  
بإشراف الأستاذ الدكتور / علي حسني الخربوطلي



١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

٢٧٨٣

١	مقدمة البحث .....
---	-------------------

## الباب الاول

### العوامل المؤثرة في قيام عمر بن عبد العزيز بالاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية

١٤	١- ظروف النشأة والتربية .....
٣٥	٢- العوامل النفسية .....
٥٤	٣- الثورات والحركات المعارضة .....
٦٤	٤- مشكلة الموالي .....
٧٣	٥- فساد الجهاز الحكومي .....

## الباب الثاني

### الاصلاحات الاجتماعية

٨٤	١- أسس الاصلاح الاجتماعي .....
١٠٣	٢- القديوات الاجتماعية .....
١٢٠	٣- العدالة الاجتماعية .....
١٢٨	٤- السلام الاجتماعي .....
١٤٧	٥- الضمان الاجتماعي والرعاية الاجتماعية .....
١٥٩	٦- أهل الذمة في المجتمع الاسلامي .....

## الباب الثالث

### الاصلاحات الاقتصادية

- ١- الحرص على المال العام ..... ١٧٧
- ٢- سياسة التقشف الاقتصادي ..... ١٨٨
- ٣- عدالة الضرائب والنظم المالية ، وحرية التجارة ..... ١٩٦
- ٤- نظم الخراج وملكية الاراضى ..... ٢١٠
- المصادر والمراجع ..... ٢٢١

XXXXXXXXXXXX

"بسم الله الرحمن الرحيم"

### مقدمة البحث

اخترت ( الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية في الدولة الاموية في عصر الخليفة  
عمر بن عبد العزيز ) موضوعا لبحثي للماجستير ، وقد دفعتني الى اختيار هذا الموضوع  
عدة عوامل . فقد تطرق المستشرقون الى دراسة اصلاحات عمر ، وربما كان اهتمامهم أكثر  
من اهتمام المؤرخين المسلمين . ولكنهم اتبعوا المنهج العلماني ، وفسروا اصلاحات عمر تفسيراً  
مادياً ، وأغفلوا الاسس الدينية والانسانية . وكانت مقاييس المستشرقين في تقييم اصلاحات  
عمر ، هي مقاييس مادية تابعة من القرنين التاسع عشر والعشرين ، فلم يعيشوا بتقولهم  
وأقلامهم في عصر عمر ، ولم يفتنوا الى الدوافع الحقيقية لاصلاحات عمر ، ولا الى النتائج  
الحقيقية التي ترتبت على هذه الاصلاحات .

اما المؤرخون المسلمون ، فقد طغت الجوانب الدينية في دراساتهم عن اصلاحات  
عمر الاجتماعية والاقتصادية ، على الجوانب التاريخية فأبرزوا صورة عمر الخليفة الزاهد ، خامس  
الراشدين ، وأبدوا إعجابهم بزهده وتقشفه . وكانت مقاييسهم مستمدة من عصور الخلفاء  
الراشدين ، ولذا كان حكمهم على سائر الخلفاء الامويين قاسياً ، وبالفاء فيه . وليس هناك  
شيء هو خير كله ، أو هو شر مطلق . ولا نستطيع ان نقول ان عمر بن عبد العزيز قد  
وصل الى الكمال التام ، كما صورته معظم المؤرخين ، القدامى والمحدثين .

وكان هدفنا البحث عن الحقيقة التاريخية ، البعيدة عن الغلو والبهالة ، ولكننا  
وجدنا مصادرنا التاريخية القديمة حافلة بالروايات المتعددة ، بعضها يخضع للمنطق  
ومقاييس العقل ، والبعض الآخر من الروايات أصبحت مجرد أساطير ، لا يرضى عنها عمر بن عبد العزيز



نفسه عنها ، وان كانت ترضى مشاعر العامة في كل عصر ، فقد نسبت روايات المؤرخين  
الاقدمين الى عمر كرامات ومعجزات وخوارق ، فتحدث عن تيسير الخضر له بالخلافة ،  
ورثاء الجن له ، ونزول رق من السماء ساعة الوفاة به تيسير بالجنة ، وتحول الذئاب  
الى كلاب مستأنسة ، وغير ذلك من الروايات التي لا يمكن لمؤرخ محدث ان يأخذ  
بها .

وان كانت اصلاحات عمر قامت على أسس دينية ، ونهضت من روح الاسلام وتعاليمه  
وأحكامه ، الا أن هذه الاصلاحات اتجهت ايضا اتجاهات حضارية ، فكان الهدف منها رضا  
الله تعالى ، ورضا الرعية ، وتقديم حضارة الامة الاسلامية . وقد اجتهد عمر في كثير  
من القضايا الاجتماعية والاقتصادية ، التي نهضت من ظروف العصر وحاجات المجتمع .  
ولذا كان لابد من ابراز اجتهادات عمر ، وقد استمد لها من خبرات طويلة في الدولة  
الاموية . فقد شهد حكم أبيه عبدالعزيز بن مروان لولاية مصر ، وهي من أكبر ولايات  
الدولة الاموية ، كما تولى عمر حكم امارة في الشام ، ثم حكم بلاد الحجاز ، وكان  
ملازما للخليفة سليمان بن عبد الملك ، مستشارا له في شئون الدولة . كما عاصر عمر  
احداث الدولة الاموية في عهود جده مروان ، وعمه عبد الملك بن مروان ، ثم ابن عمه  
الوليد بن عبد الملك ، وشهد حركات الخوارج والشيعة ، والثورات المضادة المتعددة  
في بلاد العراق . ولذا كان لابد لنا من ابراز جهود عمر واجتهاداته ، المستمدة  
من ايمان عميق ، ونفس صافية ، وعقل راجح ، وخبرات طويلة ، وعجائب واقعية . والاسلام  
دين ودنيا ، ولذا كان من المحتم على الباحث ان يهتم بالسياسة الدنيوية ، التي

ترتبط بمصالح الرعية ومعاشهم ورضائهم ، وتوضح أبعاد ارتباطها بالقواعد الدينية .  
ولكن كثيراً من الباحثين المحدثين نظروا الى عمر بن عبد العزيز على انه " رجل دين " او " واعظ مرشد " ، او " زاهد متصوف " ، ولم ينظروا اليه كخليفة ، ورئيس دولة عظمى تمتد من وسط آسيا شرقاً الى المحيط الاطلسي غرباً ، وتضم أقاليم في قارات العالم الوسيط : آسيا ، وافريقية ، وأوروبا .

ولما كان عمر بن عبد العزيز حفيداً لعمر بن الخطاب من ناحية امه ، فقد ربط معظم المؤرخين بين العمرين ، واعتبروا عمر الاموي الصورة المكررة لعمر الراشد . ولكن هؤلاء المؤرخين اهلوا الفارق الزمني ، وتغيب ظروف الدولة . لقد عايش عمر بن الخطاب عصر النبوة بأمجادها ، فنشأ وتعلم وتدريب في مدرسة الرسول عليه الصلاة والسلام . بينما تولى عمر بن عبد العزيز بين امراء بني أمية ، وكان مثلهم في شبابه ، في ترفهم ورفاهيتهم . وعمر بن الخطاب منذ اسلم وحتى مات لم يتغير ، بينما تولى عمر بن عبد العزيز وهو خليفة يختلف تماماً عنه وهو شاب ، او وهو أمير لبلاد الحجاز . كما قام عمر بن الخطاب بأعمال الفتوحات الاسلامية في العراق وفارس والشام و مصر ، بينما تولى عمر بن عبد العزيز يتوقف عن سياسة الفتوحات التي شهد لها عصر الوليد بن عبد الملك ، ثم سليمان بن عبد الملك ، فقد اهتم ابن الخطاب بالسياسات الداخلية والخارجية على السواء ، بينما رأى عمر بن عبد العزيز تركيز جهوده في الميادين الداخلية . كما كان ابن الخطاب يحكم الدولة من العاصمة المدينة المنورة ، وحكم عمر بن عبد العزيز من دمشق ، وهناك عدة فوارق عميقة بين بيئة الحجاز وبيئة الشام ، فضلاً عن اختلاف

ظروف العصر • وان اتفق العمران في الزهد في أموال الدولة ، وفي الشدة في  
الولاية والعمال ، وفي الحرص على الاسلام وتعاليمه ، الا أنهما يختلفان في كثير من  
الجوانب . ولذا على الباحث المحدث ألا يسير في خط المؤرخين الاقدمين الذين  
لا يفصلون ما بين العمرين •

وجدنا صمومات في جمع مادتنا العلمية ، فالمؤرخون الاقدمون يدرسون تاريخ  
عمر بن عبد العزيز على أنه وحدة نوعية ، ولا يفصلون ما بين هو اصلاح ديني وخلق ، وما هو  
اصلاح حضاري ، اجتماعي واقتصادي • والاسلام يعطى المسلم الكليات والمفاهيم ،  
ويترك له الجزئيات والتفاصيل ، يضمها ويطورها ، حسب ظروف الزمان والمكان • وهكذا  
يفتح الاسلام باب الاجتهاد ، وقد اجتهد عمر بن عبد العزيز بوحى من ايمانه العميق ،  
ومن ضميره اليقظ • ولذا أصبح من واجبنا استنباط أخبار الاصلاحات الاجتماعية  
والاقتصادية من بين آلاف الروايات التاريخية ، الواقعية أو الخيالية • ومصادرنا القديمة  
تهتم بالجوانب السياسية والادارية أكثر من اهتمامها بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية  
ولا تعطى تفاصيلاً تشبع الرغبة في التوسع في البحث والتعمق فيه ، كما لا تهتم ايضاً  
بدراسة المهررات والنتائج ومعظم أخبار الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية في المصادر  
التاريخية الاصلية هي رسائل تهادلها عمر بن عبد العزيز مع ولاته وعاله ، أو احاديث  
وحوار ما بين عمر وجلسائه ، أو بعض خطب منبرية •

اطلعنا على عديد من المصادر الاصلية والمراجع الحديثة ، العربية والافرنجية •  
واهتمنا بابحاث المستشرقين • وقد تنوعت المصادر ما بين مصادر تاريخية ، وأدبية ،

وكتب الخراج والمال . ولما كان التاريخ الاسلامى قد تم تدوينه فى العصر العباسى ،  
فقد حافظ المؤرخون العباسيون على ذكرى عمر بن عبد العزيز ، فلم يحرقوها أو يشوهوها ،  
بل كان عمر هو الخليفة الاموى الوحيد الذى نال تقدير واحترام الخلفاء العباسيين ،  
بل ان ابا يوسف الذى وضع دستوراً اقتصادياً للدولة العباسية بتكليف من الخليفة هارون  
الرشيد ، أشار دائماً الى النظم التى استحدثها عمر بن عبد العزيز ، وأشاد بها ، ونصح  
الرشيد باتباعها كقدوة طيبة وأسوة حسنة . ولذا كما مطمئن غالباً الى صدق الروايات  
التاريخية الواردة فى هذه المصادر العباسية ، اللهم <sup>بعد</sup> الاساطير الخيالية التى  
سبق لنا الإشارة اليها .

استفدنا كثيراً من الترجمتين الواقعتين اللتين كتبهما ابن كثير ، وابن الجوزى ،  
فقد قدما فصلاً كل ما قد يحتاجه الباحث من أخبار عمر بن عبد العزيز . ولكن كان من  
المحتم علينا ان نطلع على مصادر التاريخ الاسلامى العام ، حتى نربط بين أحداث عمر  
، والاحداث السالفة لعصر عمر ، والتالية لها . ان عمر خلقه فى سلسلة الخلفاء  
الامويين ، كما كانت اصلاحاته <sup>هى</sup> تلبية لمشاكل وحاجات تولدت فى العصور السابقة على  
عصره . كما اطلعنا على أبرز المصادر الادبية ، للوقوف على اصلاحات اجتماعية ، مثل  
كتب الجاحظ وابن عبد ربه والاصفهانى وغيرها . كما كان من المحتم أيضاً دراسة كتب  
الخراج والاموال لمعرفة اصلاحات الاقتصادية ، الى جانب الاطلاع على بعض كتب  
الجغرافية الاسلامية ، ومراجع البلدان . كما اطلعنا على أبحاث المستشرقين ، فالفكر عالمي  
الطابع والاتجاه ، ولا بد ان نرى صورة عمر بن عبد العزيز فى مرآة الغرب المسيحى .

اتبعنا الطريقة الموضوعية في البحث التاريخي ، وقسمنا بحثنا الى ثلاثة أبواب ،  
تدرس ثلاثة موضوعات رئيسية ، تتفرع الى موضوعات فرعية . فدرس الباب الاول العوامل  
المؤثرة في قيام عمر بن عبد العزيز بالاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية . اذ ان هذه  
الاصلاحات الجوهرية الحيوية ، لم تقم من فراغ ولم تظهر فجأة ، بل هي وليدة تراكمات  
ماضية ، وحاجات ملحة ، وظروف متطورة .

وفي هذا الباب الاول درسنا خمسة موضوعات ، فتناول الموضوع الاول ظروف  
نشأة عمر وتربيته . وقد كان الخليفة في المصور السالفة هو مصدر جميع السلطات ، وتنطبع  
احداث عهده بطابعه الشخصي الخاص ، وقراراته صادرة عن عقله ونفسيته وأخلاقه .  
والانسان يكسب مقومات شخصيته عن الوراثة والبيئة ، والتربية . ولذا درسنا هذه  
العوامل الثلاثة في حياة عمر ، وعشنا معه حتى تولى الخلافة . ثم درسنا في الموضوع  
الثاني ( العوامل النفسية ) التي ساهمت في تكوين عمر النفس ، وجعلته ينقلب انقلاباً  
فجائياً ، من أمير أموي مترف مرفه ، الى خليفة زاهد ورجل عادل حازم . وهذا الفصل  
هو محاولة منا في ابراز منهج جديد في دراسة التاريخ ، يقبض على الاهتمام بالتفسير  
النفسى لاحداث التاريخ . فالشخصية التاريخية هي مجموعة من الخصائص النفسية ،  
تتأثر وتتغير .

ودرسنا في الموضوع الثالث الثورات والحركات المعارضة ، فقد كان مولد  
عمر في سنة ٦١ هـ التي شهدت استشهاد الحسين بن علي ، ومتابعت احداث

خطيرة ، مثل حركة عبد الله بن الزبير ، وموقعة الحرة ، وحصار الكعبة ، ثم حركة المختار الثقفي ، ثم حركة التوابين ، وشورة عبد الله بن الجارود ، وشورة عبد الرحمن بن الأشعث ، الى جانب حركات كثيرة للخوارج اتصفت بالحنف والارهاب . وقد موث عمر بن عبد العزيز تركه مثقلة بالاعباء والمشاكل ، وكان عليه ان يواجهها ويعالجها ، وهذا الفصل يبرز الداء ، الذي وصف له عمر الناجع من الدوا .

ثم درسنا موضوعا رابعا تناول ( مشكلة الموالى ) وهم المسلمون من غير العرب ، وكانوا يمثلون الغالبية العظمى من رعايا الدولة الاموية . بعد الفتوحات الاموية الواسعة ، شرقا وغربا . وينتسبون الى اصول جنسية مختلفة ، ذات حضارات قديمة عريقة . ولكن الدولة الاموية كانت دولة عربية ، قلبا وقالباً ، اعتزت بعروبتها ، وبلغ الاعتزاز احيانا درجة التعصب ضد العناصر الجنسية الاخرى التى اعتنقت الاسلام . وشعر الموالى أنهم غرباء فى هذه الدولة الاموية ، وتمنوا سقوطها ، وانضموا الى كل الحركات المعارضة المضادة للامويين . فقد حرصهم الامويون من حقوقهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وأهمل الامويون التوفيق بين العناصر المختلفة ، وبين ذوى المصالح المتعارضة ، مما أدى الى صراع اجتماعى هدد وحدة الدولة . بل كانت مشكلة الموالى من أبرز عوامل سقوط الدولة الاموية سنة ١٣٢ هـ . واصبح من المحتم على عمر بن عبد العزيز مواجهته مشكلة الموالى ، مما يحقق تعاليم الاسلام التى تحت على المساواة العنصرية ، فضلا عن تحقيق الامن والسلام فى المجتمع .

وتحدث الموضوع الخامس من موضوعات الباب الاول عن ( فساد الجهاز الحكومى )  
فقد توالى على الدولة الاموية خلفاء سفيانيون ومروانيون ، اختلفوا فى درجات عدلهم  
وانصافهم واهتمامهم بشئون الحكم والادارة ، ولم يهتم بعضهم باختيار عناصر الجهاز  
الحكومى ، واتصف بعض الولاة بالاستبداد والجبروت والفساد والظلم • واختلفت صور  
الانحلال الحكومى والفساد الادارى ، وتعددت صور المظالم • وكان لابد من مواجهته  
ميراث الماضى ، فى شجاعة وحزم ، وهو ما فعله عمر بن عبد العزيز •

اما الباب الثانى فيدرس اصلاحات عمر الاجتماعية ، وقد درسنا فى هذا الباب  
سنة موضوعات ، اولها ( أسس الاصلاح الاجتماعى ) وهل هى أسس دينية أم هى  
أسس حضارية ، وهل تعتمد على العقل والمنطق أم تنبع من ظروف المجتمع وحاجاته ،  
وهل أراد عمر ارضاء الله أم الشعب ؟ • • وتناول الموضوع الثانى ( القدوات الاجتماعية )  
فالاصلاح الاجتماعى لا يكون بالشدة والقسر ، ولا يكون بالوعظ والارشاد فحسب ، بل  
هو عن طريق الاقتناع والاتناع ، وهذا يتم بطريق خلق القدوة الطيبة والاسوة الحسنة •  
ورأى عمر ان يمنح المجتمع المثل العليا التى يقتدوها ، فبدأ بنفسه ، حتى انه غير كل  
ظروف حياته السالفة ، منذ اللحظة الاولى لتوليده الخلافة ، حتى أصبح انسانا جديدا ،  
ثم اتجه الى أهل بيته الاموى ، فرد المظالم التى اقترفوها • ثم اختار أفضل الولاة والعمال  
بعد ان قام بحركة تطهير شاملة •

اما الموضوع الثالث فيدرس ( الحدالة الاجتماعية ) ، فدرسنا اتجاهاتها العامة ،  
نحو جميع الرعايا والاقاليم ، بدون تفرقة عنصرية أو دينية ، ورأينا الاجهزة الحكومية التى

ضمنت وسائل التنفيذ ، ثم شهدنا متابعة عمر لضمان تحقيق العدالة ، ثم عقاب كل من ينحرف فيبعد عن الحق والعدل . وربط عمر بين العلم والعدل ، ووصل الى المفهوم الكامل للعدل ، وأصلح نظام القضاء ، وأقر الامن الاجتماعى ، واستمع الى كل شكاية ومظلمة ، وأهتم بالرأى العام .

ودرس الموضوع الرابع ( السلام الاجتماعى ) ، وفقد واجه عمر الصراعات الاجتماعية التى هددت وحدة المجتمع والامة ، فحارب المصبية الجنسية ، والشعبية ، والقبلية ، والاقليمية وانصف عمر الموالى وحل مشكلتهم الاجتماعية ، فعادوا يساهمون فى نهضة الحضارة الاسلامية وهذا عمر من ثورة الاحزاب والجماعات الممارضة ، وخاصة الخوارج والملويين والشيعة . وحقق عمر الضمان الاجتماعى ، مما اخفقت فيه حكومات العصر الحديث ، وأهتم بالتكافل الاجتماعى وعطف على الفقراء والمحتاجين ووفر لهم الرعاية الاجتماعية ، وحقق المساواة بين ابناء المجتمع ، وتشدد فى جمع الزكاة باعتبارها تخدم حاجات المجتمع .

ويدرس الموضوع السادس والاخير ( اهل الذمة فى المجتمع الاسلامى ) ، فدرسنا اوضاع اهل الذمة فى العصور السابقة لعمر ، ودور اهل الذمة فى المجتمع الاسلامى . ثم رأينا سياسة التعايش الدينى فى عهد عمر ، ودرسنا اهتمام عمر بتحديد حقوق وواجبات اهل الذمة . ثم درسنا ازالة عمر لمظالم الحجاج الثقفى ، وتحدثنا عن مفهوم ضريبة الجزية وحكمتها ، ثم ناقشنا بعض آراء المستشرقين .



اما الباب الثالث فيدرس ( الاصلاحات الاقتصادية ) ويضم أربعة موضوعات . أولهما ( الحرس على المال العام ) ، وهي سياسة جديدة استحدثها عمر ولم يشهدها المصـر الاموى قبله . وقد ضرب عمر في حياته الخاصة والعامة أمثلة شخصية رائعة لهـذا الحرس على مال الدولة والشعب . وهو هنا " رجل دولة " اكرمته " زاهد متصوف " . وأطلق عمر شعرا جديدا هو : " الدراهم دم فلا يجوز ان يجرى في غير عروقهم " . وهو شعار العدل . ورأينا تطبيق هذا الحرس على مال الامة ، في دائرة البيت الاموى ، ولم يجد عمر حرجا في اتهام اسلافه من الخلفاء الامويين بعدم الحرس على اموال رعاياهم . ورأينا هذه السياسة تمتد الى جميع ولاء عمر وعمله في الامصار الاسلامية .

ودرس الموضوع الثاني ( سياسة التقشف الاقتصادي ) ، فقد أصبح " الايمان "

واقما حضاريا ، وقد أحدث عمر انقلابا صحيا في حياة الامة الاسلامية ، وقد طبق عمر سياسة التقشف على نفسه ، وميته وفي مصروفات الدولة . ولم يكن عمر بخيلا شحيحا ، بل كان احيانا جوادا كريما . وهناك فارق بين الاقتصاد والبخل ، فالاقتصاد تدبير وتوفير ، والبخل شح وتقتير . وكان عمر متشددا في مال الشعب ، كريما في ماله الخاص . ونظر عمر الى " بيت المال " نظرات جديدة ، فلم تكن هي " المخزن " الذي يختزن الولاة فيه الدنانير ، ولم يجد عمر بأسا من انفاق كل مافى بيت المال في حاجات رعاياه ومنافع الناس ، فنهى عن الاكتناز ، ورد الحقوق الى اصحابها ، ولكنه امر أيضا بالاقتصاد في الانفاق العام ، وأوقف عمليات الاختلاس والابتزاز والرشوة . ولم تؤد سياسة التقشف الى فقر ، بل وفرت الاموال لمصالح الشعب وحقت الرخاء للفرد ، فلم يعد هناك فقير أو



محتاج ، يستحق أموال الزكاة . وفي ختام هذا الفصل ناقشنا قضية امتناع عمر عن البناء والعمارة ، فلم يقدّم منشآت عمرانية جديدة ، بل لم يصلح القائم منها فعلاً .

ودرسنا في الموضوع الثالث ( عدالة الضرائب ، والنظم المالية ، وحرية التجارة ) ، فرأينا رسائل عمر إلى ولايته وعمله تأمرهم بالرفق بالرعية ، وتحديد الضرائب ، وتخفيفها ، كما أمرهم بالقيام بالإصلاحات الزراعية ، ومنع المظالم ، وإلغاء الضرائب الإضافية ، والمهادايا والسخرة . وقدم عمر مطلقاً نقدية للمزارعين ، وأعطى ضمانات كثيرة للفلاحين ، وأعلن عمر أن ( المهادية ) قبل ( الجباية ) ، وأبدى المستشرقون إعجابهم بنظم عمر المالية ، ففي الخراج ، والجزية ، والعطاء ، والصدقات ، والأزاق . ثم رأينا نظام عمر اللامركزية ، وإطلاقه لحرية التجارة ، وفي البر والبحر ، وحرصه على تنمية الثروة والدخل القومي ، ورفع مستوى المعيشة . واهتمامه بإلغاء المكوس والعشور . ثم ناقشنا قضية ارتفاع الأسعار في عهد عمر ، ورأى عمر في هذه القضية ، وهو رأى يتفق مع النظريات الاقتصادية الحديثة ، ورفض عمر اتباع نظام التسعيرة الجبرية .

ودرس الموضوع الأخير من الباب الثالث ( نظم الخراج وملكيات الأراضي ) ، فدرسنا تطور هذه النظم منذ عهد عمر بن الخطاب حتى عهد عمر بن العزيز ، ثم درسنا نظام عمر التي استحدثها لحل مشاكل معقدة قائمة . وقد اعترف المستشرق ( فلمهوزن ) بصعوبة بحث كل مؤرخ في هذا الموضوع . فتحدثنا عن أنواع الأرض ، وأرض الخراج ، وأرض الفئ ، وأرض العشور ، والصوافي ، والإقطاعيات ، وناقشنا بعض اتهامات المستشرقين المجحفين .

الكلام بضمير الجمع

اتبعنا أركان المنهج العلمي في البحث التاريخي ، وناقشنا قضايا تاريخية عديدة ، وطرحنا عدة تساؤلات تتناول بعض مشكلات التاريخ ، وقمنا بالرد عليها ودراستها ، واجتهدنا في الوصول الى نتائج علمية جديدة . ونرجو من الله عز وجل ان يكون التوفيق قد حالفنا ، فيما هدفنا اليه ، انه عز وجل ولي التوفيق .

وفي الختام ، لا أجد كلمات أعبر بها عن شكري العميق لاستاذي الكبير الموقر الجليل الاستاذ الدكتور علي حسني الخربوطلي لتفضله بقبول الاشراف على هذا البحث ، ولبذله الوقت والجهد ، طوال اعداد البحث . كما أشكر الاستاذيين الجليلين عضوي لجنة المناقشة لتفضلهما بقبول فحص ومناقشة البحث . جزاهم الله تعالى جميعا عن العلم والباحثين أحسن الجزاء .

---

## الباب الاول

الموامل المؤثرة فى قيام عمر بن عبد العزيز بالاصلاحات  
الاجتماعية والاقتصاد يمة

---

- ١- ظروف النشأة والتربية .
  - ٢- الموامل النفسية .
  - ٣- الثورات والحركات المعارضة .
  - ٤- مشكلة الموالى .
  - ٥- فساد الجهاز الحكومى .
-

### ١- ظروف النشأة والتربية

يدرس بحثنا هذا الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية في الدولة الاموية في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز . وهذه الإصلاحات المظيمة التي اجتمع المؤرخون الاقدمون والمحدثون على امتداحها والاشادة بها ، وهى فى الحقيقة نابعة من عقل عمر ونفسيته وقد أحدث بها تغييرا راسخا عميقا فى مسار الدولة الاموية .

/ وكانت سياسة الدولة مرتبطة بشخصية الخليفة القائم بالخلافة ، فهو مصدر السلطات وهو أيضا صاحب القرار ، وغالبا ما يقوم الخليفة التالى باحداث تغييرات على سياسة سلفه ولذا أصبح من المحتم على الدارسين لتاريخنا الاسلامى ، معرفة شخصية كل خليفة ، ودراسة عقلية ونفسية وأخلاقه ، لانها كلها تنطبع على سياسته وقراراته ومناهجه .

/ فكان الناس يلتقون فى عصر الوليد بن عبد الملك فيسأل بعضهم بعضا عن البنساء والمنشآت . حتى اذا تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة وهو صاحب زواج ونهم . أصبح الناس يتساءلون عن الجوارى والطعام . فلما ولى عمر بن عبد العزيز ، كان الناس يلتقون فيقول الرجل للآخر : ماوردك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن ؟ وما تصوم به من الشهر؟<sup>(١)</sup>

وتعدد الخلفاء الامويون ، واختلفت سياساتهم ومناهجهم فى الحكم والادارة ، وفى الاجتماع والاقتصاد . وأثرت ظروف النشأة والتربية فى شخصية كل خليفة ، وطبعت عقلية

---

(١) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٠ .

ونفسيته بطابع خاص • ولذا علينا ان نرجع الى الوراء خطوات حتى نصرف الظروف التي أحاطت بمصر بن عبد العزيز ، فبثت فيه تلك الاتجاهات نحو الإصلاح الاجتماعى والاقتصادى •

### الآب :

أما الآب ، فهو عبد العزيز بن مروان • وهو ابن الخليفة مروان بن الحكم ، أول الفرع المروانى الذى حكم الدولة الاموية بعد نهاية حكم الفرع السفىانى <sup>(١)</sup> ، وظل أبناؤه وأحفاده يحكمون حتى نهاية العصر الاموى •

كان مروان المعلم الاول لابنائه ، فقد نشأ نشأة اسلامية ، وترسم خطى عمه ابن الخطاب فى شبابه ، ثم تتلمذ فى رجولته على ابن عمه عثمان بن عفان الذى اشتهر بتقواه وورعه • واعتبر مروان من الطبقة الاولى من التابعين • وبقي مروان وأسرتة بالمدينة مدة أربعين سنة ، من سنة ٢٤ هـ الى ٦٤ هـ ، لم يرحلها الا لرحلات وسفـرات مؤقتة • واتاح له وجوده بالمدينة فرصة واسعة كى يتعلم علوم الدين ويتفقه فيها •

---

(١) الفرع السفىانى : نسبة الى معاوية بن أبى سفيان ، وقد خلفه ابنه يزيد بن معاوية ، ثم معاوية الثانى الذى تنازل عن الخلافة دون ان يختار وليا لمهدده ، فوقعت المصيبة بين الامويين ، وتقاتلوا فى مرج راهط حتى نجح مروان بن الحكم فى الوصول الى الخلافة • ( ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٦ وما بعدها ) •

اذ كان على مقربة من الصحابة والتابعين ، وفى مقدمتهم عثمان بن عفان وزيد بن ثابت . (١)  
وكانت المدينة مدرسة لعلوم العربية واللفقه الاسلامى ، ومدرسة للسياسة والادارة المصرية . (٢)

أخذ مروان البيعة بولاية العهد لابنه عبد الملك ثم لابنه عبد العزيز ، وكان عبد العزيز  
يصفر عبد الملك بشهور قليلة . (٣) واشتهر عبد العزيز باسم " ابن ليلى " نسبة الى  
امه . (٤) وهى من قبيلة كلب اليمنية . (٥)

وكانت اول صلة بحمد العزيز بن مروان بمصر حين قدم مع أبيه الخليفة مروان  
ابن الحكم لانتزاعها من ولاية عبد الله بن الزبير . (٦) واشترك عبد العزيز فى الممارك  
الحربية ، وكافأه أبوه بعد الانتصار فولاه حكم مصر ( رجب سنة ٦٥ هـ ) ، ويروى الكندى  
ان مروان أوصى ابنه عبد العزيز ، قبل رحيل مروان عن مصر ، فقال : " أوصيك بتقوى  
الله فى سر امرئ وعلايتك ، فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأوصيك

---

(١) زيد بن ثابت : كان كاتباً للوحي ، وفى عهد عثمان أصبح فى مقدمة مستشاريه

(٢) سيدة كاشف : عبد العزيز بن مروان ص ١٥-١٦

(٣) الطبرى ج ٨ ص ٥٤

(٤) ليلى بنت زيان بن الاصمغ بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمض بن

عدى بن جناب بن كلب .

(٥) ابن خزم : جمهرة انساب العرب ص ٨٠

(٦) انظر كتاب ( عبد الله بن الزبير ) للدكتور على حسنى الخربوطلى تجد كثيراً

من التفاصيل .

ألا تجعل لداعي الله عليك سبيلا فان المؤذنين يدعون الى فريضته افترضها الله عليك . ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا . وأوصيك الا تعد الناس موعدا الا انفذته وان حملت على الاسنة . وأوصيك الا تعجل فى شىء من الحكم حتى تستشير ، فان الله عز وجل لو أغنى احدا عن ذلك لاغنى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن ذلك بالوحي الذى يأتيه . قال الله عز وجل ( وشاورهم فى الامر ) \* (١) واستجاب عبد العزيز لنصائح ابيه مروان ، ونجح فى ادارة شئون مصر ، لمدة عشرين عاما .

وكانت فترة ولاية عبد العزيز لمصر ، فترة حافلة بالاصلاحات والانشئات . على عكس ابنه عمر حين يتولى الخلافة ، فلا نجد للخليفة عمر منشئات تذكر ، بل ان المؤرخين يروون عن عمر انه كان يكره البناء . (٢) وقد انشأ عبد العزيز سنة ٦٧ هـ فى العاصمة المصرية القسطنطينية دارا للإمامة عرفت بدار عبد العزيز ، تطل على النيل ، وتعلوها قبة مذهبة ، وبلغ من روعتها أن اطلق الناس عليها اسم ( المدينة ) كما شيد عبد العزيز فى القسطنطينية الحمامات والسواق والقياساريات ، وزاد فى جامع عمرو بن العاص . (٣)

---

(١) الكندى : الولاة والقضاء ص ٤٨ .

(٢) روى ابن عبد الحكم ( سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥٧ ) ان عمر قال : " انى اعطيت الله عهدا وان وليت هذا الامر ألا اضع لبنة على لبنة ، ولا آجرة على آجرة " .

(٣) ابن عبد الحكم ص ١٣٠ ، الكندى : الولاة والقضاء ص ٥١ .



(١)

ثم اختار مدينة حلوان سنة ٧٠ هـ مقاما له ، واهتم بتعميرها . وقد شهدت  
حلوان قدوم عمر بن عبد العزيز .

اشتهر عبد العزيز بن مروان بالحزم وحسن الادارة ، ولهذا استطاع ان ينهض  
بجميع المرافق في مصر ، كما اهتم بتعريب مصر ، واشتهر بالتسامح مع أهل الذمة  
والمطف عليهم (٢) ، وقام عبد العزيز ببناء واصلاح الكنائس . واشتهر عبد العزيز أيضا  
بالورع والتقوى وسجبه لمجالسة الفقهاء والعلماء والادباء ، وبكرمه الواسع ، وتمتع فى  
حكم مصر باستقلال كبير حتى كان المصريون يلقبونه بلقب ( خليفة ) . (٣)

وتعرض عبد العزيز لمحنة عظيمة من ولاية العهد ، فقد خلعه اخوه الخليفة عبد  
الملك بن مروان ، ليفسح الطريق الى الخلافة لابنه الوليد بن عبد الملك ، بتحريض  
من الحجاج بن يوسف الثقفى ، وتألم عبد العزيز وكتب الى اخيه عبد الملك معاتبيا :  
” يا امير المؤمنين ، انى واياك قد بلغنا سنا لم يبلغها احد من أهل بيته الا كان  
بقاؤه قليلا ، وانى لا ادرى ولا تدري أينما يأتيه الموت ، فان رأيت ألا تفتش على بقية  
عمري فانمل ” . (٤) — ويذكر المؤرخ الكندى ان عبد العزيز رفض التنازل عن حقه

---

(١) رحل عبد العزيز بن مروان عن القسطنطينية بسبب انتشار الطاعون ونفى فى حلوان  
الدور والمساجد والبساتين وبرك الماء والقناطر وميناء للسفن ( انظر خطط  
المقريزى تجد كثيرا من التفاصيل ، ج ٢ ص ٢٦٠ وما بعدها ) .

(٢) كان والى الصعيد فى اواخر ولاية عبد العزيز قبطيا اسمه بطرس كما كان حكم  
مريوط قبطيا اسمه ( تاوفانس ) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٠٣

(٣) سيدة كاشف : عبد العزيز بن مروان ص ١٩٣-١٩٤

(٤) الطبرى ج ٨ ص ٥٤

فى ولاية العهد ، وكتب الى عبد الملك : " ان يكن لك ولد فلنا اولاد ويقضى الله بما يشاء " . (١) ولكن عبد الملك مضى فى مشروعه ، فبايع بولاية العهد لابنيه ، الوليد ثم سليمان . وسرعان ما مات عبد العزيز ، ولكن الله تعالى شاء ان يموت الحق السى أصحابه ، فقد بايع سليمان لعمر بن عبد العزيز بن مروان بالخلافة بعده .

### الأم :

(٢) أما الأم ، فهى أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، وكان عمر يعتز بأمه . وكان مولد عاصم فى حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولذا يمتير من الصحابة ، ومن رواة الاحاديث الشريفة . واشترك فى فتوحات افريقية تحت قيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة ٢٧ هـ . (٣) وعاش عاصم ، وبعد ذلك فى المدينة يروى الاحاديث ويشغل بالعلم .

(٤) ويروى المؤرخون قصة طويلة عن زواج عاصم من فتاة من بنى هلال ، وقد زوجه بها أبوه عمر بن الخطاب واشتهرت بالتقوى والتدين . وقال عمر لابنه عاصم وهو يحثه على الزواج منها : " اذهب يا بنى فتزوجها ، فما احراها ان تأتى بفارس

(١) الولاة والقضاء ص ٤٠

(٢) فلهوزن : الدولة العربية ص ٢٥٩

(٣) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٨٥

(٤) ابن الجوزى ص ٦٥ ، ابن عبد الحكم ص ١٧ . ابن العماد : شذرات الذهب ج ١ ص ١١٩

(٥) خلاصة القصة ان عمر كان يمس فى المدينة ، فأصابه اعياء ، فاتكأ على جدار داره ، فسمع امرأة تقول لابنتها : " قولى الى ذلك اللين فامدقيه بالماء " ورفضت الفتاة تنفيذ أمر أمها اتباعا لاوامر الخليفة عمر بن الخطاب يمنع خلط الماء باللبن . وأعجب عمر بالفتاة وفكر فى الزواج منها ثم رأى تزويجها لابنه .

بـ **بـ** يسود العرب \* (١) وانجبت الزوجة الهالكية ابنة اسموها \* أم عاصم \* وتعلمت رواية الاحاديث النبوية الشريفة \* وتأثرت بتقاليد وعادات بيت عمر بن الخطاب \* فاشتهرت هي أيضا بالزهد والتقشف \* (٢)

اختار عبد العزيز بن مروان أم عاصم لتكون شريكة حياته \* بعد تفكير عميق \* واختيار دقيق \* وأراد ان يكون مهر زوجته من المال الحلال \* فقد اختلطت أموال سائر الامويين \* فأصبح فيها الحلال وما هو مجلوب من مظالم (٣)

ولدت أم عاصم لزوجها عبد العزيز بن مروان أشقاء أربعة : أبا بكر وعمر ومحمدا وعاصما \* ولكن موارث الابوين اخذت تجتمع في عمر اكثر مما تجتمع في اخوته \* فوَرث منها صفات تتفق وتختلف : ورث عنهم ما جوهر التقوى وحب المرأة والميل الى الانصاف ووَرث من ابيه خاصة ذوقه الرفيع وادراكه الدقيق ووَرث من امه خاصة حداثتها وحماستها ولسناها وقصدها في الكلام \* فانه حين استترت حدة عمر بن الخطاب في ابنه عاصم \* عادت فظهرت في حفيدته أم عاصم \* فلم تكن تدع امرا يهيجها الا اهتمت له \* ولم تترك غلطة ولا هفوة الا حاسبت عليها حسابا عسيرا \* ولو كان المخطئ زوجها لم تحفه \* وحتى لو كان هذا الزوج واليا من اكبر الولاة \* (٤)

(١) ابن الجوزي ص ٦٥

(٢) الاصفهاني : الاغانى ج ٨ ص ١٥٥ . روى الاصفهاني ان أم عاصم كانت دائما تردد الحديث النبوي الشريف : " نعم الادم الخل " .

(٣) قال عبد العزيز بن مروان لقيم امواله : " اجمع لي اربعمائة دينار من طيب مالي \* فاني اريد ان أتزوج الى أهل بيت لهم صلاح " (ابن الجوزي : صفوة الصفوة ج ٢ ص ٦٣) .

(٤) عبد العزيز سيد الاهل : الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ص ١٩٠ .

### النشأة الاولى :

اختلف المؤرخون فى سنة مولد عمر بن عبد العزيز ، ونرى أن مولده كان فى سنة  
(١) ٦١ هـ . ويصف المؤرخون عمر بأنه كان مثلى الجسم ، ريان المود ، أبيض اللون ،  
جميل الهيئة ، دقيق الوجه ، مترفا منعا . (٢)

طلب عبد العزيز بن مروان من زوجته أن تقدم عليه فى حلوان مع ابنها عمر . ولكن  
عبد الله بن عمر بن الخطاب طلب منها أن ترحل الى زوجها وحدها وتترك عمر فى المدينة ،  
فهى البيئة الاسلامية العربية الاصيله ، الصالحة لتنشئة هذا الصبي . وقد قضى  
عمر فى المدينة الشطر الاكبر من صباه ، فتغذى عقله بالتراث الروحى فى مدينته  
الرسول (٣) . ويروى المؤرخون أن عبد الله بن عمر قال لاخته : " خلفى هذا الفلام  
عندنا ، فانه أشبهكم بنا أهل البيت " . (٤)

---

(١) اختلفت الروايات ، فهناك رواية تحدد سنة ٥٩ هـ ، ورواية تحدد سنة ٦٣ هـ .  
ونميل الى رواية ابن كثير ( البداية والنهاية ج ٢ ص ١٤٠ ) وجاء فيها أن مولد  
عمر كان فى السنة التى قتل فيها الحسين بن على وهى سنة ٦١ هـ .

(٢) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٤٥ - ابن عبد الحكم  
ص ٥٣ .

(٣) فلهووزن : الدولة العربية ص ٢٥٩ .

(٤) ابن عبد الحكم ص ٥٣ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج ١ ص ١١٩ .

وأبدي عبد العزيز بن مروان سروره لبقاء ابنه عمر بالمدينة ، بين أخواله  
وقد كان الامويون يطلبون ود بني الخطاب ، الذين لهم شأنهم بين أهالي المدينة ،  
كما أراد عبد العزيز أن يكتسب ابنه عمر علم وفضل خاله عبد الله بن عمر بن الخطاب . (١)

وسارع عبد العزيز بالكتابة الى اخيه الخليفة عبد الملك بن مروان ، يخبره بتوثق الصلات  
بين بني اميه وبني الخطاب ، مما يكون له أثره في موقف اهل المدينة من الحكم الاموي . (٢)  
فأبدي الخليفة سروره وأجرى على عمر بن عبد العزيز ألف دينار من مال الفى شهرية . (٣)

كتب عبد العزيز بن مروان الى صالح بن كيسان بالمدينة يطلب منه ان يتولى  
تأديب وتهذيب عمر ، وكان صالح يحث عمر على أداء الصلاة في مواعيدها ، حتى اذا تأخر  
يوما سأله المؤدب عن السبب ، فعلم أن السبب هو ترجيل شعره ، فعنفه ، وكتب الى  
عبد العزيز ، وأمر الوالد بحلق شعر عمر .

ونشأ عمر في المدينة ، في مطاراف النعمة ومبازل الجود ، ولجت به نعمة اعمامه  
وحنان أخواله فمشى في الارض وكأنما يكون لنفسه طبقة وحده ، هي بين السادة من أهل

(١) احمد الشرباصى : خلاصة الراشدين عمر بن عبد العزيز ج١ ص ١٧٠ .

(٢) كانت المدينة قد وثقت موقف التأييد من ثورة عبد الله بن الزبير وخرجت على طاعة  
الامويين ، ودارت موقعة الحرة قرب المدينة التي شهدت كثيرا من الفظائع  
والمذابح مما كان له أثره في سخط اهل المدينة على الدولة الاموية ( ابن الاثير  
الكامل ج٣ ص ٤٠ وما بعدها - ابن كثير : البداية والنهاية ج٨ ص ٣١٣ وما بعدها )

(٣) ابن عبد الحكم : ص ٥٠ ، ابن الجوزى ص ٩٠ .

المدينة وبين السادة من أمراء دمشق ، غير ان مظاهره كلها كانت تميل الى ان تكون صنعة اموية من ان تكون مطبوعة بطابع آل الخطاب . (١) .

واذا كان عمر بن عبد العزيز قد ورث منذ نشأته كثيرا من الموارث الطيبة التي تجلت في بني الخطاب ، فقد ورث منهم أيضا حدة ظلت تمتريه من حين الى حين ، فينفذ بها أحيانا . (٢)

واصبح لمر مشية خاصة متميزة ، تتصف بالتبخر والتكبر ، أعجبت بها جـواري المدينة (٣) ، فقلدها وسموها " المشية الحموية " فهي تحقق الرشاقة وتلفت الانظار . (٤) واهتم عمر باطلاق شعره وترجيله ، وارتدى أجمل وأغلى الثياب (٥) حتى كان ينفسق كل ماله على ثيابه ، ووضع في اصبغه خاتما ثميناً ، منح له عمه الوليد بن عبد الملك ، (٦) وسار عمر في طرقات المدينة يحيطه غلمان وعبيد في موكب حافل . (٧) وكان عمر شديدا في معاملة عبيده ، يماقبهم أشد عقوبة ، على أبسط الأخطاء ، (٨) — وهكذا —

(١) عبد العزيز سيد الامل : الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ص ٢٠

(٢) الشراصي : خاص الراشدين ج ١ ص ١٧

(٣) يصف المؤرخون المشية بانها " مشية الجارية اذا كعبت " وكعبت الفتاة اذا برزت ثديها .

(٤) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢١

(٥) كان يشتري الازار بمائة دينار ، ومطرف الخز بثمانمائة درهم .

(٦) كان هذا الخاتم من غنائم فتوح افريقية والمغرب ( ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١١١ ) .

(٧) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢١

(٨) المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ١٢٠

ما المرجع ؟

عمر حذو سائر الامراء الامويين من الشباب .

أفرد آل الخطاب عمر بن عبد العزيز بالكرم من بين أشقائه لانه كان شبيهاً  
أبيهم ، ولانهم رأوا فيه مخايل امل يكاد يتحقق لرؤيا كان رآها ابوهم عمر بن الخطاب  
- فيما يقال - وكانت رؤيا يتمناها الناس ان تسرع فتولد ، فاما ولدت قوية وصارت فراسته  
عرفت من الخلق والخلق والحركة والمزاج ، ثم كانت كائنا حيا ينبض في ذات عمر بن عبد  
المعز . (١)

وكان ابن الخطاب قد رأى رؤيا ، وقام من نومه يقول : من هذا الذي يكون  
أشج من ولدي ، ويسير بسيرتي ؟ (٢) ، ثم يقول ايضا : ان من ولدي رجلا بوجهه  
أثري لا الارض عدلا . (٣) ، وظل آل الخطاب يرددون أقوال عمر ، في انتظار هذا  
الأشج العادل .

وخرج عمر بن عبد المعز الى حلوان زائرا لأبيه ، وفي مصر رأى لونا من ألوان  
الحضارة تختلف عما رآه في المدينة ، فقد رأى نهرا عظيما جاريا ، وأرضا خضراء ،  
وشعبا يختلف في صفاته وطباعه . ولا شك ان هذه المرحلة قد نمت معلوماته وتركزت  
انطباعات كثيرة في عقله ونفسه .

- 
- (١) سيد الاهل : الخليفة الزاهد ص ٢٣  
(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد المعز ص ١٨ .  
(٣) ابن قتيبة : المعارف ص ١٥٨ .

وفى حلوان ، دخل عمر واخوه الاصبح حظيرة خيل ، فرمحت بغلة فأصابته فـسـى  
جبينه فشجته ، وسالت دماؤه ، وصاح اخوه الاصبح : " الله اكبر . هذا أشج بنى مروان  
الذى سيملك " . (١)

وأصبح يقال لعمر منذ تلك الساعة : أشج بنى مروان ، وأشج بنى امية ، وأشـجـ  
قريش . وقربه الخليفة عبد الملك اليه ، وعاتبه ابناؤه ، فقال الخليفة : " انه سيلـسـى  
الخلافة ، وهو أشج بنى مروان الذى يملأ الارض عدلا بعد ان تملأ جورا ، فطلى لأحبه  
ولا أدنيه ؟ " . (٢)

#### مرحلة الشباب :

عاد عمر الى المدينة ، وهناك أقبل على الدين والعلم ، فحفظ القرآن الكريم ،  
ودرس السنة النبوية ، وحدث عن بعض الصحابة والتابعين . (٣) وكان دائما يـمـهـر  
عن أمانيه بان يصبح مثل خاله عمر بن الخطاب فى علمه وورعه . (٤)

---

(١) ابن قتيبة : المعارف ص ١٥٨ ، ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز  
ص ١٤٢

(٢) الاصفهاني : الاغانى ج ٨ ص ١٤٦

(٣) ومنهم عبد الله بن جعفر ، وأنس بن مالك ، وأبو بكر بن عبد الرحمن ، وعبيد الله  
ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود ( ابن الجوزى ص ٨ ) .

(٤) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٩ .



استتر وراء مشية الخيال والتبختر ومخايل الانفة والكبر جوهر سليم ، وأختبأ  
الجوهر وراء حجاب خفيف ، فقد كان عمر - مع حدته على بعض ظلماته حين يخطئون -  
سهل الحجاب على اخوانه ، كريم المودة لهم ، يبتغى بمصروفة أهل الحاجة منهم .  
ولم يكن بينه وبين الغلمان الذين هم مثله ما يفرق بينه وبينهم أو يفضله عليهم ، فتناولوا  
منه ما يتناول الاخ من أخيه الذي لا سلطان له عليه . (١)

تبحر عمر في الدين والعلم ، وأصبح حافظا حجة ، وبلغ مرتبة الاجتهاد ، وكان  
الناس يرجعون اليه في الاستفتاء . (٢)  
حتى اذا خرج الى الشام استفاد من فقهاءها  
بعد ان استفاد من فقهاء المدينة . (٣)

وفي العشرين من عمره ، أراد عمر الزواج ، فتزوج من ابنة عمه فاطمة بنت عبد الملك  
ابن مروان . وازداد تقرب عبد الملك لعمر ، وازداد حسد شباب بني امية لممره .  
وأقطع عبد الملك عمر كثيرا من القطائع والضياح ، فأصبح يمتلك أراض في الشام والحجاز  
ومصر واليمن والبحرين . (٤)

---

(١) سيد الاهل : الخليفة الزاهد ص ٢٦

(٢) الشرياص : خامس الراشدين ص ١٩

(٣) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٨ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان  
ج ٢ ص ٦١٢

(٤) ابن عساكر : تاريخ دمشق ص ٥٩٨

ثم بدأ عمر بن عبد العزيز حياته العملية ، فقد ولاه الخليفة عبد الملك امانة ( خنصرة ) وهى بلدة من أعمال حلب سنة ٨٥ هـ (١) وهى امانة صغيرة ، أراد عبد الملك ان يتدرب عمر من خلال حكمها على ممارسة ادارة ولايات الدولة . وأراد عبد الملك ان يستفيد من علم وحكمة عمر من جهة ، كما اراد ان يخفف عن عمر مرارة حرمان أبيه من ولاية العهد من جهة اخرى . وظل عمر يتولى هذه الامانة حتى مات الخليفة عبد الملك ، وتولى بعده ابنه الوليد ، الذى عهد الى عمر بولاية المدينة . (٢)

#### تجربة حكم المدينة :

تأثر الوليد بن عبد الملك بمحبة ابيه لعمر بن عبد العزيز ، وتأثر بما صار لعمر من مكانة فى قضاة حاجات الناس وحاجات بنى امية خاصة ، وكانت صارت له به آصرة الصاهرة بزواج عمر من أخته فاطمة ، فلما استخلف الوليد ، وبلغ عمر الخامسة والمشرين من عمره ، ولاه امرة المدينة . (٣) ويفسر المستشرق ( فلهوزن ) (٤) تلك التولية ، بأن الخليفة الوليد اراد محو الذكرى السيئة التى خلفها الوالى الذى كان قبل عمر ، وهو هشام ابن اسد عيل المخزومي ، واسترضاء أهل المدينة .

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ج٣ ص ٤٦٧

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٥ ص ٣٥٢

(٣) سيد الاهل : الخليفة الزاهد ٣٩

(٤) فلهوزن : الدولة العربية ص ٢٥٩

ونحن نشير الى حكم عمر للمدينة ، لانها التجربة الحقيقية التي مارسها عمسره ،  
واكتسب منها الخبرات النافعة والتجارب المفيدة ، وكانت ثمار هذه التجربة ، بما فيها  
من محامد أو اخطاء ، هي خير موجه لعمر خلال فترة خلافته .

أبطأ عمر فى الخروج الى المدينة ، فقد كانت هناك نفوس غاضبة نائرة ، نتيجة  
سوء سياسة واليها السابق هشام بن اسط عيل المخزومى . وتساءل الوليد عن تأخر عمر فى  
الرحيل الى مقر ولايته ، وأجاب عمر بأنه يضع شروطا لحكمه ، فقال : ان اباك ولى من كان  
قبلى ، فأنا أحب ألا تأخذنى بعمل أهل العدوان والظلم . وقبل الوليد شرط عمر ، لانه  
يريد تهدئة ثورة الغضب فى المدينة ، فقال الوليد لعمر : اعمل بالحق وان لم ترفع اليك  
الا درهما واحدا . ( ١ )

وقد تم عمر الى المدينة فى ربيع الاول سنة ٨٧ هـ ، فى موكب حافل يضم ثلاثين بعييرا ،  
وسط احتفال الناس وترحيبهم به . ونزل فى دار جده مروان بن الحكم وكانت من أعظم  
دور المدينة . ( ٢ )

بدأت تجربة جديسدة فى حكم المدينة ، فقد رأى عمران يبدأ عمله بالشورى ،  
لثلا يقع عليه مسئولية امر ليس لاهل المدينة رأى فيه ولا اقبال عليه . وكانت المدينة تصج  
بأهل العلم والزهد والوعظ ، وقد اشتهروا بينهم الفقهاء السبعة الذين عاشوا بها

( ١ ) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٢

( ٢ ) الطبرى ج ٨ ص ١٢٩

مخاضرين ، وعظم انتشر العلم والفتيا في الدين بعد الصحابة ، وكلهم من سادات  
الناس وأعلام التابعين . (١)

(٢)

اثنان من هؤلاء الفقهاء من الطبقة الاولى من التابعين ، وهما سعيد بن المسيب  
وسليمان بن يسار . (٣) اما الخمسة الآخرون فهم من الطبقة الثانية من التابعين ، وهم

عبد الله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة  
القرشي المخزومي ، وطارحة بن زيد بن ثابت الانصاري ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر  
الصديق ، وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (٤) . وما لبث عمران ضم اليهم : عروة  
ابن الزبير ، وأبا بكر بن سليمان بن خيثمة وعبد الله بن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن  
ربيقة . وولى عمر على قضاء المدينة أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم . (٥)

وثق عمر صلته بالعلماء الذين اشتغلوا بكتابة العلم ومعلم الحديث ، وكان علم  
الحديث قد ازدهر بالمدينة . ولم يكن يضايقه ان ينتقد علماء المدينة اساليب حكومة  
الامويين ، وخصوصا اساليب الحجاج بن يوسف الثقفي . (٦)

(١) سيد الاهل : الخليفة الزاهد ص ٤

(٢) كان سعيد بن المسيب بقضاء الرسول وقضاء الخليفين ابي بكر وعمر .

(٣) سليمان بن يسار : هو مولى ام المؤمنين ميمونة ، وكان من رواة الاحاديث

النبوية ، واشتهر بالفتوى ( ابن خلكان : وفیات الاعيان ج ٢ ص ١٣٦ ) .

(٤) كان سالم بن عبد الله ابن خالة عمر بن عبد العزيز .

(٥) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨

(٦) فلهوزن : الدولة العربية ص ٢٥٩

وبينما مال عمر الى هؤلاء الفقهاء والعلماء ، وأرادهم للمشورة ، مال عنهم ميله  
 أخرى ، وظل يتأرجح بين الميلتين ، فراح يجمع الى الفقه سماع الغزل والشناء وصناعة  
 الألحان .<sup>(١)</sup> ولكن هذا كله لم يخرج به عن دينه وقيامه بواجبه نحو ربه ونحو  
 الناس .<sup>(٢)</sup> فيقول ابن عبد الحكم : " ثم ولى عمر المدينة ، فسار بأحسن سيرة ،  
 وكان مع ذلك يعصف ريحه ، ويرخى شعره ، ويسبل ازاره ، ويتبختر فى مشيته . . . وهو  
 مع ذلك لا يفحص .<sup>(٤)</sup> عليه فى بطن ، ولا فى فم ، ولا حكم . "

وأستمرت التجربة ، فكان اهل المدينة يلقبون عمر بالامير ويخاطبونه به — هذا  
 اللقب . وكان الى جوار عمر مولى له ، يتصف بالاخلاص والولاء ، ينصحه ويحظه ، وهو  
 مزاحم بن ابي مزاحم ، الذى تجرأ فقال لعمر : " يا عمر بن عبد العزيز ، انى احذرك  
 ليلة تمخض بالقيامة ، وفى صبيحتها تقوم الساعة . يا عمر ، لقد كدت أنسى اسمك مما  
 أسمع ( قال الامير ، قال الامير .. ) وتقبل عمر حديث مولاة ، وقد علق عليه فيما بعد ،

- 
- (١) سيد الاهل : الخليفة الزاهد ص ٤٤  
 (٢) الشراصى : خامس الراشدين ص ٢  
 (٣) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨٣  
 (٤) لا يفحص : لا يطعن .

فقال : " ان اول من أيقظنى لهذا الشأن مزاحم ، فوالله ما هو الا ان قال ذلك  
فكأنما كشف عن وجهى غطاء " . ( ١ )

وكتب الخليفة الوليد الى عمر يأمره بان يوسع المسجد النبوى بالمدينة ، وان يدخل  
حجرات أمهات المؤمنين زوجات النبى ( ٢ ) ، وهو مشروع قديم كان قد حاول عبد الملك بن  
سروان تنفيذه ، فلقى معارضة شديدة من أهالى المدينة ، وأراد الوليد الاستفادة من  
مكانة عمر عند هؤلاء الاهالى فى تنفيذ مشروع ابيه وخاصة ان عمر يرتبط ببني الخطاب  
وكان لهم شأن كبير فى المدينة . ( ٣ )

وأدخل عمر الحجرات بالمسجد واشترى ما بنواحيه ، ثم بنى ووسع وزخرف ،  
وقدم القبلة ، وجوف المحراب ، ورفع المنارة فكان اول من احدث تجويف المحراب  
فى المساجد وحين بنى المئذنة ازدادت المآذن انتشارا بعده فى بلاد المسلمين  
تشبها بمآذن الشام . ( ٤ )

وقام عمر بعدة اصلاحات ومنشآت ، فشق الطرق فى الجبال ، وحفر الابار ، وأنشأ  
الفنادق والعظانات على طرق الحجاج والقوافل ، وخاصة طريق خراسان ، وأنشأ نورة

---

( ١ ) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٤

( ٢ ) كانت بيوت النبى تسعة بعضها من جريد مغطى بالطين وبعضها من الاحجار ،  
والسقوف كلها من جريد ، وقد نالت منها السنوات ( العمرى : مسالك الابصار  
جا ١ ص ١٢٦ ) .

( ٣ ) الطبرى ج ٨ ص ١٢٦

( ٤ ) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٦٧

بالمدينة كانت صورة للابداع الفنى ، وكافأه الخليفة الوليد بان جمع له اماره الحجاز كلها ، بما فيها مكة والطائف . (١)

وقدم الوليد الى الحجاز حاجا فى سنة ٩١ هـ وخرج عمر للقاءه فى موكب حافل يضم وجوه المدينة ، وأبدى الوليد اعجابه باصلاحات ومنشآت عمر ، وخاصة القنطرة ، وأعقد الاموال على أهالى المدينة . (٢)

ولكن الوليد ما لبث ان طغى شعوره على مظهره فغطاه وذهب ابتهاجـه فقد ادرك ما فى نفوس اهل المدينة منه ومن أهل بيته فغضب ولم يكظم غيظه ، وانتظر الجمعة وذهب الى المسجد فصلى بالناس ، ثم خطب فتوعد أهل المدينة ، وزاد فغير التقليد وخالف العادة ، فخطب الجمعة على المنبر قاعدا . ولم تكن خطبة الوليد الا نفخا فى وقود ، فانكشف بها الرماد الرقيق عن الجمر فالتهب ، وانقلب أهل المدينة يملنون الغضب ويزيدون . واندفع عمر بن عبد العزيز فى تيار النفوس وغضب معها . (٣)

وفى موسم الحج التالى سنة ٩٢ هـ عقد الوليد لواء الحج لوالى العراق المتيد الحجاج بن يوسف الثقفى ، وكان من المفروض ان يمر بالمدينة قبل رحيله الى مكة ، وكانت المدينة قد امتلأت بالقادمين من العراق من الساخطين على الحجاج

(١) الطبرى ج ٨ ص ١٢٧

(٢) الطبرى ج ٨ ص ١٢٨

(٣) سيد الاهل : الخليفة الزاهد ص ٥٣

واللائذين بعد الة عمر بن عبد العزيز ، ولذا بدأت مشاعر السخط والثورة في المدينة ، واستجاب الخليفة للنصيحة ، فسلک الحجاج طريقا اخرى الى مكة . (١)

وبدأت صفحة عداء شديد بين الحجاج والى العراق ، وعمر والى الحجاز ، فقد تدفق الاف من اهالى العراق لاجئين الى العراق ، فلم يرض الحجاج — عن ذلك ، وبدأ يشكو الى الوليد ، ويبين له خطورة الامر ، واستمر التحريض حتى عزل الوليد عمر عن المدينة . (٢) سنة ٩٣ هـ — وولى الخليفة الوليد بدله عثمان بن حيان ، وأمره بان يخرج كل عراقى الى الحجاج فاخرجهم جميعا ونادى مناديه " ألا برئت الذمة من آوى عراقيا " . (٣) ، وكتب الحجاج الى الوليد يبرره قسوته وينصحه ألا يهتم بمحبة رعاياه ورضاهم . (٤) ولكن عمر لم يفقد المطف من جراه ذلك ، فقد كان عمر متزوجا من أخت الوليد ، فظل عمر عذرا . (٥)

ورحل عمر ، وبعد عزله من ولاية الحجاز ، الى السويداء ، وهى من اقطاعاته ، (٧) وهناك قضى فترة عزلة وتفقه وتصوف ، يظهر فيها نفسه ، ويطبع روحه على الفقه الاكبر ، وهو القناعة وكف الاذى . (٦)

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٤٢

(٢) فلموزن : الدولة العربية ص ٢٥٩

(٣) الباقوس ج ٣ ص ٣٤

(٤) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ٥٩-٦٠

(٥) فلموزن : الدولة العربية ص ٢٥٩

(٦) الشراصى : خاص الراشد بن ص ٢

(١) السرياء : موضع على ليلته المدينة على طريق الشام

والسرياء قرية بجوارها من نواحي دمشق (معجم البلدان ٤/٢٨٧)



وان كان الوليد قد حرص على استمرار المودة بينه وبين عمر ، الا ان الصلات لم تلبث ان تغيّرت ، فقد ادت الفترة التي قضاها عمر في السويداء الى تحول خطير في نفسية عمر وفي آرائه وافكاره ، فقد اصبح عمر المدافع عن الحق ، والمناذير بالمعدالة ، وتالبت عمران رحل الى العاصمة دمشق . وكان الخليفة عبد الملك بن مروان يستشير عمر في بعض الامور . وأراد عمران ان يكون المستشار الصادق والناصح الامين للخليفة الوليد ، ولم يجد الوليد بأساً في ذلك ، فهناك صلات القربى ، كما ان عمر فقيه محدث مجتهد ، نال احترام وتقدير فقهاء الشام والحجاز على السواء . واستمع الوليد الى عمر ، ونفذ بعض نصائحه واقتراحاته ولكن عمر اراد تطهيراً شاملاً واصلاحاً عاماً في الدولة الاموية ، فبدأ عمر يهاجم سياسة الولاة ، ويمتدح الخليفة مستولاً عن مظالمهم .

قال عمر يوماً للوليد : انطيس بحد الشرك اثم أعظم عند الله من الدم ، وان عمالك يقتلون ويكتبون لك ذنب المقتول ، وأنت المسئول عنه والمأخوذ به ، فاكتب اليهم ألا يقتل احد منهم أحداً حتى يكتب اليك بذنبه ، ثم يشهد عليه ، ثم تأمر على أمر قد وضح لك . (١)

وتظاهر الوليد بالاعتناع بنصيحة عمر ، ولم يشأ ان يفضيه ، فكتب الى ولاته ، ينصحهم ويحذرهم ، ولكن المظالم استمرت في سائر الولايات ، واستمر عمر على اصراره على ضرورة احداث اصلاح شامل كامل يرسى قواعد العدل والانصاف . وقد حاول تنفيذ

---

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٧

هذه السياسة الاصلاحية حينما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة بعد اخيه الوليد ثم بدأ هو تنفيذها على نطاق واسع ، وعلى أسس وطيدة ، كما سنرى فى الفصل —  
التالىة .

## ٢ - العوامل النفسية

ان سياسة الاصلاح لا تبدأ من فراغ . ولا بد من امتزاج عوامل شتى ، وتفاعلها ، حتى تتبلور ، وتشهد لبداية طريق جديد للاصلاح ، والتطهير والتطوير . ولما كان الخليفة — كما ذكرنا — هو مصدر السلطات ، فقد أصبح هو المنبع الحقيقى لكل سياسة اصلاحية ، بحيث تكون نابعة من نفسه وعقله ، مستفيدة من التجارب السابقة ، ومن خبراته وثقافته .

لقد رأينا فى الفصل الاول ظروف النشأة والتربية التى أعطت بعمر بن عبد العزيز فرأيناه يتلقى دروسه وثقافته فى مدرسة المدينة ، وشهدناه يرحل فترة الى بيثمة جديدة هى مصر ، حيث أصبح بعد ذلك محور نبوءات عديدة أنه ( الاشج ) الذى تنحقد عليه الامال ، والذى يحكم فيعدل ويصلح . ثم رأينا عمر وقد أصبح شابا متوقفا مرفها ، يتميز بشية خاصة تحاكيها الجوارى ، ويهتم بشبابه وعطوره . ثم شهدناه يبدأ حياته العملية واليا على امارة صغيرة هى ( خنصرة ) ، ثم واليا على المدينة ، حيث يبدأ حكما يعتمد على مشورة الفقهاء ، والمعلماء ، مما لانجده فى تاريخ العصر الاموى قبله ، ويفتح باب ولايته لكل لاجئ سياسى ، يهرب من مظالم السولاة

الامويين • وأثبت عمر كفاءته ونزاهته ، فكوفى • بولاية الحجاز كلها • ثم اصطلحت سياسة عمر مع سياسة رئيس الدولة ، الخليفة الوليد بن عبد الملك ، فكان عزله عن المدينة • ورأى عمر ان يقضى فترة فى السويداء • ، هى فترة تأمل • وحساب لنفسه • وتطهير لقلبه • ، وبلورة لافكاره • ، رحل بعد ما الى دمشق • ، عاصمة الدولة • ، وهناك يصطدم ثانياً بالخليفة الوليد • وسنرى فى هذا الفصل الثانى محاولات عمر للاستفادة من توليه الخليفة سليمان بن عبد الملك • ، فى تنفيذ برنامجه الاصلاحى • فقد رأى عمر الاستمرار فى الكفاح والجهاد • من اجل الاصلاح والتطهير •

واننا فى هذين الفصلين انما ندرس فجزء اندفاع عمر نحو الاصلاح الاجتماعى والاقتصادى • ونحن نقد ظروف النشأة والتربية فهى فترة الاعداد الفعلى والتكوين النفسى • والانسان ابن بيئته • وظروف مولده وحياته وأسرته تنعكس عليه وتؤثر فيه • كما تان توليه عمر ولاية المدينة ثم الحجاز • ، هى " صقل التجارب " الذى استفاد منه عمر حينما تولى الخلافة • وقد قضى عمر فى السويداء • كما رأينا • فترة يدرس فيها حصيلة هذه التجارب • بما فيها من سلبيات وايجابيات • كما ان قومه بعد ذلك ومكانته من سليمان بن عبد الملك كانت ايضا حقلا آخر للتجارب • وكل هذه المواصل والظروف قد تجمعت وتكاثفت وتبلورت • لتؤدى الى برامج اصلاحية عظيمة • اجتماعية واقتصادية • جمعت عمر بن عبد العزيز جديرا بان يسميه المؤرخون " خامس السراشدین <sup>(١)</sup> " .

وندرس فى هذا الفصل المواصل النفسية التى اثرت فى فكر وسلوك

عمر بن عبد العزيز ودفعته الى ذلك البرنامج الاصلاحى الكبير والفريد فى التاريخ

(١) خامس السراشدین ج ١ ص ٢٥ رواه عنه شيخنا المصنف

الاموى ، بل فى التاريخ الاسلامى ايضا •

ويمكننا ان نركز هذه العوامل فى خمسة عوامل هى :

اولا : صلة عمر بن عبدالعزيز بآل الخطاب •

ثانيا : تجربة ولاية المدينة •

ثالثا : مظالم الولاة الامويين •

رابعا : فترة اقامته فى السويداء •

خامسا : ظروف توليته الخلافة •

أما العامل الاول ، فقد عرضنا له فى الفصل الاول ، وقد ذاعت نبوءة عمر بن الخطاب بين الناس جميعا ، سواء من بنى الخطاب ، أو بنى امية ، أو عامة الناس ، ويات الجميع يتطلعون الى ذلك المنفذ المأمول الذى يغير مسار الدولة الاموية ، ويمعيد امجاد عهد عمر بن الخطاب •

بل ان عبدالعزيز بن مروان ، صار يتنبأ لابنه عمر بالمستقبل السعيد المرموق • فبعد ان اصابته البغلة الجامحة جبين عمر ، قال عبدالعزيز لزوجته أم طاصم : ويحك ، انه أشج بنى مروان ، وانه لسعيد • (١) وقد أصبح عمر موضع حسد أمراء بنى امية عامة ، وأولاد عبد الملك بن مروان خاصة • حتى اذا غائب بعض هؤلاء الامراء عبد الملك علسى تقريبه لعمر ، قال : انه سيلي الخلافة وهو أشج بنى مروان الذى يملأ الارض عمدا • بعد ان تملأ جورا ، فمالى لأحبوه لا أدنيه ؟ (٢) •

(١) ابن الجوزى ص ٧ ابن عبد الحكم ص ١٩

(٢) الاسفهانى : الاغنى ج ٨ ص ١٤٦ ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٣٤

وبات الناس يتقربون المصلح المنشود ، ووجدوه فى شخص عمر بن عبد العزيز ، وهو  
 حفيد عمر من أمه ، وسميه ، وقد ظهرت عليه العلامات التى حددها عمر بن الخطاب  
 ولا شك فى ان هذه النبوءات والامال قد اثرت فى نفسية عمر بن عبد العزيز ، فقتل  
 ان يكون شبيه جده عمر بن الخطاب ، وظاله عبد الله بن عمر ، فقد كان عبد الله اكبر  
 اساتذة عمر بن عبد العزيز ، كما كان له القدوة الطيبة والاسوة الحسنة .

أما العامل الثانى من العوامل التى اثرت فى نفسية عمر بن عبد العزيز ، وبلورت  
 أفكاره ، وغيّرت مسار حياته ، فكانت تجربة حكم المدينة ، بما فيها من خير وشكر ،  
 ومن حسنات وأخطاء ، ومن أبرز هذه الأخطاء التى كان لها صداها فى نفسية عمر ،  
 واثرها فى سلوكه فيما بعد حينما تولى الخلافة ، موقفه من خبيص بن عبد الله بسن

الزبير .  
 [ خاتمة الراشد ج ١ ص ٢٧ - ٤٦ عشر صفحات كبيرة  
 هذا تحت عنوان ( كيف نجحت على الطريق ) ؟ ]

رأينا فى الفصل الاول الخليفة عبد الملك بن مروان يحاول توسيع المسجد النبوى  
 بالمدينة بادخال حجرات زوجات النبى فيه ، فيثور اهل المدينة ، فيكف عبد الملك  
 عن مشروعه . (١) حتى اذا تولى عمر بن عبد العزيز ولاية المدينة ، أراد الخليفة الوليد  
 ابن عبد الملك ان يستفيد من شعبية عمر ، ومحبة اهل المدينة له ، فى تنفيذ مشروع  
 عبد الملك القديم . (٢)

- (١) روى العمري ( مسالك الابصار ج ١ ص ١٢٦ ) ان اهل المدينة بكوا بكائهم يوم  
 وفاة النبى صلى الله عليه وسلم .  
 (٢) اشترك فى هذه الاعمال عمال من الشام ومصر ، وأرسل امبراطور الروم الرخام  
 والفسيفساء ( البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٣ ) .

ورغم مكانة عمر ومنزلته في قلوب اهالي المدينة ، فقد ارتفعت أصوات البكاء في جوانب المدينة ، فقد ارادوا الاحتفاظ بذكريات عن امهات المؤمنين زوجات النبي عليه الصلاة والسلام وحاول عمر تهدئة الخواطر فاصطحب معه عددا من الفقهاء . وسكت البعض احتراما وتقديرا وحبا لعمر ، ولكن خبيب بن عبد الله بن الزبير تقدم الى عمر معترضا ، وقال : نشدتك الله يا عمر ان تذهب بآية من كتاب الله تقول : ( ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ) (١)

وزاد تهكم خبيب على عمر وسخريته منه ، بل انه حدث عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال : " اذا بلغ بنو ابي العاصي ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا " . وعلم الخليفة الوليد بمقالات خبيب ، فغضب وثاره ، وكتب السي عمر يأمره بأن يضرب خبيبا مائة سوط ثم يسجنه ، ولم يحتمل خبيب ضرب السي فمات . وكان موت خبيب صدمة نفسية شديدة حتى انه سقط على الارض . (٢)

ندم عمر ندما شديدا ، وحاول ان يمسخ عن آل خبيب احزانهم ، فكان يفقد الاموال عليهم ، فيقول الناس : دية خبيب . وكلما اجتهد عمر في الاحسان لسائر الناس ، وتحقيق العدل والاصلاح ، قال البعض : وكيف بخبيب على الطريق .

القائل المكرر للقول هو عمر

خامس الراية ج ١ ص ٢٨

(١) اليعقوبي ج ٣ ص ٢٩

(٢) الطبري ج ٨ ص ٢٦

وكانت هذه الاقوال تصل الى مسامع عمر ، فيزداد ألما وندما . وزاد من ألم عمر أن الوليد لم يحفظ له الجميل حين نفذ أوامره في خبيب ، بل ما لبث الوليد أن عزل<sup>ه</sup> عن ولاية المدينة . (١)

وتألم عمران احتضن الوليد واليه بالعراق الحجاج بن يوسف الثقفي فرأيناه يوليه إمارة الحج أولا ، ثم ينصت الوليد لتحريض الحجاج له على عزل عمر عن ولاية الحجاز ، وأصبح عمر " كبش القداء " ، فقد ظل في نظر أهالي المدينة المسئول عن موت خبيب ، وإن كان عمر — في الحقيقة — مضطرا لتنفيذ أوامر الخليفة ، وخاصة في وقت بدأ فيه تحريض الحجاج للخليفة ضده ، فماذا كان الموقف لو خالف عمر أوامر الوليد ؟ ولكن موت خبيب ، ظل " عقدة " دائمة في نفس عمر ، تثير آلامه وأشجانه ، كلما تذكرها .

وإدراك القاسم بن محمد بن أبي بكر الألم النفس الذي يعانيه عمر ، فقال له :  
أعلمت أن من مضى من سلفنا كانوا يحبون استقبال المصائب بالتحمل ومواجهة النعم بالتذلل . (٢)  
ولكن هذه الكلمات ، وأمثالها ، لم تنجح — عبر السنين — أن تخفف من آلام عمر وأسفه .

---

(١) الطبري ج ٨ ص ٥٦ ، ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٥

(٢) ابن الجوزي ص ٣٥ .

وكانت تجربة ولاية المدينة ، حافلة ومؤثرة . لقد بدأ عمر سياسة الحكم معتددا على العلماء والفقهاء ، معلنا بداية عهد من العدالة والتسامح ، وقام باصلاحات ومنشآت ، وارضى نفوس أهل المدينة وأشمرهم بالامان والاستقرار . وأصبحت ولاية الحجاز " ولاية مثالية " اذ قارناها بولاية العراق ، او بولاية مصر ، حيث الاستبداد والارهاب . ولكن الخليفة الوليد ، وواليه بالعراق الحجاج ، أراد ان تصبح الحجاز صورة للعراق ، فقد اتبع عثمان بن حيان بالمدينة ، وخالد بن عبد الله القسري في مكة ، نفس سياسة الحجاج بالعراق <sup>(١)</sup> . وهنا أدرك عمر أن سياسة الدولة هي — في الحقيقة — تنبع من الخليفة ، ولا يستطيع وال من الولاة الخروج على تخطيط الخليفة وسياسته ، وقد حاول عمر ان يخوض تمسجيرة المدل والاصلاح في الحجاز ، فتعارضت سياسته مع سياسة الخليفة ، فكان مصيره المزل . وهكذا لن يستطيع عمر ان ينفذ برامجه الاصلاحية الا اذا تولى الخلافة .

اما العامل الثالث الذي ترك بصماته في نفسية عمر ، ما لسه من مظالم الولاة الامويين ، المعاصرين له ، وخاصة مظالم الحجاج بالعراق ، ومظالم قرة بن شريك في مصر ، ومحمد بن يوسف اخي الحجاج في اليمن .

---

(١) الطبري ج ٨ ص ٩٠ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ٥٥٩ .



وكان عمر يستقبل في المدينة ، حين كان يتولى حكمها ، آلا فلا من أهالي  
المراق ، يلونون بعد له من مظالم الحجاج ، ويحث عمر الى الخليفة الوليد ينقل  
اليه اقوال هؤلاء اللاجئين المظلومين ، مما أثار غضب وحقد الحجاج على عمر ، وكتب  
الحجاج يوضح له خطر هرب أهل المراق الى الحجاز ، واستجاب الوليد لتحريض  
الحجاج ، فمزل عمر ، كما رأينا .<sup>(١)</sup>

وسمع عمر بما يأتيه ولاية مصر ، واليمن ، فأبدى أسفه والمه ، ودعا الله تعالى  
قائلا : امتلات الارض - والله - جورا ، فأرج النائم .<sup>(٢)</sup>

وفي دمشق ، بعد رحيل عمر عن السويداء ، استمر عمر في نصائحه للوليد ، والكشف  
عن مظالم الولاية ، فيستمع الوليد ، ولا يغير من الامر شيئا . وزاد الحاج عمر على الوليد  
فكتب الى الحجاج ينقل اليه نصائح عمر ، وأراد الحجاج ان يسكت عمر ، فبعث  
الى الخليفة رجلا من الخوارج ، يسب الخلفاء الامويين ويصفهم بالظلم والجور ، ويخص  
الوليد بالفزيد من السباب والشتائم . وبعث الوليد في استدعاء عمر الى مجلسه . وكان  
الخارجي حاضرا ، فسأله الوليد : ما تقول في فلان وفي فلان من الخلفاء ؟ فسبهم  
الخارجي ولمنهم . ثم سأله الخليفة : وما تقول في ؟ فأجاب الخارجي : ظالم  
جائر جبار . فأمر الخليفة بضرب عنقه . ثم سأل الخليفة عمر : كيف ترى فيمن سب

(١) اليعقوبي ج ٣ ص ٣٤

(٢) المبرد : الكامل ج ١ ص ٣٠٥

الخلفاء ؟ أتري ان يقتل ؟ • ولم يرد عمر ، فغضب الخليفة ، وانتهر عمر وقال : مالك لا تتكلم • وظل عمر ساكنا ، والخليفة يردد السؤال ، ثم أجاب عمر اخيرا : ينكل به • وازداد غضب الخليفة ، فقد كان يريد من عمر ان يفتى بقتل الخارجي • ومالبث الوليد ان استدعى عمر الى بيته ، وهناك سأله : ما تقول في هذا يا أبا حفص ؟ أصبنا ، أم أخطأنا ؟ فأجاب عمر : ما أصبت بقتله ، ولخير ذلك كان أسد وأصوب ، كنت سجنته ان بدا لك أو تعفو عنه • ولم تزد هذه العبارة الوليد الا غضبا •<sup>(١)</sup>

ومما زاد من الهوة بين عمر والوليد ، رغبة الوليد في خلع اخيه سليمان — من ولاية العهد ، بمساعدة عمر ، الذي رفض وقال : يا أمير المؤمنين ، انا بايعنا لكمما في عقدة واحدة فكيف نخلمه ونتركه •<sup>(٢)</sup> ولكن جرأة عمر جعلت الخليفة يأمر بحبسه ثلاثة أيام أثرت في محبته •

وما لبث ان مات الحجاج الثقفي سنة ٩٥ هـ ، فسجد عمر لله تعالى شكرا حين علم بموته • ثم مات في نفس الشهر قرة بن شريك • وكان عمر يقول عن الحجاج : لو ان الامم تخابثت يوم القيامة فأخرجت كل امة خبيثها ثم أخرجنا الحجاج لفلبناهم •<sup>(٣)</sup>

---

(١) ابن الجوزي ص ٢٥ وابن عبد الحكم ص ١٣٩

(٢) ابن الجوزي ص ٤١

(٣) ابن الجوزي ص ٨٩

وكان عمر ينصح دائما الخليفة الوليد بعزل قسرة بن شريك دون جدوى . (١)

واختلفت الصورة ، فكان عمر مسرورا ان أزاح الله تعالى البلاء والظلم عن المراق ومصر ، بينما كان الخليفة الوليد آسفا على فقد ه واليه الحجاج وقره في شهر واحد ، حتى انه جمع الناس وصعد الى المنبر ينعى الواليتين ، فكان مما قال الوليد : والله لاشفعن لهما شفاعتي تنفعهما . فقال عمر لمن حوله من الناس : انظروا الى هذا الخبيث ، لا أنا له الله شفاعتي محمد صلى الله عليه وسلم ، وألحقه بهما . (٢) وأدرك عمر ضرورة الاهتمام والعناية باختيار الولاة ، فكان هذا الإدراك من أسس سياسته حين تولى الخلافة .

ورغم ان سليمان بن عبد الملك كان اخف وطأة واكثر عدلا من سلفه الوليد ، الا ان سليمان لم يحقق آمال عمر في الاصلاح والتطهير ، فقد استمرت مظالم الولاة الامويين ، ويرى المستشرق ( فلموزن ) (٣) ان تغيير شخص والي ليس معناه تغيير نظام الحكم ، واذا كان الخليفة سليمان قد ولي يزيد بن المهلب حكم المراق ، الا ان يزيد اكتفى باضطهاد انصار الحجاج ولم يغير شيئا من نظم الحكم .

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢١٨

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٥

(٣) فلموزن : الدولة المربية ص ٢٥٢

وتفاءل عمر بتولية سليمان بن عبد الملك الخليفة ، ورأى ان يقف الى جـواره  
من أجل تحقيق الاصلاح المنشود . وكان سليمان يستشير في مهام الامور . واستمر عمر  
في النصيحة والعتاب ، وضاق سليمان أحيانا بالعتاب <sup>(١)</sup> . وقد كان عمر مخلصا فـى  
نصائحه ، بل لم يترك عمرا - مهما ضؤل - الا وقدم فيه نصيحة ، حتى ان عمر كان  
ينصح سليمان بعدم الاسراف فى الطعام . <sup>(٢)</sup>

وأراد عمر ان يعيد الطمأنينة والسرور الى قلوب أهل المدينة ، موطنه الاصلى ،  
ومقر ولايته السابقة . وخرج عمر سنة ٩٧ هـ مع الخليفة حاجا . وفى المدينة أغدق الخليفة  
الاموال على أهلها ، وظن ان هذا يكفى لرضائهم . وسأل الخليفة عمر عن هـذا  
الاغداق ، فأجاب عمر زائتكم زدت اهل الشنى غنى ، وتركت اهل الفقر بفقرهم . وفى  
الطريق الى مكة ، مر الـركب بمـعسكر عسـفان ، فأبدى الخليفة إعجابه بالمكان ، وسأل  
عمر : كيف ترى ما هاهنا يا عمر ؟ فأجاب عمر : أرى الدنيا يأكل بعضها بعضا ، أنت  
المستول عليها والمأخوذ بها . <sup>(٣)</sup> وأراد الخليفة استرضاء أهل مكة ، لينسيهم  
ما أوقعه بهم واليهـا خالد القسرى من مظالم ، فاستنبط ماء عذبا ، ولكن المكيين  
رفضوا الاقتراب منه تعبيرا عن سخطهم ، مما أغضب الخليفة . <sup>(٤)</sup> وفى عرفات ،

---

(١) ابن الجوزى ص ٣٦

(٢) اشتهر سليمان بأنه أكل نـعم لا يشبع ، بينما كان عمر يكثر من الصيام .

(اليمقوى ج ٣ ص ٤٣)

(٣) ابن الجوزى ص ٤١

(٤) اليمقوى ج ٢ ص ٣٧

حيث يزدحم الحجاج ، قال سليمان لعمر : أما ترى كثرة الناس بالموسم ؟ فقال عمر : هؤلاء خصاؤك يا أمير المؤمنين . فقال سليمان : ابتلاك الله بهم . واشتد البرق والرعد ، وفزع الخليفة ، وضحك عمر ، وسأل الخليفة عن سبب ضحك عمر فأجاب : يا أمير المؤمنين هذه رحمة الله قد أفزعتك ، فكيف لو جاءك عذابه .<sup>(١)</sup>

ويعتبر المستشرق ( فلهوزن )<sup>(٢)</sup> أن عصر سليمان هو بداية الصراع الحقيقي بين العرب اليمنيين والحجازيين ، وقد نتج عن صراع الولاة ، ثم يقول : أما انقسام العالم العربى الى قسمين متخاصمين على اساس الانقسام القبلى ، فإنه كان فى ذلك الوقت ما يزال فى دور التكوين ، وقد كان ما بين الولاة والرؤساء الاقوياء من عداة شخصى سببا جوهريا فى تفاقم خطب هذا الانقسام .

وأعلن عمر دائما سخطه على سياسة عامل الخراج فى مصر اسامة بن زيد ، فقد كتب الخليفة اليه : احلب الدرع حتى ينقطع ، والدم حتى ينصرم . واشتد اسامة فى جمع الضرائب مما آذى المصريين ، وانتقد عمر سياسة اسامة ، فقال سليمان : هذا لا يرتشى دينارا ولا درهما . فغضب عمر وقال : أنا أدلك على من هو شر من اسامة ولا يرتشى دينارا ولا درهما . حتى اذا سأل سليمان عن من يكون ، اجاب عمر : عدو الله ابليس .<sup>(٣)</sup>

---

(١) ابن الجوزى ص ٤٢

(٢) فلهوزن : الدولة العربية ص ٢٥٣

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٣١

أما المامل الرابع الذى ترك بصماته فى نفسية عمر ، فكانت فترة اقامته فى السويداء ، وقد خرج عمر من المدينة ، بعد عزله ، آسفا حزينا ، ان لقي جزاء سنمار من الخليفة وخرج ليلا ، يشقى فى الظلام ، ومعه مولا المخلص الورع مزاحم بن أبى مزاحم وتذكر عمر قول الرسول عليه الصلاة والسلام : " والذى نفس محمد بيده ما خرج أحد من المدينة رغبة عنها الا أبدلها الله خيرا منه او مثله " وقوله صلى الله عليه وسلم : " المدينة تنفى خبيثها " . فزادت آلام عمر ، فقال لمزاحم : يا مزاحم ، نخاف ان نكون ممن نفت المدينة . ( ١ )

وهكذا خرج عمر من المدينة بنفسية محطمة ، فكان فى حاجة الى فترة هدوء ، واسترجاع ، لتهدأ نفسه ، ويسترجع احداث الماضى فيلورها ويستفيد من حكمهم وعجائبها .

ورحل الرفيقان الى الشام ، واستقرا فى السويداء ، حيث كان لمرض فيها دار ، فلزمها ، يفكر ويتذكر ، يخلو الى نفسه ، بعيدا عن الحسد والحقد والدس . وتذكر عمر وصية ابيه عبد الميزيز بن مروان له حين قال : " اتق الله وأحسن تدبير مالك فانه لا مال لمن لا تدبير له ، وارفق بمن تعامله لانه لا عيش لمن لا رفق له ، وتجاوز عن شهواتك فانه لا عقل لمن لا يغلّب هواه " . ( ٢ )

---

( ١ ) الطبرى ج ٨ ص ٧٠

( ٢ ) ابن عبد الحكم ص ٢٥

رجع عمر الى نفسه ، ففطن الى معان في المظلات والوصايا لم يكن فطن اليها  
من قبل ، ونظر في وصية ابيه له ، فاذا هو لم يحسن تدبير ماله اذ كان ينفقه كله فى  
الثياب والطيب ، ثم نظر فاذا هو لم يرفق بمن عامله ، واذا هو بالغ فى القسوة  
فضرب على المدينة البعوث ، ثم قتل خبيثا . ثم نظر فاذا هو لم يتجوز فى شهواته  
فثنى وطرب وصفق . ( ١ )

ثم انطلقت نفس عمر من مجسها ، وخرج من ذاته الضيقة ، ونظر حوله ، فاذا  
المدينة قد عادت تحت وطأة الولاة القساة والولاة — وكان هو منهم — منصرفون عن رضا  
رعاياهم لارضاء الوليد . وكان الوليد بالشام قد سلط اولاده ( ٢ ) على اهل حمص  
يأكلون اموالهم وينتهبون اراضيهم ويمتلكون حوانيتهم ، ثم يكتب الوليد بهم بهم  
السجلات . وهذا هو الحجاج فى المراق يسفك الدماء ، وقره بن شريك فى مصر  
ظارق فى اللهو والشراب . ورأى عمر نفسه يملك أرضا واسعة ، لا سجل لها فى  
يديه . فود عمر لو جاءت الخليفة وصحت رؤيا جده عمر بن الخطاب ليخرج من ذلك كله ،  
يخرج من الثياب حتى يكاد يعرى ، ومن الطعام حتى يجوع ، ومن المال حتى لا يكون فى  
الارض فقير مثله .

---

( ١ ) سيد الاهل : الخليفة الزاهد ص ٦٦

( ٢ ) عمر وعباس وروح .

وهكذا اهتدى عمر الى الصواب كله ، فاتخذ العقيدة ، وجعل يوغل في الايمان  
بها ويحطم من حدة نفسه ويكسر من غلوائها ، فلما حانت الفرصة انطلق كالماصفـة  
في أقسى دورتها حول نفسها ، فاذا ابتعدت أخذت تهدأ ، فاذا كانت في الاطراف  
لم تحس الا انها ربح أو رضاء . (١)

أما العامل الخامس والاخير ، الذي كان له انطباعاته وآثاره في نفسه  
عمر ، ثم في برامج الإصلاحية ، فهي ظروف توليته الخلافة .

شهد عمر ما حل بأبيه من ظلم حين حرمه أخوه عبد الملك من حقه المشروع في  
ولاية العهد ، ليولى بعده ، ولديه الوليد ثم سليمان . ولم تجد معارضة عبد العزيز  
ابن مروان واحتجاجاته . وعمل عبد الملك على استرضاء عمر بن عبد العزيز دائماً ،  
وزوجه من ابنته فاطمة . وقد حاول الوليد خلع سليمان من ولاية العهد ، ولقـى  
معارضة شديدة ، وكان عمر من المعارضين . واراد سليمان تولية ابنه ايوب ولكنه مات  
في حياته .

وحرص سليمان بن عبد الملك ، وشعر بدنو منيته ، ورأى ان يختار ولي عهد .  
وكان اولاده لا يزالوا أحداثاً لا يصلحون للخلافة . (٢)

---

(١) المرجع السابق .

(٢) استعرض سليمان اولاده ، ثم انشد :  
ان بنى صبية صفار . . أفلح من كان له كبار



وهنا يبرز دور رجل صالح ، هيأته الاقدار لتحقيق نبوءة عمر بن الخطّاب ، وهو رجاء بن حيوة الكندي . الذي خلا بالخليفة وأشار عليه باختيار ابن عمه ، الرجل الصالح الورع عمر بن عبد العزيز . ونال الاقتراح موافقة سليمان ، ولكنه تخوف من أولاد عبد الملك ، وتوصل الرجلان الى حل المشكلة ، بان تكون ولاية العهد لعمر ثم ليزيد بن عبد الملك . ( ١ )

وكانت نفس عمر قد صفت ، حتى أصبح لها شفافيتها ، ولذا توقع ان سليمان سيعهد له بالخلافة بعده ، ورغم انه كان يدرك ان الخلافة هي سبيله الى تحقيق سياسته الاصلاحية الا انه شعر بالمسئولية ، فهو مسئول امام الله تعالى وأمام الرعية . فقال عمر لرجاء : ان سليمان كانت لي به حرمة ومودة ، وكان بي برا ومطاطفا ، فأنا اخشى ان يكون قد اسند الى من هذا الامر شيئا ، فأنشك الله وحرمتي ألا اعلمتنى ذلك حتى أستعفيه الان قبل ان تأتي حال لا أقدر فيها على ذلك . فقال رجاء : لا والله ما أنا بمخبرك حرفا واحدا . ( ٢ )

وكان رجاء بن حيوة بن جرول الكندي من اهل الاردن العلماء ، وكان أعبد زمانه من اهل الشام ، مرضيا حكيما صاحب بلاغة واناة ووقار ، وكانت الخلفاء تعرفه بفضلهم فيتخذونه مستشارا وقيما على عمالهم وأولادهم ، وقد وقف بين الخلفاء وقسوتهم وشهواتهم مواقف كثيرة منذ عبد الملك ، فلما كان سليمان أصبح لرجاء عنده من المنزلة ما ليس لاحد . ( ٣ )

---

( ١ ) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣

( ٢ ) ابن الجوزي ص ٤٨

( ٣ ) سيد الاهل : الخليفة الزاهد ص ٨٣

علق المستشرق ( فلهوزن )<sup>(١)</sup> على تولية عمر بن عبد العزيز الخلافة فقال :  
كان عمر من فرع جانبى من بنى امية ، كان قد نحاه عبد الملك ، والآن جاء ابن لعبد  
الملك فأثره على امراء الفرع الاساسى لبنى امية على كثرتهم . ولم يكن ذلك يخطر  
ببال أحد ، وربما كان أبعد شئ عن ذهن عمر بن عبد العزيز نفسه . ولم نقم مع  
هذا معارضة ذات شأن بسبب تعيين عمر ، ويظهر ان رجاء قد أحكم ما صنع ، وقد  
عارض هشام بن عبد الملك فى البيعة بعض المعارضة ، ولكنه اخذ جانب العقل لما هدده  
بالاصيف . اما عبد العزيز بن الوليد فلم يكن حاضرا ، ولما علم بموت سليمان ظن ان زمان  
قد جاء ، ولكنه اطمأن لما علم بان عمر صار خليفة .

وبعد موت سليمان بن عبد الملك فى ( دابق ) حيث كان يقيم ، طلب رجاء البيعة  
من بنى امية والناس على المهد الذى تركه سليمان . ولم يبايع هشام بن عبد الملك  
الا حينما سمع ان اخاه يزيد بن عبد الملك يخلف عمر بن عبد العزيز فى الخلافة . وهذا  
يثبت حكمة سليمان حين جعل يزيد بعد عمر ، ليتجنب معارضة بنى عبد الملك .<sup>(٢)</sup>

وكان ما جاء فى خطاب المهد مفاجأة كبرى لعمر بن عبد العزيز ، وهو يجلس  
بتواضع شديد فى أخريات المسجد ، وهو يقول لمن حوله من الناس : والله ان هذا  
الامر ما سأله قط فى سر ولا علانية . ومشى اليه رجاء مسلما عليه بالامسار

(١) فلهوزن : الدولة المصرية ص ٢٥٧

(٢) ابن عبد الحكم ص ٣٢

طالباً منه ان يصعد المنبر ، فلم يستطع عمر النهوض من وقع المفاجأة ، حتى أعانه رجاء ،  
فمكث عمر على المنبر فترة لا يتكلم ، ثم قال : " أيها الناس ، انى ابتليت بهذا الامر  
من غير رأى كان منى فيه ولا طلبه له ، ولا مشورة من المسلمين ، وانى قد خلعت ما فى  
أعناقكم من بيعتى ، فاخاروا لانفسكم . ( ١ )

وثارت الدهشة ، فلم يتوقع الحاضرون هذا الزهد الشديد فى الخلافة ، وقام  
رجل من الانصار فقال : يا أمير المؤمنين ذاك والله اسرع فيما يكره . ثم دنا من المنبر  
وقال لعمر : ابسط يدك أبايعك . وتحدثت فى جنبات المسجد صيحات تقبـول :  
اخترناك ورضينا بك قل أمرنا باليمن والبركة . ( ٢ )

وهكذا كان يوم بيعة عمر يوماً غير مألوف اذ يختلف عن الايام السالفة التى  
شهدت بيعة اسلافه من الخلفاء الامويين المتكالبين على الخلافة ، والذين لا يجدون  
حرجاً فى نقض المهود . وأثرت هذه الاحداث المفاجئة فى نفسية عمر ، فجعلته  
أعظم ايماناً بالله تعالى ، وأكثر تقديراً للمسئولية ، فقد ساق الله تعالى الخلافة  
اليه لتكون سبيله الى تحقيق الاصلاح والعدل والتطوير .

ولكن كان على عمر ان يتوقع معارضة شديدة من بنى امية عامة ، وبنى عبد الملك  
خاصة ، ورغم ان عمر كان أموياً ، الا ان بنى امية وقفوا من سياسته موقف المعارضة ،

---

( ١ ) ابن الجوزى ص ١٥

( ٢ ) ابن الجوزى ص ٥٥

منذ لحظة توليته ، فقد عرفوه ينشد العدل والرحمة لرعاياه ، وينبذ سياسة الخلفاء  
والولاة ، فقد كتب عبد الرحمن بن الحكم بن ابي العاص الى هشام بن عبد الملك يوضحه  
(١)  
ويقول :

بلغ هشام والذين تجمعوا .. بدابق عنى لاوقيتم ردى الدهر  
وانتم اخذتم حتفكم بأفكم .. كباحثة عن مديّة وهى لا تدرى  
عشية بايتم اما ما مخالفا .. له شجن بين المدينة والحجر

وهكذا تكاثفت عوامل عديدة على بلورة شخصية عمر ، وتكوين نفسيته وكان عمر  
الشاب فى المدينة ، غيره الوالى فى خنصرة ، ثم فى الحجاز ، وغيره فى السويداء ،  
ثم فى دمشق . ثم أصبح عمر الخليفة المزاهد ، الذى رأى ان يكون امتدادا لجده عمر بن  
الخطاب ، ولم يشأ ان يكون حلقة فى سلسلة الخلفاء الامويين . فأصبح جديرا بان  
تنسبه الى الخلفاء الراشدين .

---

(١) ابن عبد الحكم ص ١٤٨

### ٣- الثورات والحركات المعارضة

عاصر عمر بن عبد العزيز فترة قلق واضطراب فى الدولة الاموية ، ولاحق ساعات كانت تنذر بغروب شمس الدولة الاموية • والدولة الاموية من الدول الاسلامية العريقة ، وقد ساهمت فى نشر الاسلام بمواصلتها الفتوحات ، شرقا وغربا ، فى وسط آسيا وفى شمال افريقيا وفى جنوب اوربا • كما وضعت الدولة الاموية لبنات كثيرة فى صرح الحضارة الاسلامية ، وعملت على اتساع نطاق انتشارها • كما اهتم الامويون بتمريب الدواوين الحكومية وسكوا عملة عربية • ولكن عمر الدولة الاموية كان قصيرا فلم يستمر بقاءها غير ٩٢ سنة ( ٤٠ - ١٣٢ هـ ) فقد تكاثفت عدة محاول هدم على اسقاط الدولة الاموية •

ومن أبرز عوامل سقوط الدولة الاموية قيام حركات ثورية معارضة فى أرجاء كثيرة من الدولة الاموية • شهد عمر بن عبد العزيز فى طفولته وصباه وشبابه جانباً كبيراً منها •

كان مولد عمر بن عبد العزيز ، كما رأينا ، وحسب رواية بعض المؤرخين ، فى سنة ٦١ هـ ، وهى السنة التى شهدت مصرع الحسين بن على بن ابى طالب ، فى عهد الخليفة الاموى الثانى يزيد بن معاوية • وكان مصرع الحسين فى كربلاء حدثاً ضخماً له دويه فى أرجاء العالم الاسلامى • يقول عنها صاحب كتاب الفخرى <sup>(١)</sup> : هذه قضية لا أحب بسط القول فيها استمظاناً لها ، فانها قضية لا يوجد فى الاسلام أعظم فحشاً

(١) الفخرى ص ٨٤

منها ، ولعمري ان قتل أمير المؤمنين عليه السلام هو الطامة الكبرى ، ولكن هذه قضية جري فيها من القتل الشنيع والسبى والتمثيل ما تقشعر له الجلود ، واكتفيت عن بسط القول فيها بشهرتها ، فانها أشهر الطامات ، فلعن الله كل من باشرها وأمر بها ورضى بشئ منها . وكان لمقتل الحسين نتائج هامة في تاريخ العراق عامة وتاريخ الشيعة خاصة ، كما كان له آثار واضحة في العالم الاسلامي . فقد تخلفت عن كربلاء<sup>(١)</sup> آثار نفسية ، فقد فجع المسلمون المصابرون بقتل حفيد الرسول<sup>(٢)</sup> .

وتبلورت حركة الشيعة بعد استشهاد الحسين ، واتجهت اتجاهها دينيا ، بل غلب الجانب الديني في التشبع الجانب السياسي .<sup>(٣)</sup> وانضمت الى الشيعة كل العناصر المناوئة للدولة الاموية ، وخاصة الموالى ، فوضعوا بذلك أسس حركة الشيعية ولم تدرك الدولة الاموية ان قتل الحسين هو سلاح ذو حدين وضمت في ايدي أعدائها .<sup>(٤)</sup>  
(٥)

(١) خرج الحسين من مكة الى الكوفة في ٨ من ذي الحجة سنة ٦٠ هـ وارسل واليه عبيد الله بن زياد جيشا يتألف من عشرين ألفا لقتال الحسين وكان في تسعين نفسا مابين رجل وامرأة وطفل ، وانتهت مأساة كربلاء بمصرع الحسين ( الطبرى ، ج ٦ ص ٢٢ وما بعدها ، الدينورى : الاخبار الطوال ص ٢٥٦ ) .

(٢) الخربوطلى : تاريخ العراق ص ١٢٢

(٣) جولد تسيهر : العقيدة والشرعة في الاسلام ص ١٧٦

(٤) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج ١ ص ١٥٤

(٥) Muir : The Caliphate, p. 324.

وطاصر عمر بن عبد العزيز في طفولته حركة عبد الله بن الزبير في الحجاز،  
وامتدادها الى معظم أقاليم الدولة الاموية . وعانت المدينة المنورة ، موطن عمر بن عبد العزيز  
من نتائج الفزو الاموي وموقعة الحرة . فقد رأى الخليفة الاموي يزيد بن معاوية تأديب  
أهالي المدينة لتأييدهم لعبد الله بن الزبير . (١)

وعلم أهل المدينة بمسير القائد الاموي مسلم بن عقبة اليهم ، فحاصروا الامويين  
في دار مروان بن الحكم ، جده عمر بن عبد العزيز ، وهددوهم بالقتل ان امتنعوا عن  
ان يقسموا لهم ألا يفدوا بهم أو يطلعو الجيش الاموي على احوالهم . وسمح أهل  
المدينة لهم بالرحيل ، فخرجوا من المدينة حتى قدموا على الجيش الاموي . (٢) وحاول  
مسلم أن يقف منهم على أحوال المدينة ، ولكن عمرو بن عثمان بن عفان رفض ان تسمح  
لأهل المدينة ألا يفدوا بهم . أما مروان بن الحكم فلم يربأسا من احاطة مسلم علما بكسل  
ما أراد معرفته . (٣)

وأباح مسلم المدينة ثلاثة ايام لجنده ، يقتلون ، ويسلبون ، فأفزعوا الصحابة . (٤)  
وبلغ عدد القتلى من الصحابة ثمانين صحابيا ، ولم يبق بدري بعد ذلك ، كما قتل من قريش  
والانصار سبعمائة ومن سائر الناس من العرب والموالي عشرة آلاف . (٥)

- 
- (١) ابن الاثير : الكامل ج٤ ص ٤٨  
(٢) الطبري ج٤ ص ٥١  
(٣) الخريوطي : عبد الله بن الزبير ص ١١٢  
(٤) الطبري : ج٤ ص ٥١  
(٥) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج١ ص ١٥٢





الجانبية : قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان ، وفي هذا الموضع خطب عمر خطبته  
المشهرية [ معجم البلدان ج ٢ ص ٩١ ]

— ٥٨ —

(١) على دفع مروان الى الخلافة فيخلقون منافسا كبيرا لابن الزبير .

ورأى الامويون ان يجمعوا كلمتهم لمواجهة منافسة ابن الزبير الخطيرة ، فمقدوا  
مؤتمر الجانبية . (٢) الذي انتهى بالبيعة لمروان بن الحكم بالخلافة ، وبدأ الصراع

بين خليفة الشام وخليفة الحجاز حول مصر ثم العراق . ونجح مروان في انتزاع مصر من  
ولاة ابن الزبير . (٣) وولى عليها ابنه عبد العزيز ، وعاد مروان الى الشام . (٤) واخفق

مروان في انتزاع العراق من ولاة ابن الزبير وفي انتزاع المدينة وترك امر الصراع  
لخليفته عبد الملك بن مروان . (٥)

(٦)

وشهد عمر بن عبد العزيز في مطلع شبابه حركة المختار بن ابي عبيد الثقفي بالعراق

(٧)

الذي اعلن انه وزير آل محمد وداعية محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية

وانضم الموالى الى حركة المختار فاتخذ منهم جنده ، وازداد نفوذه بالعراق وتفوق  
على ابن الزبير . (٨)

ولقى المختار حقه على يد مصعب بن الزبير ، ثم نجح الخليفة  
عبد الملك بن مروان في انتزاع العراق من ولاة ابن الزبير . (٩)

(١) الخربوطلى : عبد الله بن الزبير ص ١٢٣

(٢) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ١١١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٤

(٣) المسمودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٢

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٦

(٥) المصدر السابق .

(٦) بدأ المختار حياته السياسية شيعيا يدعو للحسين بن علي ، ثم انضم الى ابن الزبير

خلال حصار مكة في عهد يزيد ، ولما لم يحقق ابن الزبير اطاعه ، دعا لابن الحنفية

( انظر كتاب المختار الثقفي للدكتور الخربوطلى ) .

(٧) المسمودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢١

(٨) اليعقوبي ج ٣ ص ٥ ، الطبري ج ٧ ص ١٠٥ (٩) ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ١٣٥

وما لبث عمر بن عبد العزيز ان شهد صورا اخرى لتمزق الدولة الاموية ، واضطرابها بالفتن والقتال في عهد صهره عبد الملك بن مروان . فقد قامت في العراق في عهده حركة عبد الرحمن بن الاشعث ، نتيجة عدة عوامل ، منها خلافه مع الحجاج بن يوسف الثقفي والى العراق ، ومنها سوء حالة الموالي ، الذين ازروا ابن الاشعث <sup>(١)</sup> . واصبحت حركة ابن الاشعث حركة انفصالية قام بها موالي العراق ضد الشام ، فهي ليست موجهة الى الحجاج فحسب ، بل الى الدولة الاموية بأسرها . وانتهت حركة ابن الاشعث ، بمد جهود كبيرة بذلها الامويون ، بالاخفاق <sup>(٢)</sup> .

كما شهد عمر بن عبد العزيز حركات الخوارج ، واثارتهم الرعب والفرع في بعض اقطار الدولة الاموية ، فوضع في ذهنه حل هذه المشكلة اذا تولى الخلافة ، بصورة تختلف عن صور مواجهة الامويين التقليدية لفتن الخوارج . فقد اتصف الخوارج بالتطرف في افكارهم السياسية والدينية ، وحكموا بالكفر على المخالفين لهم في الاراء ، وأباحوا دماء مخالفيهم بل قتلوا نساءهم وأطفالهم <sup>(٣)</sup> . وظهر خطر الخوارج في عهد عبد الملك بن مروان ، نتيجة بغضهم لواليه بالعراق الحجاج بن يوسف الثقفي ، الذي جند اهل المـراق لقتال الخوارج <sup>(٤)</sup> .

- 
- (١) اليعقوبي ج٣ ص ١٢ ، المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٢٧٢
  - (٢) دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد السابع ، ص ٣١٥
  - (٣) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٨١ ، الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٢٢
  - (٤) الطبري ج٧ ص ٨٨ ، البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٥١
  - (٥) المسعودي : مروج الذهب ج٣ ص ٢٠

(١)  
ونجح عبد الملك فى كسر شوكة الخوارج فى عهده . مما اعطى الفرصة للوليد  
بن عبد الملك للقيام بالفتوحات ، كما نجح عمر بن عبد العزيز — كما سنرى — فى الحوار  
معهم واقناعهم بالهدوء .

ومن أبرز احزاب المعارضة فى العصر الاموى ، جماعات الشيعة . وقد اصبحت  
اقدار الفرق الاسلامية على العمل فى الخفاء ، فوضعت انظمة سرية لنشر تعاليم الشيعة  
بين الجماهير . ومن الطبيعى ان هذه الانظمة كانت موضع مراقبة السلطات الاموية  
ومطاردتها ، وكان اضطهاد العلويين هو شغل الحكام الشاغل ، ولم يفت هؤلاء ان يبرروا  
الدعاية السياسية التى تبثها الشيعة خطرا يهدد سلامة الدولة وأمنها . (٢)

كانت اشهر فرق الشيعة قبيل تولية عمر بن عبد العزيز فرقتي الامامية والكيسانية . أما  
فرقة الامامية ، فقد لجأ ائمتها على زين العابدين ثم محمد الباقر الى الامامة الروحانية ،  
ولم يملنوا الثورة والكفاح ، وانصرفوا الى الحلم والدين ، ورأيا ان تهذيب النفوس وصقل  
العقول واعداد المسلم الصالح خير الوسائل المناسبة للجهاد فى ذلك العصر حتى تنهيا  
الفرصة للكفاح المسلح .

كما اتجهت الشيعة الامامية الى الدعوة السرية أو ما يسمونه الثقة والكتمان . (٣)

---

(١) الطبرى : ج ٧ ص ٢٢٦-٢٢٩

(٢) جولدتسيهر : العقيدة والشرعة ص ١٧٧

Lammens : L'Islam, p. 159.

(٣)

فقد كانت الشيعة تحارب جهرا كلما امكنها ذلك ، ولكن الظروف لم تساعد هم على ذلك فتحولوا الى المقاومة السرية .

أما الشيعة الكيسانية ، فهم اتباع المختار الثقفي الذين دعوا لمحمد بن الحنفية ، وقد تفرع عن هذه الجماعة فرقة الهاشمية ، ونادت بأن ابن الحنفية قد اوصى الى ابنه عبد الله بن محمد المصروف بأبي هاشم بالامامة بعده .<sup>(١)</sup> وقد نظم ابو هاشم الدعوة وجاهد في ضم صفوف الشيعة سواء أكانوا غلاة أم معتدلين مادام يجمعهم كراهية الامويين واضطهاد ولائهم لهم ، وحاول التوفيق بين الاسلام والعقائد غير الاسلامية ، تلك العقائد التي كانوا لا يكشفون خباياها الا لمن يكرسونه لتلك الدعوة .<sup>(٢)</sup> وكان يشترط في الدعوة الاخلاص التام للامام والطاعة المصميا لاوامره .<sup>(٣)</sup>

وقبيل تولية عمر بن عبد العزيز ، حدثت حادث هام غير مسار الدعوة الهاشمية . فقد بدأ أبو هاشم نشاطا واسعا لبث دعوته في سائر الاقطار ، وعلم الخليفة سليمان بن عبد الملك بهذا النشاط وأدرك خطورته ، فرأى الخلاص من ابى هاشم باغتياله ، فأوعز الى رجل بان يعطيه لبنا مسموما .<sup>(٤)</sup> وكان ابو هاشم حينئذ بالشام ، قرب قرية الحميمة من اعمال حمص ، وبدأ السم يسرى في جسده ، وادرك قرب وفاته ، ورأى ان يفضي

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص ٢٥١

(٢) الخريوطي : تاريخ العراق ص ٢١

(٣) فان فلوتن : السيادة العربية ص ٩٢

(٤) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج٢ ص ١٣٢

بوصيته الاخيرة وبأسرار الدعوة وبأسماء الدعاة ، ورأى ان يتجه الى الحيمة حيث تميش الاسرة العباسية ، وبعد نفيها من الطائف .

قال ابو هاشم لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس : " يا بن عم أنا ميت وقد صرت اليك ، وهذه وصية أبي الى وفيها ان الامر صائر اليك والى ولدك والوقت الذي يكون ذلك والعلامة وما ينبغي لكم العمل به على ما سمع " ثم اوصاه بالشيعة خيرا ، وان يتخذ منهم دعائه وانصاره ، وان يجمل خراسان مركزا لدعوته والانصراف عن الدعوة ففى الشام ونصحته بان يجمل دعائه اثني عشر نقيا ، حتى اذا دخلت السنة المائة بمث رساله ودعائه . (١)

وعمل محمد بن علي بنصيحة أبي هاشم فبعث سنة ٩٧ هـ ميسرة النبال الى الكوفة ، وهو من الموالى ، فوضع بذلك أسس الدعوة العباسية . وفى سنة ١٠٠ هـ ، توافدت شيعة الصراق على محمد بن علي فى الحيمة بالشام ، فأرادوه على البيعة ، فقال لهم : " هذا لأن ما نؤمل ونرجو من ذلك لانقضاء مائة سنة من التاريخ " . (٢) ووجه دعائه الى الصراق وخراسان ، فأقبلت الشيعة على البيعة لمحمد بن علي . (٣)

كان عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ هـ يعولى الخلافة . وكان المسلمون يرددون حديثا نبويا شريفا نصه : " ان الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها " . (٤)

(١) اليعقوبى ج ٣ ص ٤٠

(٢) الدينورى : الاخبار الطوال ص ٣٣٤

(٣) الطبرى ج ٨ ص ١٣٦

(٤) جاء الحديث فى سنن أبى داود واكد الامام بن حنبل صحته .

ينبغي التوسيل هنا  
لماذا كما نرى هو المجدد الأول ؟

وأختلف المسلمون فى نوعية هذا المجدد ، فقد يكون حاكما او فقيها او محدثا . ورأى كثير من المسلمين ان هذا المجدد هو عمر بن عبد العزيز نتيجة ما اتبعه من سياسة عـدـل وتسامح واصلاح . ولكن كان هناك فريق من المسلمين يرون نقض الخلافة الاسلامية من اساسها ، واقامة خلافة هاشمية ، يتولاها هاشمى من البيت النبوى الشريف ، سواء أكان علويا أو عباسيا . وقد كان محمد بن على بن عبد الله بن العباسى قد جمل الدعوة للرضا ومن آل محمد أى من يرتضيه المسلمون من آل الرسول ، دون تحديده بأنه علوى أو عباسى .

وكانت سياسة السلام والعدل التى اتبعها عمر من العوامل التى شجعت محمد بن على العباسى على بدء الدعوة العباسية . ولو كان الخليفة القائم غير عمر بن عبد العزيز لواجهها فى حزم وعنف ، فطامت فى مهدها .

وهكذا كانت تولية عمر بن عبد العزيز من أبرز عوامل نجاح الدعوة العباسية ، ثم قيام خلافة بنى العباس فى العاشر من المحرم سنة ١٣٢ هـ . ومات محمد بن على تاركا ابناؤه ابراهيم وأبا العباس والمنصور يكملون مبادئه ابوهم وحمل ابراهيم لواء الدعوة العباسية وكان ابو مسلم الخراسانى اخر الدعاة الذين بحث ابراهيم بهم الى خراسان حيث كانوا جيشا ضخما هزم به مروان بن محمد آخر الخلفاء الامويين . وسقطت الدولة الاموية . (٢) وقد ر المباسيون عدالة عمر ونزاهته فلم يسيئوا الى جثمانه ، رغم اساءتهم لسائر الخلفاء الامويين .

(١) الدينورى : الاخبار الطوال ص ٣٦٥

(٢) الطبرى ج ٨ ص ١٣٧ وما بعد ها ، الفخرى ص ١٠٤ وما بعد ها .

#### ٤- مشكلة الموالى

ظهرت مشكلة الموالى مع قيام الدولة الاموية ، واستمرت العامل المؤثر فى السياسة والاجتماع والاقتصاد ، طوال العصر الاموى ، ثم كانت العامل الرئيسى فى سقوط الدولة الاموية التى قصر عمرها فلم يتجاوز ٩٢ عاماً .

الموالى — عند المؤرخين المسلمين . هم المسلمون من غير العرب . أما الفقهاء ، فيجملون الموالى على نوعين ، موالى العتق ، وموالى الحلف ، اما الفريق الاول ، فهم من كانوا رقيقاً ثم أعتقهم اسيادهم ، وكان العرب ، خلال الفتوحات الاسلامية ، قبل غزو مدینة ما يخيرون اهلها بين أمور ثلاثة : الاسلام أو اداء الجزية أو القتال . فاذا اعتنقوا الاسلام أصبح لاهل المدينة ما للمسلمين من حقوق وواجبات . واذا اصرروا على الاحتفاظ بحقيدتهم لهم ذلك فلا اكراه فى الدين ، مقابل دفع الجزية ، واذا رفضوا هذين الحلين السلميين ، لم يبق غير القتال . فاذا انتصر الفاتحون المسلمون أصبح اهل المدينة أسرى أرقاء . ( ١ )

نصح الاسلام المسلمين بمعاملة رقيقهم معاملة انسانية كريمة ، وحشهم على تحرير الرقيق ، وجعله كفارة عن كثير من الذنوب والاثام . ( ٢ ) وتحول صلة الرق بعد العتق الى صلة ولا ، ويطلق على الارقاء اسم ( موالى ) وكان السيد يدفع الدية عن مولاه اذا ارتكب جناية ، كما كان السيد يرث معتقه ، وقد كتب عمر بن عبد العزيز الى واليه بالعراق " مولسى المتأقّة يورث ولا يرث " . ( ٣ )

( ١ ) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٥١ ، الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٢٥

( ٢ ) مثل القتل الخطأ والحنث فى اليمين . قال الله تعالى ( ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ) وقال عز وجل ( فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة ) .

( ٣ ) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٤ ص ٤٣٦

وهناك نوع آخر من الموالى ، هم الاهالى الذين اسلموا وانضوا الى المـرب ،  
ودخلوا فى خدمتهم وتحالفوا معهم لكى يمحزوا بشوكتهم وقوتهم ، فأصبحوا موالى أيضا  
بالحلف . ( ١ )

دخلت كثير من العناصر الاجنبية فى الاسلام ، وشاركت فى النهضة بالحضارة  
الاسلامية على امل ان تتحقق لها المساواة مع سائر العرب . ولكن سرعان ما خاب أملهم ففى  
العصر الاموى ، فقد كانت الدولة الاموية دولة عربية صميمة تحتز بعرويتها ويصل هذا الاعتزاز  
الى درجة التعصب ضد سائر العناصر الجنسية الاخرى فى الدولة ، ولم يحرض الامويون  
غلبا على تحقيق تعاليم الاسلام التى تنهى عن اى لون من ألوان المصيبة ، وخاصة  
المصيبة الجنسية ، وقد مارس الامويون سياسة التفرقة المنصرية .

ترفع العرب واعتبروا انفسهم أسى من سائر العناصر الجنسية ، فكانوا يسمون  
الموالى ( المـجم ) ، وقد اشتقوا هذا الاسم من لفظ ( الاعجم ) وهو الاخرس ( ٢ ) ، والفصاحة  
فى رأى العرب ، من خصائصهم وحدهم . واعتبر العرب الموالى دخلاء فى الدين والقومية  
العربية ( ٣ ) ، واصبح هؤلاء العرب طبقة ارستقراطية تعلو سائر طبقات المجتمع . واعتبر  
العرب زواج المولى من فتاة عربية زواجا غير متكافئا وحكموا ببطلانه . وكان العرب يطلقون  
اسم ( الهجين ) على من كان ابوه عربيا وأمه أعجمية ، ويطلقون لفظ ( المذرع ) على كل من  
كانت امه عربية وأبوه أعجميا . ( ٥ )

( ١ ) المصدر السابق ج ٤ ص ٤٣٤

( ٢ ) جرجس زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ج ٤ ص ١٤

( ٣ ) جوزى : من تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام ص ٤٣

( ٤ ) Nicholson: A Lit. Hist. of the Arabs, p. 247.

( ٥ ) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ١ ص ١٢٩ - كان العرب فى الجاهلية لا يورثون الهجين .



كان من أبرز العوامل التي أثرت في حياة الموالى الاجتماعية تمصّب العرب ضدّهم فقد احتقر الامويون بتأثير العصبية جميع الاقوام غير العربية ، وعدوهم في منزلة اجتماعية ادنى من العرب ، وابعدوهم لذلك عن السياسة والقيادة ، ففرضوا عليهم من الضرائب اكثر مما فرضوه على العرب ، فالعصبية تبدأ للبيت الاموى ثم للقبيلة ثم تتوسع أخيرا فتكون للامّة العربية . (١)

أبى العرب الاحتلاط بالموالى وحافظوا على طابعهم العسكري لتكون مهنتهم الحرب والجهاد . وكان العرب يستخدمون الموالى في الحروب كمشاة ولا يسمحون لهم بان يكونوا فرسانا . (٢) فقد كان العرب يعتقدون ان مهنتهم الاولى هي الحرب ، وانهم اذا اشركوا مواليتهم معهم فهذا استثناء ، فالموالى لم يخلقوا الا للحرف والمهن الوضيعة كما قال عربى : " يكسحون طرقنا ، ويخرزون خفافنا ، ويحكون ثيابنا " . (٣)

ولذا انصرف الموالى الى النشاط الاقتصادي ، فسيطروا احيانا على الحياة الاقتصادية وحازوا ثروات واسعة ، كما اشتغل كثير منهم بالملم والادب ، وساهموا في نهضة الحضارة الاسلامية مساهمة فعالة ايجابية ، فقد اراد هؤلاء الموالى ان يثبتوا وجودهم في الدولة الاموية ، وانهم ينتمون الى اصول حضارية عريقة . واشتهر كثير من الموالى بالورع والتدين ، ولا شك في ان هذه الروح الدينية دفعتهم الى عدم الرضا عن بعض الخلفاء الامويين الذين اقبلوا على الملذات والشهوات . (٤)

(١) الدورى : مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ص ٧٧

(٢) الطبرى : ج ٧ ص ١٤٧

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٣ ص ٤١٤

(٤) سيدىو : تاريخ العرب العام ص ١٧٣

(١)

وتمدد صور احتقار العرب للموالى فى المجتمع الاموى ، وذكر ابن عبد ربه ،

عدة امثلة ، فكان العرب لا يقبلون ان يؤمهم مولى فى الصلاة ، وكانوا يقولون ايضا : لا يقطع

انصلاة الا ثلاثة : حمار أو كلب أو مولى . وكان العرب لا يكمنون الموالى بالكفى ولا يدعونهم

الا بالاسماء والالقاب ولا يمشون فى الصف معهم ولا يقدمونهم فى الموكب ، ولا يشاركوهم مجالس

الطعام ، ولا يزاجوهم واذا اراد العربى الزواج من بنات الموالى خطبها من مولاها

وسيدها ، لا من أبيها أو اخيها ، وان زوجها أبوها أو اخوه بدون ان السيد اعتبر المقد

باطلا . (٢)

كان الامويون فى حاجة الى الكثير من الاموال لمواجهة الثورات الداخلية الضعادة ،

وللقيام بالفتوحات الواسعة وللانفاق على مظاهر البذخ والترف ، ولذا تخلوا عن نظام

عمر بن الخطاب الذى يحفى من يمتنع الاسلام من الجزية ، كما فرض الولاة الامويون على

الاهالى تقديم الهدايا فى الاعياد ، مما زاد من أعباء الموالى المادية . ولم يتبع الامويون

سياسة ثابتة فى المعطاء الذى تصرفه الدولة ، فكان عطاء الموالى ينقص ويزيد تبعا لاهواء

الخلفاء او ظروف الدولة ، ولكن كان عطاء الموالى اقل من عطاء العرب دائما . (٣)

---

(١) المقد الفريد ج ٣ ص ٤١٢-٤١٣

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ج ٢ ص ١٣٠

(٣) اليعقوبى ج ٢ ص ١٩٤

دخل الموالي التنظيم القبلى ، وتأثروا بالعصبية العربية فكان موالى كل قبيلة ينتسبون اليها ويحاربون فى صفوفها . (١) وكلما وجدت كلك العصبية سادت حالة الموالي وانحدرت منزلتهم ، حتى اذا ما اختفت ارتاحت نفوس الموالي . (٢)

وادت هذه السياسة الاموية المتعصبة للعروبة الى ظهور نزعات قومية عند الموالى وخاصة الفرس ، والذين ادركوا ان الدولة لا تساوى بين رعاياها جميعا ، ولا توفر لهم المناخ الصالح للامتزاج ثم الاندماج ، ولذا حافظ الموالى الفرس على شخصيتهم وحضارتهم الفارسية واراد بعضهم احياء الدولق الفارسية القديمة فسى ثوب اسلامى جديد ، وتطرف البعض ، فأراد احياء العقائد المجوسية البائدة ، ونتجت عن هذه الاتجاهات كلها ظهور تيارات الشعبوية وزعم الشعبويون ان اخطب الناس هم الفرس ، وان الفرس اكثر معرفة مسن العرب بأمر الحرب . (٣) كما اعز الموالى الفرس بمساهمتهم فى النشاط الدينى والادبى والعلمى ، وفى النشاط الاقتصادى . (٤)

ويسرر استاذنا الدكتور على حسنى الخربوطلى (٥) تعصب العرب على الموالى ، بخيرة العرب على الاسلام وعلى اللغة العربية . فقد شمر العرب ان بعض الموالى قد اعتنق

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٩٦

(٢) الطيب النجار : الموالى فى العصر الاموى ص ٢٨

(٣) الجاحظ : البيان والتبيين ج ٣ ص ٦

(٤) Sykes: Hist. of Persia, V.I, p. 537.

(٥) تاريخ المراق ص ٢٥٦

الاسلام لمصالح ذاتية ، منها الخلاص من الجزية ، وان بعضهم أسلم ظاهريا واحتفظ  
فى قلبه بمقائده القديمة . كما كانت الخيرة على اللغة العربية من العوامل التى أدت الى  
حركة تعريب الدواوين فى عهدى عبد الملك والوليد .

عاصر عمر بن عبد العزيز ، قبل توليته الخلافة ، فترة ساءت فيها احوال الموالى مما أصبح من  
المحتم على عمران يسارع بحلول ناجحة لحل مشكلة الموالى .

انضم الموالى ، وخاصة الفرس ، الى كل الاحزاب المصارضة ، والى كل ثائر ضد  
الدولة الاموية ، مهما كانت دوافعه وآراؤه . وهدفهم اسقاط الدولة الاموية ، وإقامة  
دولة اخرى تحقق للموالى المساواة مع العرب . فانضموا الى الشيعة والخوارج والى الحسين  
ابن على وعبد الله بن الزبير والمختار الثقفى وعبد الرحمن بن الأشعث وغيرهم .

عاصر عمر بن عبد العزيز فترة ولاية الحجاج بن يوسف الثقفى لبلاد العراق ، وابتدى  
سخطه على قصوته وجبروته ، ونصح الخليفة الوليد بن عبد الملك بعزله ، وبدون جسدوى .  
ولكن الوليد وأباه عبد الملك كانا لا يهتمان باسترضاء رعاياهم بالعراق ، بقدر اهتمامهما  
بحفظ الامن وتحقيق الاستقرار فى العراق . فقد قال عبد الملك للحجاج حسين ولاه حكم  
العراق : " سرالى العراقيين واحتل لقتلهم فانه قد بلغنى عنهم ما أكره " . ( ١ )  
ويصف المستشرق ( وليم ميور ) ( ٢ ) الحجاج بأنه الصورة المجسمة للقسوة ، وانسبه

( ١ ) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ٣١

( ٢ )

إذا كان قد وطد الحكم الاموى ، وقضى على الشغب ، فان هذا كله لا يبرر سفكه الدماء  
فى تلك القسوة الوحشية المتناهية . وقد بنى الحجاج مدينة واسط ، فأصبحت مدينسة  
اموية وسط العراق ، وحكم العراق بجند من الشام .<sup>(١)</sup>

وقام الموالى بثورة عنيفة ضد الحجاج بزعامة عبد الله بن جارود<sup>(٢)</sup> ، ثم بزعامسة  
عبد الرحمن بن الاشعث<sup>(٣)</sup> . وكانت هزيمة ابن الاشعث ومالاه على الموالى ، فقد بدأ  
الحجاج عمدا جديدا من القسوة والارهاب ، حتى ان الخليفة عبد الملك ابدى استياءه  
ولام الحجاج .<sup>(٤)</sup>

ويعلق المستشرق ( فلهوزن )<sup>(٥)</sup> على موقف الخليفين عبد الملك والوليد ، من كل  
من الحجاج وعمر بن عبد العزيز ، فيقول : كان مسلك عبد الملك من الحجاج احيانا  
مسلك السيد الامر ، فلما جاء الوليد بن عبد الملك ، وكان الحجاج يتمتع بكامل سلطنته  
بل كان ينصاح له ويستجيب الى رغباته حتى فى دائرة اختصاصه كخليفة . فمن امثلة ذلك  
ان عمر بن عبد العزيز كان واليا على المدينة ، فلجأ اليها بعض اهل العراق فرارا  
من عسف الحجاج ، فكتب عمر الى الوليد ينبهه الى ظلم الحجاج لاهل العراق ، فكتب

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ج٢ ص ٦٨

(٢) الطبرى ج٧ ص ١٤ وما بعد ها — ابن الاثير : الكامل ج٤ ص ١٥٨ وما بعد ها .

(٣) الطبرى : ج٨ ص ٧٢ وما بعد ها .

(٤) المسعودى : مروج الذهب ج٣ ص ٧٥

(٥) فلهوزن : الدولة المربية ص ٢٤٣

الحجاج الى الوليد بان لجوء أهل العراق الى المدينة هو وهن في سلطان الدولة .  
فطلب الوليد من الحجاج ان يرشح له رجلين ليوليها مكة المدينة بدلا من عمر .

على ان الموالي ما لبثوا ان شغلوا بالفتوحات الواسعة التي قام بها الوليد بن  
عبد الملك عن الثورة ، فاشترك الالف من موالي العراق في فتح الاجزاء الشرقية من العراق  
وخراسان مثل بخارى والطالقان وطخارستان والصفد وسجستان وغيرها . (١)

ثم تولى الخلافة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٥ هـ ، الذي ولي يزيد بن المهلب حكم  
العراق وأعلن أنه سيمحو مظالم الحجاج ، فأقام الموائد لاطعام فقراء العراق (٢) ،  
وأطلق سراح ثلثمائة ألف سجين ازدحم بهم سجون الحجاج . ثم صاد رأموال آل  
الحجاج (٣) . وأراد سليمان ان بنفس الموالي عما في صدورهم من كراهية الحجاج فكان  
يأمر وفود العراق بشتم الحجاج (٤) . وزاد سليمان عطاء الموالي الى خمسة وعشرين  
درهما . (٥)

علق المستشرق (فلهوزن) (٦) على احوال الموالي قبيل تولية عمر ، وفي عهد سليمان  
فقال : بعد موت الحجاج وموت الوليد بعده ، بتليل تنفس أهل العراق الصعداء ،

(١) اليعقوبي ج ٣ ص ٣٠

(٢) الطبري ج ٨ ص ١١٤

(٣) الدميري : حياة الحيوان ج ١ ص ٧٩

(٤) الجاحظ : البيان والتبيين ج ١ ص ٣١١

(٥) ابن عبد ربه : المقد الفريد

(٦) فلهوزن : الدولة العربية ص ٢٥٣

ولكنهم لم يلبثوا ان تبينوا ان تخير الاشخاص لم يأت معه تغير النظم ، وان يزيد بـهـنـ  
الهلـبـ وان كان قد آذى آل الحجاج وعـماله ، فانه لم يسلك فى الحكم طريقا غير طريق  
الحجاج . فهو أقام مثله فى واسط ، واستبقى أهل الشام فى العراق ، ووجد انـهـ  
لا يستطيع ان يغير شيئا من نظام الضرائب التى بغضت الحجاج الى الناس ، ان كان لابد  
ان يبقى دخل الدولة فى المستوى العالى الذى كان عليه . على ان يزيد اراد ان يتفادى  
بغض أهل العراق له ، فطلب الى الخليفة ان يعفيه من ولاية الخراج وان يقلد هـا  
لعامل آخر أشار به ، ولكن ذلك آل الى شيء لم يكن يخطر له على بال ، لان العامل  
الذى أشار به يزيد وعينه سليمان على خراج العراق كان عاملا قديما من عمال الحجاج ،  
وهو صالح بن عبد الرحمن ، وهو الذى نقل لغة الديوان الى اللغة العربية . وكان  
لصالح فى واسط اربع مائة من جند الشام تحت تصرفه يسرون بين يديه اذا خرج  
وقد ضيق على يزيد ، ورفض ان يحمل خزانة الخراج تلك النفقات الكبيرة التى كان  
ينفقها يزيد . وكان يزيد رجلا همه الطعام والشراب والنساء ، وكان بدينا فاسـدـ  
الصورة .

كان سليمان بن عبد الملك أخف من الوليد وطأة وألين عريكة وأسمع للنصح ،  
فضم اليه عمر بن عبد العزيز يستشير به ، ووجد عمر فى سليمان الخصب الذى يزرع فيه  
فيمنو زرع ، فلزمه يهديه ويرشده ، ولزمه سليمان يسأله ويستفتيه ، وصارت له عند  
منزلة دون جميع بنى مروان . (١)

---

(١) سيد الـاهـل : الخليفة الزاهد ص ٧٥

## ٥ - فساد الجهاز الحكومي

كانت الدولة الاموية قبيل تولية عمر بن عبدالمزيز الخلافة فى حاجة الى حركة  
تصحيحية ، تصحح من الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية السائدة ، وكان لابد أيضا من  
توفير أداة تنفيذية صالحة تشرف على التصحيح والتطهير والتطوير ، وذلك بتنقية الجهاز  
الحكومى والادارى من الشوائب التى شابها منذ بداية العصر الاموى سنة ٤٠ هـ . وكان  
لابد من تجديد الدماء ، والاستفادة من العناصر المعروفة بالصالح والحزم والنزاهة .

أهل الاميون التوفيق بين مصالح الطبقات المتضادة ، أى بين مصلحة الفنى  
والفقير ، وبين مصلحة الاقطاعيين والفلاحين ، فترتب على هذا الاهتمام حالة اجتماعية  
توترت فيها العلاقات بين طبقات المجتمع الاسلامى ، وبلغ هذا التوتر درجة أدت الى  
اصطدام عنيف ما أدى الى تصدع الدولة الاموية .<sup>(١)</sup>

اتصفت الادارة فى العصر الاموى بمظاهر سيئة كثيرة ، فقد ولى الخلفاء  
الاميون عمالا أشداء لا يبالون بالدين ولا أحكامه فى سبيل أغراضهم ، وكان هؤلاء العمال  
يختصون بجانب كبير من أموال الدولة ، وقد تفاضل معظم الخلفاء عن هذه المفاسد  
ترغيبا لهم فى البقاء على ولائهم ، وزادت نفقات العمال زيادة فاحشة .<sup>(٢)</sup>

---

(١) جوزى : من تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام ص ٤

(٢) جرجس زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ج ٤ ص ٧٩ .



ولى بعض الخلفاء حكم الولايات لبعض أبناء البيت الاموى فأساءوا السيرة ، وأغض  
الخلفاء عيونهم من مظالمهم حرصا على الرابطة العائلية ، وكان هم معظم السـلـوة  
ابتزاز الاموال وارضاء العامة ببذل الاموال الكثيرة . ولم يكن الرؤساء وحدهم هم  
الذين يشرون على حساب بيت المال ، فقد كان هناك طائفة من صفار الموظفين لا شغل  
لهم الا الاثراء بالاختلاس والسلب واستطاع عدد كبير منهم جمع ثروات ضخمة . ( ١ )

( ٢ )

علق المستشرق ( فلهوزن ) على تولية الامويين حكم الامصار الاسلامية ، فقال :  
أعطى عبد الملك أقاربه من بنى أمية من التمتع بالسيادة نصيبا أوفر لما كان يعطيهم  
أيامه من كان قبله من الخلفاء فكانت تكون في أيديهم في اول الامر كل امارات الامصار ،  
فكان عبد العزيز بن مروان أميراً على افريقية ومصر ، وكان محمد بن مروان أميراً على  
الجزيرة وأرمينية ، وكان لهذه الامارة خطرهما ، نظرا للحرب مع الروم . وتقلد بشر بن  
مروان على صفر سنة ، امارة الكوفة ، ثم ضمت اليه امارة البصرة . وكانت جماعة بسنى  
أمية في مجلس الخلافة ، منذ ان خرجوا مع مروان من المدينة الى دمشق ، أكبر  
بكثير من ذى قبل .

( ٣ )

ثم يقول فلهوزن : وقد يبدو ان عبد الملك قد اقام الدولة على قواعد جديدة ،  
فأصبحت ادارتها فيما يظهر ذات طابع فنى ومدنى اكثر مما كانت عليه من قبل ، ولكن

( ١ ) فان فلوتن : السيادة العربية ص ٣٠

( ٢ ) فلهوزن : الدولة العربية ص ٢١٥

( ٣ ) المرجع السابق ص ٢١٣ - ٢١٤

هذه الادارة لم تبلغ في ذلك الا درجة أقل بكثير مما بلغتته ادارة الدولة المباسية .  
وقد اصبح عبد الملك أيضا لا يسمح لذوى النباهة من الرجال بأن يرفعوا الكلفة بيــــن  
انفسهم وبينه ، كما كان يفعل معاوية من قبل ومطمئنا الى ان رجحان عقله كقيل بــــان  
يسعفه ولم يكن لعبد الملك ولا لمن جاء بعده من خلفاء بني امية ، ذلك اللطف المعروف  
عن الخلفاء السفيايين ، وهو اللطف الذى ربما كان لهم ، كما كان للسيد العربي  
القديم ، أشبه بفضيلة مكتسبة منه بأن يكون صفة فطرية ، وانما أراد عبد الملك ان يظهر  
بمظهر السيد الصارم .

ويعتبر بعض الخلفاء الامويين مسئولين عن فساد الادارة المالية ، فقد اطلقوا  
ايدى ولايتهم فى ابتزاز الاموال اولاً ثم حاسبوهم وعذبوهم حتى الموت ، وحينئذ كانت  
كل قبيلة تهب للدفاع عن ابنائها من الولاة . وكان الخليفة المتعصب لليمنيين  
يقوم بمحاسبة الولاة المضربين ، والعكس بالعكس . (١) وهناك امثلة كثيرة يضيق البحث  
عنها . فقد تكلف الحجاج الثقفى فى بناء مدينة واسط بالعراق ثلاثة واربعين مليون  
درهم واحتسب معظم النفقات ضمن نفقات الحروب حتى لا يستكثرها الخليفة عبد الملك  
ابن مروان . (٢) وكان عبد الملك يبعث الى الحجاج برسائل متوالية يلومه فيها كلها  
على اسرافه فى الاموال ، بدون استجابة من الحجاج (٣) وكان يزيد بن المهلب يعمىب

---

(١) الخربوطلى : تاريخ العراق ص ٣٨٩

(٢) ياقوت : معجم البلدان ج ٨ ص ٣٨١

(٣) المسعودى : مروج الذهب ج ٣ ص ٧٥

على الحجاج اسرافه ، حتى اذا تولى الحكم فاقه فى الاسراف مما أدى الى احتجاج عامل الخراج .<sup>(١)</sup> وتساهل سليمان بن عبد الملك مع واليه بالعراق يزيد بن الهلب مما أدى الى سوء الاحوال المالية<sup>(٢)</sup> وكان كثير من الخلفاء الامويين يحرصون على شراء رضا العامة .

وكانت طرق جباية الضرائب مظهرًا من مظاهر سوء الادارة المالية . فقد أدبر الخلفاء الامويين ولاتهم بجمع اكبر قدر ممكن من الاموال ومدوهم بكل السلطات والنفوذ ، وأصبح العمال لا يهتمون الا بجمع الاموال والاستكثار بالصنائع والموالي ، وأصبح الخلفاء من جهة اخرى يطعمونهم بالرواتب الفادحة .<sup>(٣)</sup> ويذكر ( فان فلوتن )<sup>(٤)</sup> ان الضرائب لم تكن فادحة ، ولكن الذى أغضب اهالى الامصار وزاد من حنقهم ، انما هى الطريقة التى سلكها عمال الخراج فى جباية الضرائب ، فقد كان الولاة لا يدعون فرصة للانسراء وجمع الاموال تمر بهم دون ان ينقضوها ، ولا يترددون فى ارهاق الاهالى ، حتى اذا جاء وقت الحساب أدوا الى الحكومة جزءًا من تلك الاموال ليقبى لهم الكثير .

صور أبو يوسف<sup>(٥)</sup> سلوك العمال فى جمع الخراج ، فقال : " يقيمون اهل الخراج فى الشمس ، ويضربونهم بالضرب الشديد ، ويملقون عليهم الجرار ، ويقيدونهم بما يمنحهم من الصلاة " .

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٩

(٢) الجهمشيارى : الوزراء والكتاب ص ٥

(٣) جرجس زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ج ٢ ص ٢٦

(٤) فان فلوتن : السيادة العربية ص ٢٦

(٥) ابو يوسف : الخراج ص ٦٢

وعمل الحجاج الثقفى على جمع الاموال بكل الطرق ليرضى الخليفة عبد الملك بن مروان ورغم قسوة الحجاج فى جمع المال فان جملة خراج العراق كان اقل من جملة فى خلافة عمر بن عبد العزيز رغم ما نعرفه من عدله ورحمته. (١)

أدخلت على الخليفة عبد الملك الاموال التى ارسلها واليه بالعراق الحجاج الثقفى ، فقال عبد الملك : هذا والله التوفير وهذه الامانة . فقال احد الجالسين : ان هذا جنى الاموال وزرع لك البغضاء فى قلوب الرجال فيوشك ان تنبت البغضاء ، فلا اموال ولا رجال . (٢)

ومن الطريف ان عدى بن أرطأة عامل عمر بن عبد العزيز بالعراق حاول ان يتبع سياسة الحجاج فى القسوة والارهاب ، ولكن عمر نهاه عن ذلك وعادت المظالم بعد نهاية عهد عمر ، واعترف بنو امية بأن هذا الظلم كان سببا فى زوال دولتهم ، فقالوا : " ظلمنا رعيتنا ، فيئسوا من انصافنا ، وتمنوا الراحة منا ، وتحومل على أهل خراجنا فتخلصوا عنا وخرت ضياعنا ، فخلت بيوت أموالنا " . (٣)

اتبع الحجاج نظام السخرة فى فلاحه الارض ، فكان يجمع الممال من كل مكان بالقوة ، ويأمر بربطهم بالسلاسل حتى لا يهربوا . واختلت نظم ملكية الاراضى بالعراق ، نتيجة حريق أصاب الديوان خلال ثورة ابن الاشعث ضد الحجاج ، فضاعت أصول الملكيات . (٤)

- (١) بلغ خراج العراق فى عهد عمر ثمانين مليوناً ، بينما بلغ فى عهد الحجاج اربعين مليوناً (ابن كثير : البداية والنهاية ج ٩ ص ١٣٦) .  
 (٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٤ ص ٢٣  
 (٣) ابن الجوزى ص ٥٠  
 (٤) السعوى : مروج الذهب ج ٣ ص ١٥٩ (٦) ابو يوسف : الخراج ص ٣٢  
 (٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٨٣

لم يرض على الدولة الاموية خمسون سنة حتى أصبحت أخضب اراضى الدولة فى أيدي بنى امية أو خلفائهم أو مواليهم ، واستغلوها بواسطة الاهالى فى ظروف صحيحة غير ملائمة .<sup>(١)</sup> وأدى ايجاد الخلفاء لهذه الاقطاعات الكبيرة التى منحوها للمفرسين اليهم الى استخدام أساليب الزراعة البدائية ، مما أدى الى عدم التوازن فى الانتاج وتوزيع السكان .<sup>(٢)</sup>

اجتمعت للحكومة الاموية سياسة حرية التجارة ، فلم تقيد نقل السلع بين مختلف ولايات الدولة الاسلامية ، ولم تحتكر اية بضاعة أو تمنع مبادلتها ، ولا ريب ان هذه السياسة أتاحت لبعض الافراد فرصة احتكار بعض السلع .<sup>(٣)</sup>

خالف بنو أمية قواعد الفى ، فاستأثروا بالفى ، وحرموا بنى هاشم وزعموا أنهم ذو القربى من الخليفة الاموى .<sup>(٤)</sup> وكان الحجاج اول من أبقى الجزية على من أسلم ، فقد لاحظ ان عددا كبيرا من أهل الذمة قد اعتنق الاسلام وأسرعوا الى سكنى المدن . ولذا امر بعدم اغنائهم من الجزية واعادتهم الى قراهم بالقوة .<sup>(٥)</sup> وأهل الامويون القواعد الاسلامية التى تقضى بصرف صدقة كل ناحية فى أهلها ، اذ لا يجوز نقل صدقات بلد الى غيره .<sup>(٦)</sup> وامتدت ايدى الخلفاء الامويين وولاتهم الى أموال الصدقات ،

---

(١) جوزى : من تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام ص ٤٨

(٢) ديمومين : النظم الاسلامية ص ٢٤٤

(٣) صالح احمد العلى : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة ص ١٥١

(٤) المقرئى : النزاع والتخاصم ص ٤٢

(٥) الطبرى ج ٨ ص ٣٥

(٦) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١١٩

فكانوا يمنحون الصلات وجوائز الشعراء منها زاعمين ان الشعراء من فقراء المسلمين .  
(١) وكان عمر بن عبد العزيز هو الخليفة الوحيد الذى اهتم بصرف الصدقات فى وجوهها .

ولم يتبع الامويون سياسة ثابتة فى العطاء المنوح لرعاياهم ، فكان يزيد وينقص تبعاً لاهواء الخلفاء وولائمهم ، وتبعاً للظروف السياسية ، ولمبت المصيبة الشعبية ، نحو الحرب اليمنيين ، أو الحجازيين ، دورها فى زيادة العطاء او نقصانه . وكان انقاص العطاء وسيلة لمقاب الاقطار النائرة مثل العراق .  
(٢)

(٣) يعيب المستشرق ( ديموبين ) على الدولة الاموية عدم تخصيصها جانباً من اموال بيت المال للصرف على المشاريع الانتاجية والاعمال العامة كما كان الحال فى الامبراطورية الرومانية ، ويذكر ان الامل فى الثواب فى العالم الاخر كان هو الدافع الوحيد للولاة الامويين للقيام بالاصلاحات .

ادت سياسة المظالم التى اتبعها الحجاج الثقفى الى حالة سخط عام ، وشمر بها عمر بن عبد العزيز ، وادرك استياء رعايا الدولة الاموية ، وأيقن بضرورة الاصلاح . فقد خالف الحجاج القواعد الخاطئة بالخراج والجزية . واتبع سياسة الارهاب والقسوة ، وأغضب الموالى . ومن الطريف ان الحجاج تعجب يوماً من كراهية أهل العراق له ، فقال

---

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٧١

(٢) الطبرى ج ٨ ص ٢٧٨

(٣) ديموبين : النظم الاسلامية ص ١٥٥

احدهم له : " اما انهم لو أحبوك لاطاعوك ، على أنهم ما شئتوك لنسبك ولا لبلدك ولا لذات نفسك ، فدع ما يبعدهم منك الى ما يقربهم اليك . . . فقال الحجاج : انى والله ما أرى ان أرد بنى الكيعة الى طاعنى الا بالسيف . (١) وقد واجه الحجاج ثورة عبد الله بن جارود ، (٢) وثورة عبد الرحمن بن الاشعث ، (٣) وانتهز السزنج الفرصة ليبحثوا فسادا على شاطئى الفرات فى البصرة . (٤) كما تعددت ثورات الخوارج .

قال صالح بن مسرج زعيم الخوارج الصفوية ، وكان رجلا صالحا ناسكا ، (٥) لا هالى المراق يدعوهم الى الثورة ضد مظالم الحجاج : " ما أدرى ما تنتظرون ؟ حتى متى أنتم مقيمون ؟ هذا الجور قد فشا ، وهذا العدل قد غفا ، ولا تزداد هذه السـوـلـة على الناس الا غلوا وعقوا وتباعدا عن الحق ، وجرأة على الرب ، فاستعدوا ، وابعثوا الى اخوانكم الذين يريدون من انكار الباطل والدعاء الى الحق مثل الذى تريدون فيأتوكم فلتلقى وننظر فيما نحن صانعون ، وفى اى وقت ان خرجنا نحن خارجون " . (٦) ودعا صالح بن مسرج انصاره الى ان يتقوا الله ، والا يسفكوا الدماء بخير حلها ، والا يأخذوا الاموال بخير حقها . (٧) فلا عجب ان يبدى عمر بن عبد العزيز غبطته حين علم بمسوت

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ج٢ ص ٦٨

(٢) انظر تفاصيل هذه الثورة فى كتاب الطبرى ج٧ ص ٢١٤ وما بعد ها ، وكتاب الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ١٥٥ وما بعد ها .

(٣) انظر التفاصيل فى تاريخ الطبرى ج٨ ص ١٥ وما بعد ها ، والكامل لابن الاثير ج ٤ ص ١٦٠ وما بعد ها .

(٤) ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ١٦ (٦) الطبرى ج٧ ص ٢١٨

(٥) المصدر السابق (٧) المصدر السابق ج٧ ص ٢٢

(١) طاغية المراق الحجاج ، وطاغية مصر قره بن شريك .

حاول الحجاج ان يتشبه بزياد بن ابيه ، وكان زياد يتشبه بعمر بن الخطاب ، ولكن الحجاج أخفق في ذلك تماما ، لقد وصل زياد الى أعظم المناصب قبل ان يعرف معاوية ، ولكن الحجاج قد خلقه عبد الملك . وأدرك عبد الملك انه لم يستطع ان يخلق زيادا آخر ، فقال لعباد بن زياد : أين كانت سيرة زياد من سيرة الحجاج ؟ فأجاب عباد : يا أمير المؤمنين زيادا قدم المراق وهي جمة تشتمل ، فسل أحقادهم ، وداوى أدواءهم ، وضبط أهل العراق بأهل العراق ، وقدمها الحجاج فكسر الخراج ، وأفسد قلوب الناس ولم يضبطهم بأهل الشام ، فضلا عن أهل العراق ، ولو رام منهم ما رامه زياد لم يفجأك الا على قعود توجف به .” (٢)

(٣) وتحدث المستشرق ( فلهوزن ) عن نظرة عمر بن عبد العزيز الى كل من زياد والحجاج فقال : ان المؤرخ ليشعر بميل الى المقارنة بينهما ، فأما زياد فانه كان قد وصل الى مكانة رفيعة قبل ان يجمعه معاوية خليفاه له وقبل ان يرضوه الى جانبه ، وأما الحجاج فهو من صنع يدى عبد الملك . وكان عمر بن عبد العزيز يعجب بزياد ، لانه قبض على زمام أهل المراق من غير ان يكلف أهل الشام قط مؤونة مساعدته في ذلك ، أما الحجاج فلم يمكنه يستطيع ان يحافظ على سلطانه الا من طريق الاستعانة بالسيادة الاجنبية ، اى مستندا الى جند الشام .

---

(١) ارجع الى اخبار قره بن شريك في كتاب فتوح مصر ( طبعة تورى ) ص ١٥٢ - ١٥٣ وكتاب حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ ص ٥٠ ويذكر ابو المحاسن ( النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢١٧ ) ان قره كان ” خبيثا ظالما غشوما فاسقا مهتكا ” .  
(٢) ابن عديده : المقد الفريد ج ٥ ص ٨



وهكذا أصبح عمر بن عبد العزيز يدرك ان المحافظة على شكل الارتباط في المجتمع الاسلامي ، ونقاء صورته الخارجية هو جزء أصيل من مهمة الخلافة الراشدة ، وأنــــه يجب على الموظفين والعمال وسائر الاداريين ان يعملوا على بقاء صورة المجتمع المسلم نظيفة نقية ، لانه المجتمع الذي يتحرك بشريعة الله وهديه ، وهذا كله لا يتم الا بتنفيذ قاعدة (١) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

---

(١) عماد الدين خليل : ملاحع الانقلاب الاسلامي ١٦٥

## الباب الثاني

### الاصلاحات الاجتماعية

- ١- أسس الاصلاح الاجتماعى .
  - ٢- القدوات الاجتماعية .
  - ٣- العدالة الاجتماعية .
  - ٤- السلام الاجتماعى .
  - ٥- الضمان الاجتماعى والرعاية الاجتماعية .
  - ٦- أهل الذمة فى المجتمع الاسلامى .
-

## ١- أسس الإصلاح الاجتماعي

تولى عمر بن عبد العزيز مهام الخلافة نحو سنتين ونصف سنة ، أى ثلاثين شهرا . ورغم قصر المدة نسبيا ، إلا أنها شهدت كثيرا من الإصلاحات الاجتماعية المهمة ، نشهد تفاصيلها فى هذا الباب الثانى .

وقبل أن نخوض فى دراسة تفاصيل وأركان هذه الإصلاحات الاجتماعية ، ندرس الاسس التى قامت عليها هذه الإصلاحات ، فنتساءل :

— هل هى أسس دينية ؟

— أم هى أسس حضارية ؟

— وهل تعتمد هذه الإصلاحات الاجتماعية على العقل والمنطق وتنبع من ظروف المجتمع وحاجاته ؟

— وهل أراد عمر بن عبد العزيز بإصلاحاته الاجتماعية ارضا ، مشاعر الجماهير ، أم أراد ارضا الخالق العظيم ؟

— وهل تنبع الإصلاحات الاجتماعية من أحكام وتعاليم وروح الاسلام ، أم هى تخضع لسنة الحياة والتطور الاجتماعى وتحل مشاكل اجتماعية قائمة ؟

ونستطيع ان نجيب على هذه التساؤلات كلها فنقول :

قامت اصلاحات عمر الاجتماعية على أسس دينية ، نابعة من الاسلام . فهى تسير

روح الاسلام السما ، وتطبق أحكامه وتعاليمه الفراء . والاسلام هو خاتم الاديان

والعقيدة التي ارتضاها الله عز وجل للبشرية جمعاء حتى يوم القيامة • والاسلام هو دين كل زمان ومكان • وهو صالح لكل الاجناس والشعوب • ويتلاءم مع كل درجات الحضارة • ويمالج جميع المشكلات الاجتماعية • ويلبى حاجات المجتمع • ويحقق التطور الاجتماعى والتقدم الحضارى • وكان لابتعاد كثير من الخلفاء الامويين السابقين — لصر عن روح الاسلام وتعاليمه • أثره فى ظهور مشكلات اجتماعية • وفى وجود صراع داخل المجتمع • فأصبح من الضرورة بمكان مواجهة هذه المشكلات • وتحقيق السلام الاجتماعى • والاسلام فيه الدواء الناجع الشافى • لكل داء اجتماعى واقتصادى •

كان قيام الدولة الاموية سنة ٤٠ هـ وايداعها بعهد جديد • يختلف عن مرحلة الخلفاء الراشدين الاربعة السابقة • فقد اتجهت هذه الدولة اتجاهها دنيويا اكثر منه دينيا • ولذا اراد عرب بن عبد العزيز ان يعود الى الخط الدينى • فلا غرو أن سمى المؤرخون ( خامس الراشدين ) •

كان الدولة الاسلامية ضد اضطرت أحوالها نتيجة الفتنة فى عهد عثمان بن عفان • والحرب الاهلية فى عهد على بن أبى طالب وما تبعها من ثورة الخوارج • ثم صراع الحسن بن على ومعاوية بن أبى سفيان • وبات المسلمون يتربقون فترة هدوء واستقرار • ورأوا انه مادام الحسن قد تنازل عن الخلافة لمعاوية • فقد أصبحت خلافتهم امرا محتوما • فعليهم السمع والطاعة له • واحترام اجماع الامة • (١) عملا بالاية الكريمة

(١) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ٣

( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ) ، والحدِيث الشريف : " سيليكم بعدى ولاية ، فيليكم البربيره ، ويليكم الفاجر بفجوره ، فاسموا لهم وأطيعوا فى كل ما وافق الحق ، فان احسنوا فلكم ولهم ، وان أساءوا فلكم وعليهم " . ورأى كثير من المسلمين ، ان الدولة الاموية اذا كانت قد اتخذت الطابع الملكى فقد تنبأ الرسول عليه الصلاة والسلام بذلك فقال : " والخلافة ثلاثون عاما ثم يكون بعد ذلك الملك " .<sup>(١)</sup> ورأى فريق من المسلمين ان معاوية لو كان بالفرض ملكا ، فلا مانع من طاعته ، فهناك " مراتب فى الولاية : خلافة ثم ملك ، فتكون ولاية الخليفة للاربعة ، وتكون ولاية الملك لابتداء معاوية ، وقد قال الله فى داود ( وآتاه الله الملك والحكمة )<sup>(٢)</sup> ، فجعل النبوة ملكا " .<sup>(٣)</sup> ورأى فريق آخر من المسلمين ان حزب بنى امية هو حزب الدين والنظام .<sup>(٤)</sup>

كان معاوية جديرا بالخلافة ، فقد كان " مرسى دول ، وسائس أدم ، وراعى ممالك " .<sup>(٥)</sup> وكان له من الخبرة والتجربة ما يؤهله للخلافة ، فقد كان كاتب وحنى الرسول ، ووالى عمرو وعثمان على الشام لمدة عشرين سنة ، فتحنك فى الادارة ، وأصبح اماما فى صناعته .<sup>(٦)</sup> ولذا أمل المسلمون فى بداية عهد من الاستقرار والمهدوء والسلام .

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٦

(٢) سورة البقرة آية ٢٥١

(٣) ابن العرى : العواصم من القواصم ص ٢١

(٤) فان فلوتن : السيادة العربية ص ٧

(٥) الثخري ص ٧٨ (٦) كرد على : الادارة الاسلامية ص ٦٥

والحقيقة التاريخية هي ان الدولة الاسلامية كانت دولة عربية أوضح منها  
دولة اسلامية . ونحن لانفى اهتمام الخلفاء الامويين بانتشار الاسلام وحمايته من  
أعدائه ، فضلا عن اهتمامهم بالفتوحات الاسلامية الواسعة النطاق ، والتي ترتب عليها  
انتشار الاسلام في أقاليم شاسعة . ولكن رغم ذلك كله — كانت السياسة العربية في الدولة  
الاموية أكثر وضوحا ورسوخا من السياسة الاسلامية . ( ١ )

وادی نقل معاوية العاصمة الى دمشق الى بداية عهد جديد متميز . فيرى المستشرق  
( توماس ارنولد ) ( ٢ ) انه ما دامت الحكومة المركزية في المدينة فالنفوذ الاسلامي هو  
المسيطر ، انه كان بإمكان اصحاب النبی المخلصين ان يحاولوا تنظيم المجتمع الجديد  
حسب تعاليم الرسول ، ولكن عندما جعل معاوية دمشق عاصمة الدولة ، اعتبر المسرب  
انفسهم طبقة حاكمة سامية .

صبح الامويون دولتهم بصبغة زمنية دنيوية ، واقتبسوا بعض النظم الرومانية  
والفارسية ، وصور المؤرخ اليمقوي ( ٣ ) الاتجاهات الاموية الجديدة فقال : " وكان  
معاوية لاول من اقام الحرس والشرط والبوابين في الاسلام ، وأرعى الستور واستكتب  
النصارى ، ومشى بين يديه بالحرا ب ، واخذ الزكاة من الاعطية ، وجلس على السرير والناس  
تحتة ، وجعل ديوان الخاتم ، وبنى وشيد البناء ، وسخر الناس في البناء . . . . وكان

---

( ١ ) الخربوطلى : أضواء جديدة على تاريخ العالم الاسلامي ص ١١٦

( ٢ ) الخلافة : ص ١١-١

( ٣ ) تاريخ اليمقوي ج ٢ ص ٢٠٧

معاوية يقول : أنا أول الملوك \* . ويرى المستشرق ( نيكلسون ) <sup>(١)</sup> أن الامويين كانوا ملوكا بالفعل خلفاء بالاسم .

وزاد المطابع الملكى بعد تحويل الخلافة الى نظام ملكى وراثى ، حين بايع ~~بائع معاوية لابنه يزيد~~ بولاية العهد ، وعبر الكثير من المسلمين عن سخطهم عن التحول عن نظام الشورى والانتخاب فقال عبد الرحمن بن أبى بكر : " وتريدون ان تجعلوها هرقلية ، كلما مات هرقل قام هرقل ؟ " <sup>(٢)</sup>

تزع حركة المعارضة لهذا الاتجاه الدينى ، فى عهدى معاوية ويزيد ، جماعة ابناء الصحابة فى الحجاز \* <sup>(٣)</sup> والذين لم يرضوا عن الولاة الامويين لبلاد الحجاز والذين وصفهم المستشرق ( فان فلوتن ) <sup>(٤)</sup> بانهم كانوا من المبهدين فى النعمة والترف ، والذين تعودوا الاستمتاع بما فى الحياة من عبث ولهو دون ان يذوقوا غناء العمل ومشقته ، كما ان هؤلاء الولاة اتبعوا فى الحجاز سياسة التضييق الاقتصادى ، مما اضطر كثيرا من الحجازيين الى بيع ممتلكاتهم فاشتراها الولاة بأبخس الاثمان . <sup>(٥)</sup>

(١)

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ٣ ص ٢١٦

(٣) مثل عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن العباس ، وعبد الله بن الزبير ، والحسين بن على ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، وغيرهم .

(٤) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ١ ص ١٥١

(٥) الطبرى ج ٤ ص ٣٠

وزادت حالة السخط حين تولى يزيد بن معاوية الخلافة ، الذي وصفه عبد الله بن الزبير فقال : " يزيد الخمر ، ويزيد الفجور ، ويزيد النهمود ، ويزيد القسورود ، ويزيد الكلاب ، ويزيد التشوات ، ويزيد الفلوات " .<sup>(١)</sup> ووصف وفد المدينة احوال يزيد بعد عودته من دمشق فقال : " انا قدمنا من عند رجل ليس له دين ، ويشرب الخمر ، ويعزف بالطنابير ويضرب عنده القيان ، ويلعب بالكلاب ، ويسامر الخراب والفتيان " .<sup>(٢)</sup>

وكانت مذابح وفظائع واقعة الحرة قرب المدينة ، صورة لانتهاك تعاليم الاسلام ، فقد انتهك الجيش الاموي قداسة مدينة الرسول ، وقتلوا من قريش والانصار سبعمائة ، وأهلكوا جميع البدريين ، وقتلوا من سائر الناس عشرة آلاف<sup>(٣)</sup> كما قذف الجيش الاموي الكعبة بأحجار المنجنيق فتصدعت .<sup>(٤)</sup> وفجع المسلمون باستشهاد حفيد النبي صلى الله عليه وسلم الحسين بن علي ، والمصادرة التاريخية حافلة بأخبار مأساة كربلاء .<sup>(٥)</sup>

ومضت الاحداث ، وتنازل معاوية الثاني ، ونجح مروان بن الحكم في انتزاع الخلافة من الفرع السفلي . ويصف المؤرخ المقرئ<sup>(٦)</sup> مروان فيقول انه كان " لافقه له ولا يعرف

(١) الطبري ج ٤ ص ٣٠

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٤٥

(٣) اليعقوبي ج ٢ ص ٢٢٣

(٤) ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٥٢

(٥) الطبري ج ٦ ص ٢٦٠ ، الفخرى ص ٨٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ٨ ص ١٦٠

يروى البيهقي ( المحاسن والمساوي ج ١ ص ٤٦ ) ان قيصر الروم غضب لفاجعة كربلاء وكتب الى يزيد " قتلتم نبيا او ابن نبي " .

(٦) النزاع والتخاصم ص ٢٥



بالزهد ولا برواية الآثار ، ولا بصحبة ولا ببعدهم " ويقول المسمودي <sup>(١)</sup> : " وكان مروان أول من أخذها بالسيف كرها على ماقيل ، بنخير رضا عن عصبة من الناس ، بل كل خوفه إلا عددا يسيرا حملوه على وثوبه عليها " .

ولم يحترم الخلفاء الأمويون في نطاق أسرهم وفيما يرتبط بالخلافة ما أمر به الإسلام من وفاء بالعهد ، فكان كل خليفة يحمل على نقض عهد سلفه ، فقد حرم مروان خالد بن يزيد من حقه في الخلافة وبايع لابنيه عبد الملك وعبد العزيز ، ثم رأينا عبد الملك يقتل بيده ابن عمه عمرو بن سعيد لأنه تطاول للخلافة ، وقد عارضه أخوه عبد العزيز فيما أراد من جمل الخارقة في أبنائه ، فلم ينقذه من بطش الملك إلا الموت . <sup>(٢)</sup>

وأساء الحجاج بن يوسف الثقفي إلى تاريخ الخليفة عبد الملك بن مروان ، فقد حاصر الحجاج عبد الله بن الزبير في مكة في موسم الحج ، وقذف الكعبة بأحجار المنجنيق . <sup>(٣)</sup> كما أعلن الحجاج في العراق سياسة الارهاب والعنف والقسوة ، فأغضب رعايا عبد الملك . حتى إذا لجأ المراقبيون إلى والي الحجاز عمر بن عبد العزيز ، أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك بإعادتهم إلى قبضة الحجاج . <sup>(٤)</sup>

---

(١) مروج الذهب ج٣ ص ٣٢

(٢) فلهوزن : الدولة العربية ص ٢١٤

(٣) المسمودي : مروج الذهب ج٣ ص ٥٦ ، ابن الاثير : الكامل ج٤ ص ١٤٦

(٤) اليعقوبي ج٣ ص ٢٣٤ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج٢ ص ٥٩ - ٦٠

وبدت في عهد الوليد بن عبد الملك بارقة من الامل ، في العودة الى روح الاسلام  
وتعاليمه . ولكنه لم ينجح في ذلك النجاح الكامل المأمول . فيقول المستشرق (فلهوزن) :  
(١)  
وقد عمل الوليد على تقوية الاسلام من حيث هو دين الدولة ، وربما كان له في قلبه  
محبة عميقة أيضا ، فوضع حدا لايذاء أهل الدين والورع في المدينة على يد أميرها  
هشام بن اسماعيل المخزومي ، وولى مكانه ابن عمه عمر بن عبد العزيز ، وكان تعيينه  
موافقا لهوى الفقهاء . وكان الوليد يحتم على الناس جميعا ان يقرؤا القرآن ويمصرفوه  
وكان يجمع ذلك شرطا في قضاء حوائجهم وصلة أرحامهم . وان كان هو في شبابه قد  
كان يلحن في اللغة التي نزل بها القرآن لحنا فاحشا ، مما اهتم له أبوه كثيرا ، وقد  
نفذ الوليد ما يقال ان أباه عبد الملك كان قد عزم عليه ثم تركه ، وهو أنه أخذ من النصارى  
في دمشق كنيسة القديس يوحنا ، فوسع بها المسجد الملاصق لها وجددته تجديدا  
رائعا في سنة ٨٤ هـ وكذلك أمر بأعادة بناء مسجد المدينة على انه قد أغضب  
أهل الورع في المدينة بذلك ، كما أغضبهم بأنه في سنة ٩١ هـ خطب فيه الخطبة  
الاولى من الخطبتين ، وهو جالس على عادته في الشام . وكان مولما بكل انواع البناء  
والتخطيط ، فانتقلت منه هذه الروح الى الناس ، وعنى الوليد بأهل الماهيات ،  
فأعطى المجذمين ، وأعطى كل مقعد خادما وكل ضرير قائدا لكيلا يضطروا الى سؤال  
الناس . وكان أهل الشام أكثر من استفاد منه ، وكانوا يعتبرونه أفضل خلفائهم .

(١) فلهوزن : الدولة العربية ٢١٦ - ٢١٧

ولم يكن عمر بن عبد العزيز راضيا عن سياسة الوليد بن عبد الملك • ويروى ابن —  
الاثير <sup>(١)</sup> قصة طريفة عن الرجلين • فقد كان الوليد لحانا • يخطي • في النحو • فخطب  
يوما فقال : يا ليتها كانت القاضية • ووصل الكلام فصر الثاء • فقال : عمر بن عبد العزيز  
عليك وأراحتنا منك • وأبدى عمر فرحة وسروره لموت الوليد • بل تولى بنفسه أخذ البيعة  
بالخلافة لسليمان في نفس يوم موت الوليد • <sup>(٢)</sup>

واستجاب سليمان بن عبد الملك لكثير من نصائح عمر وأرشاداته • فقد أصبح عمر من  
الخليفة بمثابة المستشار والناصح • ويتحدث المستشرق ( فلهوزن ) <sup>(٣)</sup> عن سليمان فيقول :  
ورغم أن سليمان كان شهوانيا • إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يميل إلى أهل الديانة والصالح  
وهذا يتجلى في أنه كان يظهر المطف على معارضة أهل العراق ضد الحجاج • وهذه  
المعارضة التي كانت دائما تظهر في ثوب معارضة دينية باسم الله وباسم سلطان الله  
ضد غشم الاقوياء • على أن أوضح ما يدل على ميله لأهل الدين والورع هو أنه كان يستمع  
لرجاء بن حيوة أحد علماء الدين في القصر • وأن المكانة التي جعلها خلفاء بني أمية  
لهذا الرجل هي مقياس لموقفهم هم أنفسهم من الاسلام • وقد بدأ تأثير رجاء في عهد  
عبد الملك • وازداد في عهد الوليد • وبلغ أوجه في عهد سليمان • وقد استطاع رجاء أن يقنع  
سليمان بجعل الخلافة في عمر بن عبد العزيز •

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٥

(٢) اليعقوبي ج ٣ ص ٣٧

(٣) فلهوزن : الدولة العبرية ص ٢٥٦

تولى عمر الخلافة يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة ١٩ هـ (١) وكانت اول كلمات قالها عمر من فوق المنبر "تدل على تدبير وورع وتعلن أن الدين سيكون أساس كل سياسة وكل اصلاح ، وان اتجاه الدولة سيكون دينيا وليس ماديا ، فخطب : "أوصيكم بتقوى الله ، فان تقوى الله خلف من كل شئ ، وليس من تقوى الله عز وجل خلف ، فاعملوا لآخرتكم ، فانه من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ، وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم ، وأكثروا ذكر الموت ، وأحسنوا له الاستعداد قبل أن ينزل بكم ، وان من لا يذكر من آباءه - فيما بينه وبين آدم - أباحيا لعرق في الموت ، وان هذه الامة لم تختلف في رزقها عز وجل ولا في نبيها ولا في كتابها ، وانما اختلفوا في الدنيا <sup>الدنيا</sup> والدرهم ، واني والله لا اعطى احدا باطلا ، ولا امنع احدا حقاً . . . . . يا ايها الناس ، من اطاع الله فقد وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له . أطيعوني ما أطعت الله ، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم " (٢) .

والعبارة الاخيرة كان يردد ها الخلفاء الراشدون من قبل ، حيث يعلنون ان بيعتهم مستمدة من مدى الالتزام بالقرآن والسنة .

وأبدى عمر زهدا في الخلافة حتى انه قال "ايها الناس اني قد ابتليت بهـذا الامر عن غير رأى كان مني فيه ، ولا طلبية له ، ولا مشورة من المسلمين . واني قد خلمت ما في أعناقكم من بيعتي ، فاختراروا لانفسكم " فصاح الناس صيحة رجل واحد :

(١) ابن عبد ربه : المقد الفريد ج ٣ ص ٤٣٢

(٢) ابن الجوزي : صفوة الصفوة ج ٢ ص ٦٤

قل

(١)

قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك ، أمرنا باليمن والبركة . وهكذا أراد عمر  
ان يتولى الخلافة باختيار من الامة الاسلامية مثلة في أهل الحق والعقد ، من العلماء  
والفقهاء ، وليس بمعهد تقليدي يكتبه سلفه الخليفة .

وظل عمر يؤمن بأنه يتولى شئون امة الاسلام كتصبير عن ارادتها ورغبتها ، وأن  
استمراره في الخلافة مرهون باستمراره في سياسة العدل والانصاف والحق . فقد حاوره  
مندوبان عن شذوب الخارجي (٢) ، فقالا : ما نقمنا سيرتك ، انك لتتحرى العدل  
والاحسان ، فاخبرنا عن قيامك بهذا الامر ، أعن رضى من النص ومشورة أم ابتزرتهم امرهم ؟  
فأجلب عمر : ما سألتهم الولاية عليهم ، ولا غلبتهم عليها ، وقد عهد لى رجل كان قبلى  
فقت ولم ينكره على احد ، ولم يكرهه احد غيركم ، وأنتم ترون الرضا بكل عدل وانصف من  
كان من الناس ، فاتركونى ذلك الرجل ، فان خالفت الحق ورغبت عنه فلا طاعة لى  
عليكم . (٣)

وفي الساعات الاولى لتولية عمر الخلافة ، أعلن للناس جميعا ، الاسس الخلقية التى  
يجب ان يتبناها من أراد التعاون مع عمر ، فقال : " ان من أراد ان يصحبنا ، فليصحبنا

(١) ابن الجوزى : عمر بن عبد العزيز ص ٥٥

(٢) نادات الخوارج بنظرية جمهورية ديمقراطية في الخلافة ، فهم يجمعونها من حق  
كل مسلم تتوفر له صلاحات الخلافة ، عربيا أو غير عربى ، حرا أو عبدا . وهم  
يعارضون استئثار قريش للخلافة ، ولا يمتدحون بشرعية الخلافة الاموية ، ويكفرون  
معاوية .

(٣) ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٤٥

بـ خمس : يوصل اليـنا حاجة من لاتصل اليـه حاجته ، ويدلنا من العدل الى ما لانهتدى اليـه ، ويكون عوننا لنا على الحق ، ويؤدى الامانة اليـنا والى الناس ، ولا يفتب عندنا أحدا . ومن لم يفعل فهو فى حرج من صحبتنا والدخول علينا <sup>(١)</sup> وهكذا أراد عمر ان ينقى البلاط الاموى من الشوائب ، ويجعل الحاشية أعوانا صادقين لرئيس الدولة ، وقد كانت بطانة السوء فى القصر الاموى على الماضى ، من عوامل فساد الحكم .

وقبل دفن سليمان بن عبد الملك ، أنفذ الخليفة الجديد ، عمر بن عبد العزيز ، ثلاثة رسائل هى تعبير صريح عن اتجاهات عمر فى حكومته : رسالة الى مصر ، ورسالة الى الجيش الاسلامى المرابط على ابواب القسطنطينية ، ورسالة ثالثة الى افريقية .

اما الرسالة الاولى المبعوثة الى مصر ، فتحمل أمرا بمزل أسامة بن زيد صاحب خراج مصر ، الذى اساء استخدام سلطانه وأرهب الرعايا ، وكان عمر ينتقد رضا سليمان ابن عبد الملك عن سياسته ، وقد كان سليمان فى الحقيقة هو المسئول عن مظالم أسامة اذ كتب اليه : " اصلب الدر حتى ينقطع وأحلب الدم حتى ينصرم " <sup>(٢)</sup> وقد نفذ أسامة تعليمات سليمان بكل دقة واشتد فى طلب الخراج والجزية وأمر عماله الا يتوانوا فى جمع الضرائب فأسلم الكثيرون فى عهده كسى يتخلصوا من الاعباء المالية ، ولكن حركة الهرب استمرت من جانب الذين اثقلت كاهلهم الاعباء المالية ولم يرغبوا فى اعتناق الدين الاسلامى . وقد أمر أسامة الا يأوى أحدا غريبا فى الكنائس والفنادق أو السواحل .

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٤٠

(٢) ابوالمحاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٣١

ولشدة الخوف منه طرد الناس من كان عددهم من الفرباء أو الهاربين . ولكى لا يتمكن  
احد من الهرب من منطقة الى أخرى عملت سجلات للاهالى تشبه البطاقات الشخصية  
أو جوازات السفر الان ، وكان يقبض على كل شخص ليس معه سجل . (١)

ونجح عن هذه الشدة فى جمع المال أن بلغت الجباية فى عهد سليمان بن عبد الملك  
اثنى عشر مليون دينار . (٢)

أما الرسالة الثانية فكانت تحمل أمرا برفع الجيش الاسلامى من بلاد الروم ،  
بسبب قسوة الشتاء وتراكم الثلج ، وتعرض الجند المسلمين للمخاطر والمجاعات ، وأصر  
سليمان على استمرار محاولات فتح القسطنطينية غير مقدرا الظروف القاسية التى  
احاطت بالجيش الاسلامى ، وكان عمر فى خلافة سليمان غالبا بكل هذه الظروف ، ولهذا  
سارع بعد توليته الخلافة مباشرة باصدار أوامره لمسلمة بن عبد الملك بالانسحاب  
والمسودة . (٣)

ولنا ان نتساءل : هل يعنى هذا ان عمر ، بمواقفه هذه من البيزنطيين كان يعبى  
عن الجانب السلبي من قضايا الحرب ؟ والاجابة بالنفى ، فقد رأى عمر ان يسير على  
نفس النظام العسكرية الذى وضعه معاوية بن أبى سفيان ، وهو نظام ( الصوائف والشواتى )

---

(١) سيدة كاشف : مصرفى فجر الاسلام ص ٣٠٤

(٢) خطط المقرئى ج ١ ص ٩٩

(٣) الطبرى ج ٦ ص ٥٥٣

ذلك الذى يجعل المبادرة العسكرية بأيدي المسلمين دائما ازاء الروم عن طريق  
ارسال حملات نظامية موسمية فى كل صيف وشتاء لغزو بلاد الروم ، وعدم اتاحة اى مجال  
لهم فى التحول الى الهجوم<sup>(١)</sup> فنرى عمر فى الصيف التالى يرسل الوليد بن هشام  
المصيطى وعمرو بن قيس الكندى على رأس قوات الصائفة الى بلاد الروم<sup>(٢)</sup>

أما الرسالة الثالثة فكانت بحزل يزيد بن أبى مسلم عن افريقية ، وقد اشتهر  
بالتجبر والتكبر والظلم ، فأصبح عبرة لمن يعتبر<sup>(٣)</sup> .

أعلن عمر بعد توليته الخلافة ، على الملأ جميعا ، سياسته الاسلامية الجديدة  
فقال : " ايها الناس ، انه لا كتاب بعد القرآن ولا نبي بعد محمد عليه الصلاة  
والسلام . ألا وانى لست بقاض ولكنى منفذ ، ولست بمبتدع ولكنى متبع ، ولست بخيركم  
من أحدكم ، ولكنى أثقلكم حملا . ان الرجل الهارب من الامام الظالم ليس بظالم .  
ألا لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق " .<sup>(٤)</sup>

---

(١) عماد الدين خليل : ملاحق الانقلاب الاسلامى ص ٨٩

(٢) الطبرى ج ٦ ص ٥٦٠

(٣) ابن عبد الحكم سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٣

(٤) المصدر السابق ص ٤١



وكتب عمر الى يزيد بن المهلب ، والى العراق ، وهى من أبرز ولايات الدولة ، يخبره بموت سليمان وتوليته الخلافة ، يبين له المسئولية الكبرى أمام الله تعالى ، وخوفه من حساب الخالق العظيم ، وتعبر الرسالة عن روح الايمان العميق ، فكتب عمر :  
" أما بعد ، فان سليمان بن عبد الملك كان عبدا من عبيد الله أنعم الله عليه ، ثم قبضه واستخلفنى ، ويزيد بن عبد الملك من بعدى ان كان ، وان الذى ولائى الله من ذلك ، وقد رلى ليس على بهين . ولو كانت رغبى فى اتخاذ ازواج ، واعتقاء اموال ، كان فى الذى أعطانى من ذلك ما قد بلغنى أفضل ما بلغ بأحد من خلقه . ولكنى أخاف — فيما ابتليت به — حسابا شديدا ، ومسألة غليظة ، الا ما عافى الله ورحم . . " (١)

(٢) وتحفل المصادر التاريخية بخطب عمر فى الناس ورسائله الى ولاته ، وبأحاديثه الى جلسائه وزواره . وكلها تحت على خشية الله عز وجل وتنصح بالتقوى والورع ، وتذكر بالموت ، ويوم الحساب ، وتدعو للايمان بقدر الله تعالى . خاطب عمر بها عقول الناس ووجدانهم ، وبكى وأبكاهم . وهذه العبارات لا تعبر ابدا عن سلبيات . بل هى تصوير لاجابيات الحياة ، ولا يمكن ان تبدأ اصلاحات من فراغ ، او تقوم على غير أساس وطيدة . وقد فطن عمر بن عبد العزيز ان الدين هو خير أساس تقوم عليه سياسته الاصلاحية ، سياسة التطهير والتطوير .

---

(١) الطبرى ج ٦ ص ٥٦٢

(٢) انظر كتابى ابن عبد الحكم وابن الجوزى تجد حشدا من خطب عمر ورسائله .

ويعلمن عمر بن عبد العزيز بداية سياسة ( الحق ) وتجد تلك الكلمة تتردد ففى  
خطب عمر ، وفى رسائله الى عماله ، مئات المرات وأراد عمر ان يعطى كل مواطن حقه  
قبل ان يطالب به ، فقال لاحد مواليه : " ليس أحد من الامة الا وانا اريد أن أوصل  
اليه حقه ، غير كاتب الى فيه ولا طالبه منى " . وطلب عمر من أمير الحج ، ان يملن  
الى الحجاج سياسة ( الحق ) ، وهؤلاء الحجاج يمثلون المسلمين فى سائر الاقطار ،  
ووقف أمير الحج يقرأ رسالة عمر وجاء فيها : " ..... أنا معول كل مظلوم ، ألا وأى عامل  
من عمالى رغب عن الحق ، ولم يعمل بالكتاب والسنة فلا طاعة له عليكم ، وقد صيرت أمره  
اليكم حتى يراجع الحق وهو ذميم . ألا وانه لا دولة بين أغنيائكم ، ولا أثره على فقراءكم  
فى شىء من فيئكم ..... " . ( ١ )

ويعلمن عمر لولاته وعمله أنهم شركاء له فى المسؤولية أمام الله تعالى ، وأن عليهم  
جميعا المحافظة على ( حقوق الله ) ، فقد كتب عمر الى عاملة بالكوفة يقول " اعلم  
أنى قد اشركتك فى أمانة عظيمة ، فان ضيقت حقا من حقوق الله كنت أهون خلقه عليه ،  
ثم لا يغنى عنك عمر من الله شيئا " . ( ٢ )

ولا يجد عمر أى حرج وهو يشمر ولاته بالمسؤولية ، ان يطلب منهم عدم تنفيذ  
أوامره اذا كانت على غير حق ، فكتب الى أحد عماله : " اذا جاءك كتاب منى على غير  
الحق فاضرب به الارض " . ( ٣ )

---

( ١ ) ابن الجوزى : عمر بن عبد العزيز ص ٧٢-٧٣

( ٢ ) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٩

( ٣ ) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٩ ص ٢٠١

والحق خير تعبیر عن القيم الدينية والخلقية ، كما قال عمر : " لم أر شيئا  
أعون للمسلم على دينه من أعطائه حقه " . (١)

وأراد عمر بن عبد العزيز ان يكون " الامام العادل " فكتب الى الحسن البصري ،  
وهو من اعلام عصره ، يطلب منه ان يكتب اليه بصفة الامام ، فكتب اليه الحسن رسالة  
طويلة ، نذكر منها : " اعلم يا أمير المؤمنين ان الله جعل الامام العادل قوام كل  
ماثل ، وقصد كل جائر ، وصالح كل فاسد ، وقوة كل مظلوم ، ونصفه كل مظلوم ، ومفزع  
كل ملهوف ....

" والامام العادل ، يا أمير المؤمنين ، كالراعي الشفيق على ابله ... كالأب الحاني  
على ولده ... كالأم الشفيقة البرة الرفيعة بولدها ... وصي اليتامى ، وخازن المساكين  
... كالقلب بين الجوانح ... القائم بين الله وبين عباده ... " (٢)

ان سياسة الاصلاح النابعة من الدين تبدو في مئات من عبارات عمر . نذكر القليل  
منها :

— ما ازددت علما بالولاية الا ازددت لها مخافة ، ومنها وجلا ، ولها اعظاما ،  
حتى قدر الله لي منها وقد ر علي ما قدر ، فأنا أشد ما كنت لها استثقالا .

— ان للاسلام حدودا وشرائع وسنن : فمن عمل بها استكمل الايمان ، ومن لم يعمل  
بها لم يستكمل الايمان .

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٠٦

(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ١٥٠

- ما وجدت في امارتى هذه شيئا ألد من حق وافق هواى.
- ان الله لا يطالب بما قضى وقدر ، وانما يطالب بما نهى وأمر.
- ان الله لا يعذب العامة بحمل الخاصة ، فاذا المعاصى ظهرت فلم يغيروا ، أخذت العامة والخاصة.
- قرة عيون الملوك فى استفاضة الامن فى البلاد ، وظهور مودة الرعية لهم ، وحسن ثنائها عليهم.
- الزم الحق ينزلك الحق منازل اهل الحق ، يوم لا يقضى بين الناس الا بالحق وهم لا يظلمون.
- اد رأوا الحدود ما استطعتم فى كل شبهة ، فان الوالى اذا أخطأ فى المفو خير من ان يتمدى فى العقوبة.
- ان استطعت ان تكون فى العدل والاصلاح والاحسان بمنزلة من كان قبلك فى الظلم والجور والمدوان فافعل ، ولا حول ولا قوة الا بالله.
- اتق الله فيما وليت أمره ، ولا تأمن مكره فى تأخير عقوبته ، فانه انما يصجل بالعقوبة من يخاف الفت.
- انما هلك من كان قبلنا بجسهم الحق حتى يشتري منهم ، وسطهم الظلم حتى يفتدى منهم.
- لا تستصروا على اهل ارض . الحرب بظلم اهل ارض الصلح .

- نرى ألا يتجرأ ما ، ولا يحل لمعامل تجارة في سلطانه الذي هو فيه ، فان الامير متى يتجرأ يستأثر ويصب أمورا فيها غت ، وان حرص على ألا يفعل . (١)

وكان عمر يخرج بنفسه أحيانا الى بعض القرى . متخفيا ، متجولا ، متفقدًا أحوال الرعية ، وفي إحدى هذه الجولات ، التقى في الطريق برجل قادم من مدينة ، فسأله عن أحوال الناس فيها فأجاب : اني تركت المدينة والظالم بها مقهور ، والمظلوم بها منصور . وأبدى عمر فرحه وسروره والتفت الى أحد أصحابه وقال : والله لئن تكون البلدان كلها على هذه الصفة أحب الي مما طلعت عليه الشمس (٢)

وأطلق عمر حرية الكلمة ، والتعبير ، والنقد ، والشكوى ، حتى وصف القاسم بن أبي بكر الصديق عصر عمر بقوله : " اليوم ينطق كل من كان لا ينطق " . (٣)

تحدث المستشرق ( فلهوزن ) (٤) عن اتجاهات عمر الدينية فقال : قويت الروح الاسلامية في الاسرة الاموية الحاكمة ، فمنذ معاوية وعبد الملك الى الوليد وسليمان نراها في ازدياد مستمر . وعمر بن عبد العزيز يقف على رأس هذه السلسلة من خلفاء

---

(١) الشرياص : خامس الراشدين ج ١ ص ٨٥ - ٩٠

(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٣١

(٣) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٥٤

(٤) فلهوزن : الدولة العربية ص ٢٥٩ - ٢٦٠

بنى امية • ولكن تدينه وورعه لم يكونا شبيهين بما كان عند سلفه ، ذلك أن روحه  
تشربت هذا الورع على نحو آخر تماما • وكان الورع موجهها لاعماله فى امور الدولة • ولقد  
كان سليمان صاحب متاع ، أما عمنه فزاهد ألقى الخلافة على كاهله مسئولية  
ثقيلة ، وكان فى كل شئ يفعلها يتمثل الحساب أمام عينيه ، وكان يخشى دائما أن يقصر  
فى حدود الله •

## ٢ - القديوات الاجتماعية

كان الخليفة دائما هو مصدر كل السلطات ، وقد طبع عصره بطابعه ، وبخصائصه  
النفسية والخلقية • وإذا صح الرأس صح البدن ، والعكس • وأصبح الخليفة هو القدوة  
الطيبة للمجتمع والاسوة الحسنة لرعاياه • وقد رأينا كيف كان الناس فى عهد الوليد  
يتكلمون عن البناء والعمران ، ثم أصبحوا فى عهد سليمان يتحدثون عن الجوارى والطعام  
حتى إذا تولى عمر بن عبد العزيز أصبحوا يتكلمون عما أدوه من صلوات ، وما قرأوه من  
أجزاء القرآن •

أما وقد عزم عمر بن عبد العزيز على أن يبدأ سياسة الإصلاح الاجتماعى والاقتصادى ،  
فقد كان عليه أن يخلق القدوة الطيبة ويضرب المثل الأعلى • فبدأ بنفسه ، ثم ببيته ، ثم  
بقومه من بنى امية وولاته وعماله ، حتى يقتنع رعاياه باتباع ما خطه لهم من اصلاحات اجتماعية  
واقتصادية • وأصبح على عمران يبدأ هم الإصلاح من قمته •

بدأ عمر بن عبد العزيز بنفسه ، فأصبح بعد توليته الخلافة انسانا آخر . يختلف في تفكيره وسلوكه ونفسيته عن عمر الشاب ، أو والى المدينة . وكان هذا التغيير فجائيا ، وبعد البيعة له مباشرة . فقد رفض امتطاء تلك الدواب المظهمة التى أعدوها للخليفة الجديد ، واستنكر تلك السراقات الفخمة المنصوبة له ، فهى تمبر عن اسراف ومظااهر كاذبة . ووجد عمر صاحب الشرطة يتأهب للسير بين يديه ، فيقول له عمر : تنح عني ، مالى ومالك . . . وانما انا رجل من المسلمين . . . وقصد بخلته فركبها ، وسرح الفرسان والحراس والشرطة ، وكان عدد هم أكثر من ستائة . ودفع بقدمه الفرش الفاخرة حتى بان الحصى من تحتها ، ثم دعا بمولاه مزاحم وقال له : هذه البراذين والخيول ، وهذه السراقات والحجر ، وهذه الفرش والرياض ، ضمها الى بيت المال .<sup>(١)</sup>

ودار عمر ببصره فرأى ابنا له قد لا تمزق قميصه من كثرة ازدحام الناس حوله ، فقال عمر لابنه : أصلح جيب قميصك ، فانك لم تكن قط احوج الى ذلك منك اليوم . ثم نظروا عمر الى الحرس فرأى عمرو بن مهاجر الانصارى فقال عمر : والله انه لتعلم يا عمرو انه ما بينى وبينك قرابة الا قرابة الاسلام ، ولكنى قد سمعتك تكثر تلاوة القرآن ورأيتك تصلى فى موضع تظن ان لا يراك احد ، فرأيتك حسن الصلاة ، خذ هذا السيف ، قد وليتك حرسى . وهكذا اصبح التدين والورع الاساسى الاول لتولى المناصب .<sup>(٢)</sup>

---

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٦٨

(٢) المصدر السابق ص ١٥١

ودار عمر حول نفسه كما تدور العاصفة فاقتلع جذور الباطل وطمس معالم —  
الفرور ، ونوى ان يفتى المال المجتمع ويضيع المقار الموروث ، ويبدد القطائع الموهوبة  
لاليزهد زهاده تفقره وتفقر أهله ولا تغنى الناس ، ولكن ليرد الحق الى نصابه ، ويميد  
المدالة الى مجراها ، ويبنى من هبة الحق ما هدمه السلف فى القلوب ، ويوضح من معالم  
الاسلام ما طمسته الخطوب فى الانهالان . وانه لما ضيق ثقل باوزار غلاظ تصعب عن كل تطهير  
ولكن عمر صمم على ان يطهر الارض ، ولو قد راى ان يطهر بدنه من سموم الطعام الذى أكله  
من قبل ، وأن يمحى من الهواء نفحات الطيب الذى نفحت فيه منه .  
( ١ )

تقدم أهل سليمان بن عبد الملك ، الى عمر بن عبد العزيز بعد توليته الخلافة  
مباشرة ، يشيرون الى مخلفات سليمان فى دار الامارة ، ويقولون : هذا لك ، وهذا لنا  
فيسألهم عمر : وما هذا وما هذا ؟ فيقولون : هذا مما لبس الخليفة — أى سليمان — من  
الثياب ، ومن من الطيب فهو لولده ، وما لم يمس ولم يلبس فهو للخليفة بعده ، وهو لسك  
ويغضب عمر ويقول لمولاه مزاحم : ما هذا لى ولا لسليمان ولا لكم ، ولكن يا مزاحم ضم  
هذا كله الى بيت مال المسلمين . ( ٢ )

لقد تغيرت سيرته ، ساعة تحمله المسئولية ، فكانه لا يتصل بماضيه وذكرياته ، ولا بأبائه  
وأهله بصلة ، ولا يعرف غير جده عمر بن الخطاب أسوة له . رد الجوارى الى أهلهم —

---

( ١ ) سيد الاهل : الخليفة الزاهد ص ٩٤

( ٢ ) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣٩



وبلاد هن ، ورد المظالم ، وألقى المجالس التي أشبهت مجالس الإباطرة ، وأعادها إلى بساطتها الأولى ووضعها الإسلامي ، فنهى عن القيام له ، وابتدأ بالسلام وأباح دخول المسلمين عليه بخير أذن .<sup>(١)</sup>

نزع عمر ثيابه ، وغسل يده عن الطيب ، وارتدى ثياباً ثمنها ثمانية دراهم ، وأزال شعره ، وأمر ببيع ما عنده من متاع ومركب ولباس وعطر ، فبلغ بيعه ثلاثة وعشرين ألف دينار ، ثم دفع بثمنها إلى بيت المال .<sup>(٢)</sup> وأصبح المسلمون المحتشدون في الجامع في يوم الجمعة ينتظرون قدوم الخليفة عمر إليهم ، فيتأخرون ، كان ينتظر قميصه الوحيد أن يجف ، ولم يجد عمر نفقات أدائه الحج ، فقد كانت نفقته اليومية لا تزيد على رهمين .<sup>(٣)</sup>

وخاف عمر أول ما خاف مطامع النساء ، وكان عنده امرأة لو شئت أن تجتمع لديها الدنيا لا جمعت ، حفيذة خليفة و بنت خليفة وأخت خلفاء ، وهى فاطمة بنت عبد الملك ، فقال اليها يقلم أظافرها منذ أول الأمر لا تعلق جانبها ، فأخذ جواهرها وخليها — فيما أخذ — وأودعها بيت المال ، حتى إذا احتاج إليه المسلمون انفق عليهم ، وكان عمر قد شعر أن فاطمة لم ترض كل الرضا بما فعل ، فقال اليها يخبرها بين أن تقيم عنده وبين أن تلحق بأهلها ، وأعلمها أنه إنما شغل عن النساء بما في عنقه ، فرضيت أن تقيم وإن تدفع بخليها إلى بيت المال ثم لا ترده اليها أبداً .<sup>(٤)</sup>

(١) الندوى : رجال الفكر والدعوة في الإسلام ص ٣٢

(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٦٧

(٣) المسند الصابق ص ٦٢ - ٦٣

(٤) سيد الأهل : الخليفة الزاهد ص ٩٥

كان عمر فيما مضى يستخشن الحلة المشتراة بألف دينار وقد يلبسها مرة واحدة ،  
واليوم يرتدى عمر قميصا خشنا بسيطا بدراهم قليلة .<sup>(١)</sup> وكلما تذكر عمر ( المشيخة  
الحميرة ) استنكرها ، وندم عليها ، وقال : والله ما رأيته كانت الا جنونا .<sup>(٢)</sup>

والصادر التاريخية حافلة بمئات الروايات التي تصور زهد عمر وتشفه وغفته ، الذي  
بلغ حد التضيق على نفسه وعلى أهله . ولكننا أراد ان يكون القدوة الطيبة والاسوة  
الحسنة ، لقومه ، ولرعاياه . وأراد ان يعطى سياسة ( الحرص على المال العام ) .

وبدأ عمر بسياسة التجرد الذاتى ، فباع كل ممتلكاته ، من مزارع وماشية وخيول  
وملابس وعطور ورياش ، وضم اثمنها الى بيت المال ، مكنتها بدرهمين يوميا ، لا يفيان  
حاجته الضرورية .<sup>(٣)</sup> لقد انتهى غبا ثمنه درهم ، فلم يصل اليه ، وكان يحب العمل  
فلم يستطع شراءه ، حتى اذا نظرت اليه زوجته نظرة عطف واشفاق قال لها : يا فاطمة  
انى أخاف النار . . . . يا فاطمة انى أخاف عذاب يوم عظيم .<sup>(٤)</sup>

وبعد ان نجح عمر وزوجته فاطمة فى تحقيق سياسة التجرد الذاتى ، انتقل عمر  
الى ابناؤه . فبلغه ان أحد ابناؤه اشترى فص خاتم ثمين ، فكتب اليه : بلغنى انك  
اشتريت فصا بألف درهم ، فبعه واشبع به ألف جائع ، واتخذ خاتما من حديد .<sup>(٥)</sup>

---

(١) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ج ١ ص ٣٣٠

(٢) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٧٥

(٣) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٤٦

(٤) المصدر السابق ص ٤٩-٥٠

(٥) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٧٥

وكتب ابن آخر الى عمر يطلب منه ان يزوجه ، وان يجمل صداقه من بيت المال ،  
وكان هذا الابن له زوجة ، فغضب عمر وكتب اليه : لعمر الله ، لقد اتاني كتابك تسألني  
ان اجمع لك بين الضرائر من بيت مال المسلمين ، وابناء المهاجرين لا يجسد  
أحد هم امرأة يستعف بها ، فلا أعرف ما كتبت بمثل هذا (١) .

وأصبح بيت عمر أبسط بيوت المسلمين ، فيروى ابن عبد الحكم (٢) ان امرأة جاءت  
الى بيت عمر ، فرأت زوجته فاطمة قائمة على مخزل تغزل ثوبا لها ، وتلفتت المرأة  
فلم تجد في البيت شيئا له قيمة ، فمجبت وقالت : انما جئت لاعمر بيتي من هذا  
البيت الخرب ؟ فتقول فاطمة : انما خرب هذا البيت عمارة بيوت امثالك .

حتى اذا اطمأن عمر الى تنفيذ سياسة التجرد الذاتي في بيته ، أراد ان يطبقها  
أيضا على سائر بني امية ولكن يكن الامر سهلا ميسورا هذه المرة .

بعد تولية عمر الخلافة ، انقطع ثلاثة ايام ، لزم خلالها داره ، وتساءل الكثير  
عن أسباب هذا الانقطاع ، وقد قضى عمر هذه الايام الثلاثة مع مولاة مزاحم يجممان  
سجلات قطائع عمر ، وقطائع امراء بني امية ، وعمود عطاياهم والاموال التي تجسرى  
عليهم ، وكانت نصف ما في بيت المال أو ثلثيه .

---

(١) ابن الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٢٩

(٢) المصدر السابق ص ١٦٩

ثم أمر عمر مناديه بأن ينادى بصلاة جامعة ، واحتشد المسلمون في جنبات الجامع  
لرؤية الخليفة الجديد والاستماع اليه . وفوجئوا جميعا برؤية عمر في ثوب لا يزيد ثمنه  
على اثني عشر درهما . ثم بدأ عمر خطبته ، ليعلم للناس انه بدأ سياسة جديدة للإصلاح ،  
يبدأ بنفسه ، وبأهل بيته .

وقف عمر على المنبر ، ومزاحم . دونه ، وقال عمر : أما بعد ، فان هؤلاء أعطونا  
عطايا ما كان ينبغي لنا ان نأخذها ، وما كان ينبغي لهم ان يعطوناها ، وانى قد  
رأيت ذلك ليس على فيه دون الله محاسب ، وانى قد بدأت بنفسى وأهل بيتى . اقرا  
يا مزاحم .

وبدأ مزاحم يقرأ السجلات سجلا بعد سجل ، وعهدا بعد عهد ، لممرأ أو للامرا .  
( ١ )  
الامويين ، فبدأ خذله عمر ويمزقه بمقص في يده ، حتى حلت صلاة الظهر .

هذا ما كان في السجلات التي حصل عليها ، أما التي لم يحصل عليها فقد أمر  
عمر الا ينتفع أحد بأرض قد اغتصبها أو اغتصبت له . ونادى عمر ان ليس لاحد  
مال الا بما في كتاب الله . ولم يترك ظلامة مزرة ، ولا طلبية لاحد عنده الا ردها اليه ،  
وخرج مما كان في يده من مزارع وأشياء وعبد وأمه فجعلها جميعا في بيت مـ  
المسلمين . ( ٢ )

---

( ١ ) ابن الجوزى : عمر بن عبد العزيز ص ١٠٦

( ٢ ) سيد الاهل : الخليفة الزاهد ص ٩٧ — ٩٨ .

تنازل عمر عن كل اقطاعياته فى السهلة باليامة ، وفى المكيدس ، وجبال  
الورس باليمن . وأما ما لم يكن له سجل من الارض فقد امر وكلاءه ان يردوا ثماره الى  
بيت المال ، وأما ما كان له شركاء فلم يمس له حقوق شركائه فيه . ولما كان عمر قد قضى على  
نفسه ألا يأخذ من بيت المال شيئا قط فانه أبقى لنفقة بيته وأهله عينا بالسويداء كان  
استنبط ماءها فى أرض خربة براح ليس فيها لاحد غربة معمول ، فعملها من صلب  
عطائه ، فكانت تجيئه غلتها مائتا دينار وجراب فيه تمر . فاكثفى بها ولم يجر على نفسه  
( ١ )  
من بيت المال درهما .

قال احد هم لعمر : لو اخذت من بيت المال ما كان يأخذ عمر بن الخطاب ،  
فقال عمر : ان ابن الخطاب لم يكن له مال ، وأنا مالى يخفىنى ، وجعل عمر نفقته من  
( ٢ )  
بيت المال درهمين يوميا فحسب .

نزل عمر من فوق المنبر ، وجمع امراء بنى امية حوله ، وقال لهم : أدوا ما فى  
أيديكم من حقوق الناس ، ولا تلجئوني الى ما أكره فاحملكم على ما تكرهون ، وانى لا يصيب  
شطر اموال هذه الامة أو ثلثيها فى أيديكم . وصمت الامويون ولم يتكلموا ، فقال  
عمر : اجيبوني . فقال هشام بن عبد الملك : والله لانخرج من اموالنا التى صارت  
الىنا من آبائنا فنكفر آبائنا ونفقر أبناءنا حتى تزايل رؤوسنا أجسادنا .

- 
- ( ١ ) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٤٥  
( ٢ ) ابن عساکر : تاريخ مدينة دمشق ص ٥٨٨ ، ابن عبد ربه : العقد الفرید  
ج ٤ ص ٤٣٤

وأدرك عمر أن الأمر ليس سهلاً ميسوراً ، فللامويين انصار وأتباع ينبشون في كل مكان ، يستفيدون منهم ، ويمعشون على خيراتهم ، وخشى عمر أن يشير الامراء الامويون الفتنة بين الناس ، فقال لاحد رجاله : أما والله لولا ان يستمعينوا على بمن أطلب هذا الحق له لاغرعت خدودهم عاجلاً ، ولكنى أخاف الفتنة ، ولكن أبقاني الله لا ردن لكل ذي حق حقه ان شاء الله . (١)

وندى الامراء الامويون أميرة اموية ، كان لها شخصيتها المرموقة في البيت الاموي ، وهي فاطمة بنت مروان بن الحكم ، لتتوب عن بنى امية في الحديث الى ابن اخيها عمر ، وأدرك عمر بذلك سبب قدومها اليه ، فسبقها في الحديث وقال : يا عمة ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض فترك الناس على ورد مورود ، فتولى ذلك الورد رجل فلم يستنقص منه شيئاً ، ثم تولاه الرجل بعد الرجل ، حتى ولى معاوية فشق الانهار ، ثم لم يسزل الناس يكرهون منه حتى تركوه يابسا ليس فيه قطرة ، وايم الله لئن أبقاني الله لاعيدننه الى مجراه الاول .

ثم قالت العمة : ان قرابتك يشكونك ويزعمون انك أخذت منهم ما لم يأخذ غيرك . فقال عمر : ما صنعتهم حقاً كان لهم . فقالت : انى رأيتهم يتكلمون ، وانسى

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٤ ص ٤٣٧ .

أخاف ان يهيجوا عليك يوما عصيا • وغضب عمر وقال : كل يوم أخافه دون يوم القيامة  
فلا وقاني الله شره •

وعادت فاطمة بنت مروان الى الامراء الامويين تقول لهم : تزوجسون ابنكم عبد العزيز  
من آل عمر بن الخطاب فاذا نزعوا الى الشبه جزعتهم ؟ اصبروا ، وذوقوا مضيق  
أمركم • (١)

وقدم أحد اولاد سليمان بن عبد الملك على عمر يطالب بأرض قد صادرها عمر •  
وقدم له سجلا ، وظن ان عمر سيقدر عهد سليمان له بالخلافة فيرد له أرضه • وقال  
ابن سليمان : يا أمير المؤمنين ، لم لا ترد على أرضي ؟ فقال عمر : معاذ الله ألا  
ارد أرضا رسخت لك في الاسلام • فأخرج ابن سليمان السجل ودفعه الى عمر ، فنظر  
عمر الى السجل وسأله : لمن كانت هذه الأرض ؟ فأجاب : للفاسق ابن الحجاج •  
فقال عمر : فهو أولى بها • فقال : يا أمير المؤمنين ، فانها لي من بيت مال المسلمين  
قال عمر : فالمسلمون أولى بها • فقال ابن سليمان : فرد على السجل • فقال عمر :  
لو لم تأتني به لم أسألكه ، فأما اذ جئتني به فلا ندعك تطالب بباطل •

وعطف مزاحم ، مولى عمر ، على ابن سليمان ، وقد رآه يبكي بحرارة ، فقال لعمر :  
يا أمير المؤمنين ، ابن سليمان تصنع معه هذا ؟ فقال عمر : ويحك يا مزاحم ، انما نفس  
أحاول عنها ، وانى لأجد له من المشقة ما أجد لولدي • (٢)

(١) ابن الجوزي : عمر بن عبد العزيز ص ١١٦ ، الاصفهاني : الاغانى جلد ص ١٤٦

(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١١٨

وكان سليمان بن عبد الملك قبيل وفاته قد أمر لحنيسة بن سميد بن العاص ، وهو من أشرف بنى امية ، عشرين ألف دينار يصرفها من بيت المال ، ومات سليمان قبل ان يوقع ديوان الخاتم على أمر الصرف ، وطالب الديوان بتوقيع الخليفة الجديد . وطلب غنيسة من عمر وكان بينهما صداقة ومودة ، ان يوقع أمر الصرف ، وأبدى عمر ذعرا شديدا وصاح : عشرون ألف دينار ؟ عشرون ألف دينار تعنى أربعة آلاف بيت من بيوت المسلمين وأدفعها الى رجل واحد ؟ والله ما لى الى ذلك سبيل . (١)

وأتاب الامراء الامويون - مرة اخرى - عنهم هشام بن عبد الملك ، فقدم على عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، انى رسول قومك اليك ، وان فى انفسهم ما أكلمك به ، وانهم ليقولون : استأنف الحمل برأيك فيما تحت يدك ، وفئل بين من سبقك وما ولوا بما عليهم ولهم . فقال عمر : أرايت يا هشام ان جئت بسجلين أحدهما من معاوية والاخر من عبد الملك بأمر واحد ، فبأى السجلين آخذ ؟ فأجاب هشام : تأخذ بالاقدم . فقال عمر : فانى وجدت كتاب الله الاقدم ، فأنا حاصل عليه من أتانى ممن تحت يدى وفيما سبقنى . (٢)

---

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥٦

(٢) ابن الجوزى : عمر بن عبد العزيز ص ١١٨



وكان للوليد بن عبد الملك بن يدعى ( روح ) نشأ في البادية ، فأصبح  
جلفا فظ الطباع ، وقد أقطعه الوليد حوانيتا في حمص ، وقدّم أهالي حمص الى عمر  
(١)  
يشكون اليه روحا ، فرد اليهم حوانيتهم .

واذا كان عمر بن عبد العزيز قد أصبح القدوة الطيبة لابناء المجتمع الاسلامي ،  
فقد كان الى جواره قدوة طيبة أخرى ، تمثل الشباب المسلم الصالح ، وهو ابنه عبد  
الملك الذي لم يجد حرجا في وعظ ابيه وحثه على اقرار الحق والمدل ، رغم  
ان عمر - في الحقيقة - لم يكن في حاجة الى من ينصحه ويذكره . وكان الفارق بينهما  
هو رزانة الشيوخ وحماسة الشباب .

وحين انصرف عمر من دفن سليمان ورد القطائع الى بيت المال ، وسهر في بيع  
المتاع والبرادين والسرادات وفي تسريح الجوارى ، وطلع النهار ، واستمر يمارس  
أعمال الخلافة نهارا حتى أدى صلاة الظهر ، ثم أراد الراحة ساعة القيلولة ، فقدم  
ابنه عبد الملك عليه يماتبه ويقول : تقيل ولا ترد المظالم ؟ فقال عمر : انى قد سهرت  
البارحة في أمر عمك سليمان ، فاذا قلت قمت فرددت المظالم . فقال عبد الملك : يا أمير  
المؤمنين ، من لك ان تعيش حتى تقوم فتردها ؟ . وقبل عمر ابنه وقال : الحمد لله  
الذى أخرج من صلبى من يعيننى على دينى . ثم أمر مناديه بأن ينادى فى الناس :  
(٢)  
ألا من كانت له مظلمة فيرفمها .

(١) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج١ ص ٢٦٠

(٢) ابن الجوزى : صفوة الصفوة ج٢ ص ٦٥

وعاتب عبد الملك أباه عمر على موقفه الهادئ الحافل من بنى أمية ، فقال عمر :  
يا بنى ، ان قومك شدوا هذا الامر عقدة عقدة ، وعروة عروة ، ومتى ما أريد مكابرتهم  
على انتزاع ما فى أيديهم لم آمن ان يفقتوا على فتقاتكثرفيه الدماء ، والله لـزوال  
الدنيا أهون على من ان يهرق بسببى محجمة من دم . او ما ترضى الا يأتى على ابك  
يوم من ايام الدنيا ألا وهو يميت فيه بدعة ويحيى فيه سنة ، حتى يحكم الله وهو  
خير الحاكمين ؟ (١)

وكانت عبارات عبد الملك لابنه عمر كقيلة باشعال نيران حماسة عمر لرد مظالم  
بنى أمية ، حتى قال الناس : أفضل الخلفاء أبو بكر يوم الردة ، وعمر بن عبد العزيز  
فى رد مظالم بنى أمية . (٢)

ثم رأى عمر ان يخلق قدوات اجتماعية طيبة فى كل قطر من الاقطار الاسلامية ، فيختار  
أفضل الولاة والعمال ، الذين يمثلون الخليفة ، ويصحبون صورة له فى عيون الرعايا .  
وكان الناس يتساءلون : من الذى يحقق لهم العدالة ؟ أهو الراعى أم هى الرعية ،  
أم هما معا ؟ أما عبد الملك بن مروان فكان يرى أن تبدأ الرعية بالطاعة العمياء ،  
وطلبت الرعية فى عهد العدل فظننها عبد الملك أنها لا تستحقه ، ثم كان يقول : أنصفونا  
يا معشر الرعية ، تريدون منا سيرة أبى بكر وعمر ، ولا تسيرون فينا ولا فى أنفسكم بسيرة

(١) ابن الجوزى : صفوة الصفوة ج ٢ ص ٢٤

(٢) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٧٥

رعية أبى بكر وعمر ، فسأل الله ان يعين كلا على كل .

أما عمر بن عبد العزيز ، فرأى ان يبدأ الحكام ثم تفعل الرعية ، واذا كان على  
الحكام أن يبدأوا وعلى الرعية ان تفعل من بعدهم فلأن المدالة فى حساننة  
الناس جميعا . واذا كان الحاكم عليه اثم المظالم فان الرعية تحمل معه اثمه اذا لم  
تراقبه وتقف له بالمصراد . واذا لم تفعل الرعية ولم تحاسب الولاة أخطأت الرأى  
وأصيبت بالحرمان . بل رأى عمر ان الرعية التى لا تراقب الحاكم ولا تحاسبه مستحقة  
للعقوبة اذا لم تنكر المعصية وترفض الظلم (١)

طلب عمر من الولاة وسائر الموظفين ، تحمل المسئولية كاملة ، والمحافظة على  
المال العام ، ورعاية مصالح الرعايا ، وأعلن سياسة التقشف ، وبالغ احيانا فى هذه  
السياسة ، فقد كتب الى والى المدينة أبى بكر بن عمرو : " أما بعد ، فقد  
قرأت كتابك الى سليمان تذكر انه قد كان يجرى على من كان قبلك من أمراء المدينة  
من القراطيس لحوائج الناس كذا وكذا ، فابتليت بجوابك فيه ، فاذا جاءك كتابى  
هذا فارق القلم واجمع الخط ، واجمع الحوائج الكثيرة فى الصحيفة الواحدة فانه  
لا حاجة للمسلمين فى فصل قول اضربيت مالهم . والسلام عليكم " (٢) كما كتب  
عمر الى نفس الوالى رسالة اخرى جاء فيها : " أما بعد . فقد قرأت كتابك الى

(١) سيد الاهل : الخليفة الزاهد ص ١١٧

(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٥

سليمان تذكر فيه انه كان يقطع لمن كان قبلك من أمراء المدينة من الشمع كذا وكذا ،  
يستضيفون به في مخرجهم ، فابتليت بجوابك فيه ، ولعمري لقد عهدت لك يا ابن أم حزم ،  
وأنت تخرج من بيتك في الليلة الشاتية المظلمة من غير مصباح . ولعمري أنت يومئذ  
خير منك اليوم ولقد كان في فتائل أهلك ما يخنيك .<sup>(١)</sup>

ومنع عمر الولاة والموظفين من الاشتغال بالتجارة ، فكتب عمر : " لا يحل لمامل  
تجارة في سلطانه الذي هو عليه ، فان الامير متى يتجر ليستأثر ويصيب أمورا فيها غنت  
وان حرص على ألا يفعل " .<sup>(٢)</sup> كما منع الولاة والعمال من قبول الهدايا التي  
قد تمبر عن الرشوة واستغلال النفوذ .<sup>(٣)</sup>

ولم يأت عمر الخلافة غافلا قد جهل الامور ، ولكنه اتاها على قدر ومعرفة ، قد  
خبرها عن قرب وعرف كل احوالها وأعد لكل داء دواء ، ولم يدع الامور تجري على سجيتها  
وقد رأى منذ بدأ يحكم ان يستعين بخيار العمال ويستمع لمشورة الناس فيهم . وكان  
لا يولى الرجل حتى يختبره ظاهرا وباطنا فاذا اطمان له بعد الاختبار استعمله في  
أحدى الوظائف ، وكلهم اختارهم عمر من أولى القسوة في العدالة والرفق بالرعية ، وهما

---

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٤ — ٦٥

(٢) المصدر السابق ص ٩٩

(٣) الطبري ج ٦ ص ٥٦٩

أمران لا يتمازجان ، وقد ضون باختبار الرجال واختيارهم أن يضع الرجل في العمل  
الذى يصلح له وينتفع الناس به . (١)

عزل عمر أسامة بن زيد عن خراج مصر ، ويزيد بن المهلب وصالح بن عبد الرحمن  
عن المراق ، والحارث بن عبد الرحمن الثقفى عن الاندلس ، ومحمد بن يزيد بن مسلم  
عن افريقية . ونفى أهل بيت الحجاج الى اليمن . (٢)

أصبح عمر حركة دائبة لتغيير كل الاوضاع القديمة ، وبصرا طامحا تغطى رؤياه  
أبعاد العالم الاسلامى ، يعزل ويولى ، ويضع المسئولين الذين يتحملون الامانة في  
كل اقليم من أقاليم الدولة . وهو ينظر اليهم بعينين لا تغمضان ، يشدهم أبدا الى الحق  
والعدل ، ويضع نصب أعينهم دوما شريعة الله ، وسعادة الامة . وخطم عمر الجسد ران  
والبروتوكولات التى وقفت دحرا حائلا بين الخلفاء والجماهير ، وفتح عمر الطريق  
المباشر الى قلبه ووجدانه أمام كل المظلومين .

ويبدو جليا استمراضى اسماء الولاة والقضاة وسائر الموظفين الذين اختارهم عمر ،  
حرصه على الاعتماد على اكثر العناصر كفاءة وعلما وايمانا وقبولا لدى جماهير المسلمين ،  
ولم يلزم نفسه أبدا بانتقاء العناصر الادارية من حزب بنى أمية الحاكم ، تحطيما

---

(١) سيد الاهل : الخليفة الزاهد ع ١٣١

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ١٠ ، ابن الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ج ٥

(١) للبيرو قراطية الاموية ، وانفتاحا على الصفوة من أبناء الامة عربا وموالي .

واذا استعرضنا أسماء ولاية وعمال عمر ، لانجد غير اسم واحد أو اسمين — من  
بنى أمية . ويذكر المؤرخ المسعودي <sup>(٢)</sup> أن عمر استغنى عن الولاة السابقين — من  
الامويين ، واستعمل أصلح العناصر ، واحتذى عماله حذوه .

---

(١) عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الاسلامي ص ١٥٤-١٥٦

(٢) مروج الذهب ج ٢ ص ١٦٧

## ٢- العدالة الاجتماعية

رأى عمر بن عبد العزيز ان يحقق العدالة الاجتماعية لجميع رعاياه ، على اختلاف  
أجناسهم وأقاليمهم ، ووضع قواعد هذه العدالة ، ووفر لها الاجهزة الحكومية التى تضمن  
تحقيقها ، ثم حرص على المتابعة لضمان التنفيذ ، ثم لم يتوان عن توقيع أشد العقاب على  
من حاد عن الحق والعدل ، فانتشر الامان والسلام ، وهدأت النفوس والقلوب ، وانتشرت  
القبطة والسرور .

ولا يكون الحاكم عادلا فاضلا الا اذا أحسن فى قرارة نفسه وأعماق قلبه بأنه ، منذ ولى  
الحكم ، قد صار مسئولا عن كل فرد فى دولته وجماعته ، وأنه راع وهو مسئول عن رعيته ،  
وأنه أول شخص بين جماعته ينهض بتبعاتها ، فيسهر على أمرها ، ويدأب فى خيرها .

والحاكم المادل عمر بن عبد العزيز قد أحسن بهذه التبعة أصدق الاحساس  
وأعمقه ، وشعر بأنه مسئول امام الله وأمام الناس عن كل فرد فى رعيته منذ اليوم الاول  
الذى تولى فيه مقاليد الخلافة .

أعلن عمران ولاته لن يشعروا بنجاحهم فى مهامهم الا اذا حققوا " استقامة  
الامن فى البلاد ، وظهور مودة الرعية لهم ، وحسن ثنائهم عليهم " .<sup>(٢)</sup> ورأى عمران

---

(١) الشرياصى : خامس الراشدين ص ٩٨

(٢) ابن الجوزى : عمر بن عبد العزيز ص ٨٥

العدل يجب ان ينبع من القرآن والسنة ، فكتب عمر بعد توليته الخلافة كتابا عاما الى ولاته ، جاء فيه : " . . . ان تتبعوا كتاب الله وسنة نبيه ، وان تجتنبوا ما مالت اليه الالهواء والزيف البعيد ، ومن عمل بغيرهما فلا كرامة ولا رخصة له في الدنيا والاخرى . . . ولعمري أن تموت نفسى أول نفس أحب الى من أن احملهم على غير اتباع كتاب ربهم وسنة نبيهم . . . فانه ليس بعد الحق الا الباطل ، ولا بعد البصر الا العمى " . (١)

ويرى عمر أن خشية الله هي خير سبيل لقرار الحق والعدل ، فعلى الوالى أداء حق الله ، ثم حق الناس ، فنراه يكتب الى واليه في خراسان : " أما بعد ، فكن عبدا ناصحا لله في عباده ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، فان الله أولى بك من الناس ، وحقه عليك أعظم ، فلا تولين شيئا من أمر المسلمين الا المعروف بالنصيحة لهم والتوفير عليهم ، وأداء الأمانة فيما استترعى . وإياك ان يكون ميلك الى غير الحق ، فان الله لا تخفى عليه خافية ، ولا تذهبن عن الله مذهبا ، فانه لا ملجأ من الله الا عليه " . (٢)

ويربط عمر بين العلم والعمل ، فيكتب في رسالة اخرى الى والى خراسان : " ان العلم والعمل قريبان فكن عالما بالله عاملا له ، فان أقواما عملوا ولم يعملوا فكان علمهم عليهم وبالا " . (٣)

---

(١) ابن الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٧٨

(٢) الطبرى ج ٦ ص ٥٦١

(٣) الطبرى ج ٦ ص ٥٦٧



وأراد عمر ان يصل الى الفهم الكامل للعدل ، والى التحديد الشامل لابعاد  
العدالة الاجتماعية ، فسأل صاحبه ، الورع التقى والناصح الامين ، محمد بن كعب  
القرظى ، فقال عمر : يا بن كعب ، صف لى العدل . فقال ابن كعب : سألت  
عن أمر حسن ، كن لصغير المسلمين أبا ، ولكبیرهم ابنا ، وللمثل منهم أخا ، وعاقب  
الناس بقدر ذنوبهم على قدر أجسامهم ، ولا تضربن لفضبك سوطا واحدا تتعدى  
فتكون عند الله من المعادين . (١)

ولم تفترق عند عمر وأصحابه عدالة عن عدالة ، فالعدالة الحکمية التى هى من  
عمل القاضى ، والعدالة الاجتماعية التى هى من عمل الوالى ، أمران عندهم لا يفتسرقان  
وكلاهما ان تحقق يسند الاخر ويشد بنيانه ، ولذلك عنى بهما معا .

وليس واقع العدالة الا الاحسان الى من يستحق ، وعقوبة من يستحق . وتقدير  
العقوبة ، فلا يماقب مذنب كمذنب ، ثم القصد فلا اسراف ولا تقصير ، والعربى والمولى  
سواء . وكما وصف القرظى وفعل عمر تكون العدالة ، أما صياغة المدل فى نظريات  
فلم تكن صنعة فقيه كالقرظى ، ولا صنعة حاكم كعمر بن عبد العزيز . (٢)

---

(١) ابن الجوزى ص ١١

(٢) سيد الاهل : الخليفة الزاهد ص ١٣٦

ورأى عمر أنه ينبغي للقاضي خصص خصال : يكون عالما بما مضت عليه السنة ،  
 حليما ، ذا أناة ، غيفا ، مشاورا ، فإذا اجتمع ذلك فى القاضي كان قاضيا ،  
 وان نقص منهن شىء كان وصما فيه .<sup>(١)</sup> وقد حرص عمر على اختيار افضل القضاة ،  
 ولم يشهد عصر قبله أو بعده ، مثل هؤلاء القضاة العظام .

<sup>(٢)</sup> علق المستشرق ( فلموزن ) على سياسة عمر فى ارساء قواعد العدالة ، وتوفير  
 قضاء عادل ، فقال : لم يكن عمر يكتفى باختيار رجال يظهرون انهم على شاكلته  
 ثم يتركهم بعد ذلك يفعلون ما يشاؤون ، ماداموا يحملون اليه ما يلزم ان يحملوه ممن  
 أموال ، بل كان يشمر انه مسئول هو نفسه عما يجرى فى جميع البلاد ، ولم يكن همه  
 الزيادة فى قوة الدولة ، بل اقامة الحق والعدل فيها . وعلى يديه صار للفقهاء واهل  
 العلم كلمة مسموعة بعد ان كانوا حتى ذلك الحين أشبه بحزب ذى كيان شرعى مستقل  
 عن الحكومة ومناوئ لها بعض الشئ . ويظهر من هذا الوجه أيضا ان منصب القاضي  
 قد أصبح على عهد عمر أكثر استقلالا واكبر شأنًا مما كان .

ونرى مفهوم عمر حول أركان الدولة فى رسالة له الى عقبة بن زرعة فى خراسان يقول  
 فيها : " ان للسلطان أركانًا لا يثبت الا بها : فالوالى ركن ، والقاضى ركن ، وصاحب  
 بيت المال ركن ، والركن الرابع أنا " .<sup>(٣)</sup>

(١) ابن الجوزى ص ٢٣٨

(٢) فلموزن : الدولة العربية ص ٢٦٢

(٣) أنا : أى الخليفة عمر بن عبد العزيز ( الطبرى ج ٦ ص ٥٦ )

ونهى عمر عن اللجوء الى الشدة من أجل اثرار الامن ، فقد كتب الى خراسان الى عمر : " انى قدمت خراسان فوجدت قوما قد أبطرتهم الفتنة ، فهم ينزون فيها نزوا ، أحب الامور اليهم أن تعود الفتنة ، لينفعوا حق الله عليهم ، فليس يكفيهم الا السيف والسوط ، وقد كرهت الاقدام على ذلك الا باذنك " . وغضب عمر وأجاب : " يا ابن أم الجراح ، أنت أحرص على الفتنة منهم ، لا تضرين مؤمنا ولا مهاددا سوطا الا فى حق ، واحذر القصاص فانك سائر الى من يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ، وتقرأ كتابا لا يفاد ر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها " . (١)

ورأى عمر أن العقاب يكون بالبينة ، وماتباع السنة . فقد قال يحيى الفسائسى والى الموصل : لما ولانى عمر بن عبد العزيز الموصل قد متها فوجدتها من أكثر البلاد سرقة ونقبا ، فكتبت اليه أعلمه حال البلد وأسأله : أأخذ الناس بالظنة وأضربهم على التهمة ، أم آخذهم بالبينة وما جرت عليه السنة ؟ فكتب الى بان أخذ الناس بالبينة ، فان لم يصلحهم الحق <sup>فلا</sup> أصلحهم الله . ثم يقول الوالى : ففعلت ذلك ، فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقلها سرقة ونقبا . (٢)

وانتهج عمر منهج اللين والاعتناع فى تنفيذ الاحكام ، وانتقد عبد الملك بن عمر هذه السياسة ، فقال عمر : يا بنى ، ان نفسى مطيتى ان لم أرفق بها لم تبلغنى ، انسى لو أتعبت نفسى واعوانى لم يك ذلك الا قليلا حتى أسقط ويسقطوا . وان الله حل

(١) الطبرى ج ٦ ص ٥٦١

(٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٥٧

ثناؤه لو أراد ان ينزل القرآن جملة واحدة لانزله ، ولكنه أنزل الآية واليتين حتى استمكن  
الايما ن فى قلوبهم • فلو جمعت ذلك فى يوم واحد خشيت انتشاره على ، ولكنى انصف الرجل  
والرجلين فيبلغ ذلك من وراءه ، فيكون انجح له • فان يرد الله اتمام هذا الامر أتمه ، وان تكن  
الآخرى فحسب عبد ان يعلم الله أنه يجب ان ينصف جميع رعيته •  
(١)

ومنح عمر القاضى استقلالاً تاماً ، وحرية كاملة ، فأصبح القاضى لا يخشى أصحاب  
السلطة التنفيذية • بل ان قاضى مصر حكم لمصرى باسترداد ارض كان قد أخذها  
عبد العزيز بن مروان خلال ولايته لمصر ، فأصبحت ملكاً لعمر ولاخوته ، وأبدى عمر  
سروره لحكم القاضى ، وقال له : بارك الله عليك ايها القاضى •  
(٢)

ورأى عمر سرعة صدور الاحكام حرصاً على مصالح المتقاضين ، وأمر الولاة بـ  
المظالم دون أن يراجموه • ولا م عمر أحد عماله لانه يراجعهم دائماً فى المظالم •  
(٣)

وشجع عمر المظلومين ، ومن يكشفون عن ظلم واقع ، ان يقدموا عليه ، وهو يسدد  
لهم نفقات السفر ، فأعلن عمر : " وأيما وارد ورد فى أمر يصلح الله به خاصة  
أو عامة فله مائة دينار الى ثلثمائة ، وعلى قدر ما ترى من الحسبة وتجشم المشقة ،

(١) ابن الجوزى ص ١٠٦

(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٢

(٣) كتب عمر الى عامله عبد الحميد بن عبد الرحمن : انه يخيل لى أنى لو كتبت لك  
ان تعطى رجلاً شاه لكتبت الى : أذكر أم أنسى ؟ ولو كتبت اليك بأحد هما لكتبت  
الى : صغيرة أم كبيرة ؟ ولو كتبت : ضائعة أم مفقودة ؟ فاذا كتبت اليك منفذ  
ولا ترد على ( ابن عبد ربه : المقد الفريد ج ٤ ص ٤٣٧ ) •

فرحم الله امرأه لم يتماظمه سفر يحيى الله به حقاً لمن وراءه " ولكن زاد عدد القادمين الى دمشق ، يقدمون شكاياتهم ، وازدحت بهم العاصمة ، فطلب منهم العودة الى بلادهم واعداء برد الظلم عنهم . فقد زادت الاموال المنوحة لهؤلاء الوافدين سداً دا  
( ١ )  
لنفقات السفر .

ولم يغفل عمر الرأى العام ، ولم يسقط حساب الامة في حكمها على ولايته وقضائيه فأشرك الناس جميعاً في الرأى ، وجعل موسم الحج مكاناً لفرغ أعمالهم وسؤال الناس عنهم لتثبيت من يرى تثبيته وعزل من يستحق ان يميز ، وحتى يقف أهل الموسم على نيته في العدالة ويخبروا من وراءهم من الناس . وقد اجتهد عمر في ذلك وتوسع  
( ٢ )  
فكاشف عامة الناس بما يريد .

كثرت الشكايات ، فقد تراكت المظالم عبر العصور الماضية ، وزيادت أعباء القضاة ، كما اشتدت رقابة عمر بن عبد العزيز على القضاة ، وشمر القضاة بالمسئولية العظمى ، أما بالله تعالى ، وأمام الخليفة عمر . وثأ القضاة يستعفون من مناصبهم ، ورفض آخرون تولي القضاء . فكتب ميمون بن مهران قاضى إقليم الجزيرة ، الى عمر يطلب منه اغفائه من القضاء ، فكتب عمر اليه : أنى لم أكلفك ما يعينك ، اجتن الطيب وافض بما استبان لك من الحق ، فاذا التبس عليك أمر فارفعه الى ، فلو ان الناس اذا ثقل عليهم أمر تركوه  
( ٣ )  
ما قام دين ولا دنيا .

( ١ ) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٥٢

( ٢ ) سيد الاهل : الخليفة الزاهد ص ١٤١

( ٣ ) ابو يوسف : الخراج ص ١١٥

ومن الطريف ان عمر طلب من عامله بالبصرة عدي بن أرطاة ان يجمع  
بين اياس بن معاوية ، والقاسم بن ربيعة ، في مجلس واحد ، ليختبرهما ويختار  
أحدهما للقضاء . وأصر كل واحد منهما أن الآخر أكثر علما وفقها ، وأقسم  
على ذلك ، حتى لا يتوليان منصب القضاء .<sup>(١)</sup> وهكذا يزهد القضاة في تولي  
القضاء في عصور الظلم والعدل على السواء .

---

(١) ابن الجوزي ص ٨

#### ٤ - السلام الاجتماعى

كان المجتمع الاسلامى قبيل تولية عمر بن عبد العزيز الخلافة محتاجا الى تحقيق السلام الاجتماعى ، فقد أدت تراكمات الماضى الاموى فى عهود أسلافه الخلفاء السى فقدان هذا السلام ، بل أدت غالبا الى صراعات اجتماعية فتت الوحدة الاسلامية ، واستنفذت جهود المسلمين . وكان لابد من أعادة السلام الى المجتمع ، وإلى كل نفس وقلب وعقل ، حتى تتحقق الاخوة الاسلامية ، وحتى يتفرغ المجتمع للإنتاج المثر ، فيمارس كل مسلم حياته الخاصة والعامة فى أمن وسلام .

وأصبح من واجبات عمر بن عبد العزيز مواجهة مشكلات اجتماعية قد يمة قائمة ، فقد كانت هناك مشكلة المصيبة بألوانها المختلفة ، الشعبية ، والاقليمية ، والقبلية ، كما كانت هناك جماعات اسلامية كبيرة تعيش فى العراق وخراسان والحجاز تعاني من مظالم الخلفاء الامويين السابقين ، وتشعر انها غريبة فى هذا المجتمع الاموى ، مما أدى الى سلبات اجتماعية واضحة . ثم كانت هناك مشاكل الموالى والخوارج التى هددت الوحدة الاجتماعية دهرًا .

كانت المصيبة من أبرز مميزات الحياة الاجتماعية فى العصر الاموى . بل أصبحت المصيبة محورا للحياة السياسية والفكرية والاقتصادية . فكانت هناك المصيبة القبلية . وقد جاهد الاسلام كثيرا فى القضاء على المصيبة القبلية التى كانت أبرز معالم الحياة فى العصر الجاهلى . وكان التوسع العربى يمثل قوة التيار الاسلامى

وتغلبه على التيار القبلى بتنظيمه وتوجيهه فى صالح الاسلام .<sup>(١)</sup> وكان اشتراك هذه القبائل فى الفتح عاملا فى امتزاجها ، فقد كان عليها ان تتحد لمواجهة الفرس والروم . كما ان نظم الجيش العربى كانت تحتم الامتزاج والاتحاد ، فقد انقسم الجيش العربى الى فرسان ومشاة وضاربين بالسيوف وضاربين بالرمح . وكانت كل فئة تمثل جميع القبائل العربية .

ولكن بعد انتهاء الفتوحات العربية ، عادت المصيبة القبلية الى الظهور مرة أخرى . لقد تناسلت القبائل العربية مصيبتها وعدوانتها امام العدو المشترك ، الفارسى والرومانى ، ولكن ما كان هذا العدو يتلاشى حتى عاد العرب الى ما كانوا عليه من تنابد وتعصب وأثبتت هذه القبائل ان الاسلام على فرط ما حارب المصيبة القبلية ، فانه لم يقضى عليها ولم يمحها من نفوس العرب ، ولكنها تضاعفت فى نفوسهم .<sup>(٢)</sup>

شعرت كثير من الجماعات الاسلامية وخاصة الخوارج ان قيام الدولة الاموية هو استمرار لاستئثار قريش بالخلافة .<sup>(٣)</sup> ولما كانت قريش أكثر القبائل العربية حضارة ، فقد تولى القرشيون المناصب القيادية ، لانه لم يكن من بين أبناء القبائل البدوية من يصلح لهذه المراكز الرئيسية . كما ان هذه القبائل أنفقت غنائمها من الفتوحات ، وعادت الى ما كانت عليه من فقر وضنك ، بينما استفادت قريش من خبراتها الاقتصادية القديمة وخاصة فى التجارة ، فاستثمر القرشيون نصيبهم من الغنائم وحازوا ثروات ضخمة ، مما جعلهم موضع حسد سائر القبائل .

(١) الدورى : مقدمة فى تاريخ صدر الاسلام ص ٥٥

(٢) الخربوطلى : تاريخ العراق ص ٢٤٢

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٥١



ولم تقم المدن الإسلامية الجديدة ، كالبصرة والكوفة والفسطاط والقيروان ، على أسس حضارية عمرانية ، تحقق مفاهيم المدن ، ولكنها قامت على أسس قبلية . فأصبح لكل قبيلة حي خاص بها .<sup>(١)</sup> وكان العرب يفتنون المركزية ، فاجتمعوا حسب تقسيمهم القبلي ، وكان هذا يدعو الى التمرد والعصيان ، فقد كانت تلك الاحياء القبلية تقوم مقام المدن الصغرى ، وكان يفصل بعضها عن البعض الاخر ابواب يحرسها رجال أشداء ، فاذا قامت فتنة داخلية أقفلت الابواب وانقطعت المواصلات بين احياء المدينة .

وهكذا غلب طابع الحياة الجاهلية في المدن الإسلامية الجديدة ، فلم يتم للعرب اندماج تام يجعلهم ينسجون حياة العصبية القبلية القديمة ، بل استمر سكانها يشعرون انهم قبائل وان عاشوا في المدن وخدمهم الاعاجم .<sup>(٢)</sup>

وأصبحت القبيلة هي الوحدة الاجتماعية الطبيعية ، وظل العرب يتبعون تنظيمهم القبلي ، واحتفظت هذه الجماعات المتشعبة بكل ماضيها القديم من حيث النسب والتآلف والتباغض . وكان لهذا أثره السيئ في حياة الجماعة الإسلامية . فقد كانت العلاقة بين رجال القبيلة الواحدة أوثق من العلاقة بين سكان المدينة الواحدة .<sup>(٣)</sup>  
<sup>(٤)</sup>

- 
- (١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٨٥ ، الطبري ج ٨ ص ١٤٥  
(٢) شوقي ضيف : التطور والتجديد في الشعر الاموي ص ٨١-٨٠  
(٣) ديموبين : النظم الإسلامية ص ١٥٢  
(٤) بارتولد : الحضارة الإسلامية ص ٣١

وكان للقبائل العربية في المدن الاسلامية رؤساء يشبهون رؤساء القبائل في العصر  
الجاهلي من حيث سيادتهم على قبائلهم ، ووقوف الشعراء بأبوابهم ، وأصبحوا عاملا  
على قيام حياة أدبية نشيطة . (١)

ويتهم المستشرق ( ديمومبين )<sup>(٢)</sup> الخلفاء الامويين بأنهم تسببوا في الحياة  
الروح القبلية لانهم كانوا يتصلون بجمهور الناس عن طريق زعماء القبائل ، فكان الخليفة  
يؤكد ويحين تعيين رئيس القبيلة ، ويزوده بسلطة عسكرية وادارية ومالية . وجـرف  
العرب الموالي الى تيار المصيبة القبلية ، فقد دخل الموالي في ولاء القبائل —  
العربية حتى يضمنوا حمايتها لهم ، وتمصب كل قوم من الموالي للقبيلة ، التي حالفوها  
من العرب .<sup>(٣)</sup>

(٤)  
ويذكر الجاحظ انه كان بين القبائل العربية قبائل وضيعة<sup>(٥)</sup> واخرى شريفة<sup>(٦)</sup>  
وثالثة تقف موقفا وسطا بين الشرف والوضاعة<sup>(٧)</sup> . وكانت قبائل العراق تمثل الطبقة  
الوسطى من طبقات المجتمع العربي ، في حين كانت قبائل الشام والحجاز تمثل الطبقة  
الارستقراطية ، فقريش بالشام ، وابناء الصحابة المهاجرين بالحجاز .

---

(١) احمد امين : فجر الاسلام ص ٣٢٣

(٢) النظم الاسلامية ص ١٥٤

(٣) البازري : فتوح البلدان ص ٢٨٩

(٤) الجاحظ : الحيوان ج ٢١ ص ٣٥٩

(٥) مثل : غطفان ، قيس عيلان ، مرة ، ثعلبة ، قيس ، باهلة

(٦) مثل : عبس ، ذبيان ، المبتلى ، الملقى (٧) مثل : تميم ، ثور ، تميم ، مزينة

اعتمد معاوية فى خلافته على الحرب اليمانية ، كما تزوج من قبيلة كلب اليمانية وأنجب ابنه يزيد ، ولذا أرتفع شأن كلب فى خلافة يزيد ، مما أثار الفيرة فى قلوب قيس وهى من مضر ، فسارعت لتأييد عبد الله بن الزبير فى ثورته ضد الامويين .<sup>(١)</sup>

وأشد الخلاف أيضا بين قيس وتغلب ، فقد كانت تغلب تدعى بالولاء لمروان بن الحكم ، ووقفت قيس دائما موقف المعارضة للدولة الاموية . وكان بين قيس وتغلب نزاع فى المنازل وتضارب على المعيشة والمكان ، مما جعلها مختلفتين فى مصالحهما الاقتصادية وهذا الجانب الاقتصادى هو الذى جعل تغلب تنتهز الفرصة فى موقعة مرج راهط وتنضم الى القبائل اليمانية ضد قيس حتى تخرجها من بلادها اذا دارت عليها الدوائر .

وقبيل تولية عمر بن عبد العزيز الخلافة ، قامت ثورة عبد الرحمن بن الاشعث ضد الحجاج الثقفى فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، ولعبت العصبية القبلية والاقليمية دورا كبيرا ، فيقول المستشرق ( فلهوزن ) :<sup>(٢)</sup> اشترك فى ثورة ابن الاشعث اكابر العرب واكثرهم نباهة ، فكان منهم رؤساء قبائل ، مثل ابن الاشعث الكندى ، وجريز بن سميد بن قيس من همدان ، وعبد المؤمن بن شيب بن ربحى من تميم ، وبسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيبانى من بكر ، وكان منهم قرشيون مثل محمد بن سعد بن أبى وقاص ، وعبيد الله بن عبد الرحمن بن عبد شمس ، وعبد الرحمن بن العباس الهاشمى .

(١) البلاذرى : انساب الاشراف ج ٥ ص ٣٠٨

(٢) فلهوزن : الدولة العربية ص ٢٣٩

وقد أنفت الطبقة الارستقراطية العربية من قبول المعاملة الجارحة والفترة السني  
أبداها الحجاج مثل سلطان الدولة الذي لم يكن يعتبر من أشرف العرب . وكانت القبائل  
هي فرق الجيش ، وكانوا أشد رغبة في اتباع رؤسائهم . بعد ان أصبح طول الحرب  
والاقامة في المسالخ القاصية <sup>(٤)</sup> شيئا بغيضا اليهم بالجملة ، وصار لا ينقطع حنينهم الى  
أوطانهم . كما كانت الثورة محاولة جديدة قوية مستمته من جانب أهل العراق لطرح  
نير أهل الشام من على كاهلهم .

(١) ويصور ( فلهوزن ) حركة ابن الاشعث على انها صراع أقلبي بين العراق  
والشام ، فيقول : كان جند الشام يمثلون عند أهل العراق السيادة الاجنبية ، وكان  
على جند العراق ان يقنعوا بأعطيات قليلة ويحتملوا في الوقت نفسه مؤونة جند الشام ،  
وكانوا يوجهون في حملات بعيدة فيرسلون الى المسالخ القاصية <sup>(٥)</sup> على حين كان يبقى جند  
الشام في أهليهم . فهو لم يكن صراعا بين الموالى والعرب ، بل كان صراعا بين عرب  
العراق وعرب الشام . فكان صراعا بين ولايتين في الدولة العربية كانتا تتنافسان  
دائما . وكان أهل العراق ، أيا كان أصلهم ، متحدين في ذلك الصراع ، وكذلك  
كان جنود الاحتلال الشاميون يشعرون ، وهم خارج وطنهم بما بينهم من أواصر  
الاتحاد .

(١) فلهوزن : الدولة العربية ص ٢٤١-٢٤٢

(٤) المسالخ : مثل الثغور المرقبة ، وجمعه المسالخ ، وهي مواضع المخافة ، وفي الحديث  
: « كما رآني مسالما فإرس إلى العرب العذيب » ، تاج العروص

تجلت المصيبة الاقليمية في العصر الاموي في عدة مظاهر ، فقد تطلعت بلاد العراق دائما الى الاستقلال ، أو الى ان تكون مركزا للخلافة ، كما كانت في عهدى على بن أبى طالب والحسن . وأرادت الحجاز استرداد العاصمة ، ولذا أيدت خلافة عبد الله بن الزبير في مكة . وكان قيام مدينة واسط في العراق يمثل المصيبة الاقليمية ، فقد اراد الحجاج عدم مخالطة جند الشام لاهل العراق ، حتى يبقى جنده محتفظين بمصبيتهم الاقليمية ضد اعدائه العراقيين .<sup>(١)</sup>

وفي ذلك يقول ( فلموزن ) : في سنة ٨٣ هـ بنى الحجاج مدينة واسط ، وجعلها حصنا في منتصف الطريق بين الكوفة والمدائن والاهواز والبصرة ، وجعلها مقرا للحكومة ونقل جمهور جند الشام اليها ايضا . ويقال انه فعل ذلك لكي يتلافى ارتكابهم للمفاسد في الاحياء التي يقيم فيها الناس في الكوفة والبصرة . ولكن يظهر ان السبب الاكبر هو انه اراد ان يعزل جند الشام عن اهل العراق ، ويجعلهم حوله ليكونوا أداة طيعة تحت يده ، ونقل مقر اقامته هو من وسط الجماعة الى مركز قيادة حربي ، فأبان بذلك عما يشعر به من أنه في بلاد معادية ، واخرج الحكومة عن اساس الدينى الابوى الذى نشأت عليه ، وأقامها على القوة في صورتها الصريحة ، ولم يكن هناك سبيل غير ذلك ،

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ج٢ ص ٦١

(٢) الدولة العبرية ص ٢٤

إذا كان لابد من المحافظة على سيادة بنى أمية على العراق .

وكانت هناك عصبية المدن ، بين البصرة ، والكوفة ، وواسط ، ودمشق ، والفسطاط ، والقيروان . فكان أهل كل مدينة يتحصبون لمدنيتهم رغم ما بينهم من كراهية أو احتقاد وفخر سكان كل مدينة بما تحفل به مدنيتهم من خبرات ، ومن يقيم فيها من التابعين والعلماء والفقهاء ، وعقدوا المجالس ، ووضعوا الكتب المفخرات .  
(١)

ورأى عمر بن عبدالمزيز التصدى لهذه العصبية حرصا على الوحدة الاجتماعية ، وتحقيقا للسلام بين أبناء المجتمع . ولم يتمصب عمر أبدا لقريش ، أو للمغرب الحجازيين ، أو للعنصر العربى ، بل نظر الى كل رعاياه من نظرة سواء ، وجعل التقوى والمواطنة الصالحة أساسا للمفاضلة ، وللثواب والعقاب .

وفى عهد عمر ، ثارت العصبية فى الجزيرة العربية ، اذ اثارها رؤساء القبائل ، ورأى عمر التصدى لها فى حزم وقوة ، وكتب رسالة مطولة الى عامله الضحاك بن عبد الرحمن ، بدأها بابرار اثر الاسلام فى تحقيق الوحدة العربية ، والقضاء على العصبية القبلية ، كما تحدث عمر عن دور الرسول عليه الصلاة والسلام فى القضاء على الروح الجاهلية بين القبائل ، ثم يقول عمر الى محركى الفتنة : " وانى احذركم

---

(١) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ١٩٨ - ١٧٠ .

هذا القرآن ، فان تباعته وشروطه قد أصابكم منها - ايتها الامة - وقائع من هراقة  
الدما ، وخراب ديار وتفرق جماعات . فانظروا ما زجركم الله عنه فى كتابه فازدجروا  
عنه.....

" ان ما هاجنى على كتابى هذا امر ذكر لى عن رجال من أهل البادية ، ورجل  
أمروا حديثا ، ظاهر جفاؤهم ، قليل علمهم بأمر الله . . . . . وذكر لى ان رجالا من  
أولئك يتحاربون الى ان حصروا اليمن ، يزعمون انهم ولاية على من سواهم . قاتلهم  
الله اى منزلة نزلوا ، ومن اى مكان خرجوا ، أو بأى أمر لصقوا . ولكن قد عرفت ان الشقى  
بنيته يشقى ، وان النار لم تخلق باطلا . او لم يسمعوا قول الله فى كتابه ( انما  
المؤمنون اخوة ، فاصلحوا بين اخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون ) . . . . .

" وقد ذكر لى من ذلك ان رجالا يتداعون الى الحلف ، وقد نهى رسول  
الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف ، فقال ( لا حلف فى الاسلام ) وما كان من حلف  
فى الجاهلية فلم يزد الاسلام الا شدة ، فكان يرجو احد من الفريقين حفظ حلفه  
الناجر الذى فيه مصيبة الله ومصيبة رسوله ، وقد ترك الاسلام حين انخلع منه .

" وانا أحذر كل من سمع كتابى هذا ، ومن بلغه ، ان يتخذ غير الاسلام حصنا ،  
او دون الله ودون رسوله ودون المؤمنين وليجه ، تحذيرا بعد تحذير ، واذكرهم  
تذكيرا بعد تذكير ، وأشهد عليهم الذى هو آخذ بناصية كل دابة ، والذى هو أقرب  
الى كل عبد من جبل الوريد . وانى لم آلك بالذى كتبت به اليكم نصحا ، مع أنى لو أعلم

أحدا من الناس يحرك شيئا ليؤخذ له به ، أو ليدفع عنه ، احرص - والله المستعان -  
على ذلته كائنا من كان ، رجلا او عشيرة أو قبيلة أو أكثر من ذلك . فادع الى نصيحتي  
وما تقدمت اليكم به ، فإنه هو الرشد ليس لها خلفاء ، ثم ليكون أهل البر وأهل الايمان  
عونا بالسنتهم ، وان كثيرا من الناس لا يعلمون . . . . (١)

وأوقف عمر بن عبد العزيز سياسة التفرقة المنصرية التي اتبعها اسلافه من الخلفاء  
الامويين ، ونهى عن تلك السياسة التقليدية التي أدت الى التفرقة ما بين العرب  
والموالي في الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية . ولذا نجح عمر في حل مشكلة  
الموالي في عهده ، ونعم الموالي في ظلال عدالته بالسلام الاجتماعي .

كتب عمر الى واليه بالعراق عدي بن أرطاة يأمره بحسن معاملة الموالي ، ويتترك  
سياسة ونظم الحجاج الثقفي (٢) . ألا يأخذ من الموالي هدايا النيروز والمهرجان  
وان يقضى الديون عن الفارمين . (٣) كما نهاه عن تسخيرهم . (٤) وكان كثير من  
الموالي المسلمين مازالوا يدفعون ، كما حرموا من العطاء رغم اشتراكهم في الحروب  
مع العرب ، فكتب عمر الى عامله بالكوفة ان الله بعث محمدا داعيا الى الاسلام ولم يبعثه  
جائبا ، وأمره برفع الجزية عن أسلم . (٥) فقد أثر عمر - كما يقول

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٠٣-١٠٦

(٢) ابن الجوزي : عمر بن عبد العزيز ص ٥٤

(٣) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٧١

(٤) المصدر السابق ص ٩٩

(٥) ابو يوسف : الخراج ص ١٥٧



(١) دوزى — نصرۃ الاسلام على اى شىء آخر ، وكان لا يهتد الا ان ينتشر الاسلام  
 ويدين به كل انسان . (٢) ويذكر المستشرق ( براون ) (٣) ان عمر انفرد عن سائر  
 الخلفاء الامويين بالتقوى والايمان ، فلم يكن مدفوعا فى حكمه للدولة بدوافع مالىية  
 بل برغبته فى نشر الاسلام .

وأمر عمر بارجاع كل من أسلم الى قريته حتى يظل فى أرضه ويدفع الخراج كما  
 كان فى أول الامر . (٤) وسأوى عمر بين العرب والدوالى فى المصايف (٥) . فلا عجب  
 ان ارتاحت الدوالى الى سياسة عمر العادلة ، فاعتبروا هذا الخليفة خامس الخلفاء  
 الراشدين . (٦) وتوافدت وفود العراق على عمر تشكره وتثنى عليه بعد ان كانت  
 لاتتجه قبل عهد ه الا بالشكوى والتظلم . (٧)

(٨) على انصاف عمر للموالى فقال : كان الموالى بالباب  
يتربصون الدوائر ، وكانوا يتطلعون الى المسارات التامة بالدرب ، وكان الاسلام فى

(١) دوزى : نظرات فى تاريخ الاسلام ص ٣٩٢

(٢) نفس المرجع .

Brown: Lit. Hist. of Persia, p. 234

(٣)

(٤) الطبرى ج ٨ ص ١٣٩

(٥) ابن الجوزى ص ٥٣

(٦) الدميرى : حياة الحيوان ص ٨٣

(٧) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ١ ص ١٤

(٨) فلهوزن : الدولة العربية ص ٢٨٩ — ٢٩٩

جانبهم ، فاجتذبتهم الثورة التي كانت تستند الى الاسلام . وقد حاول عمر  
ابن عبدالعزيز ان يجيب مطالبهم دون ثمن غال ، ولعل الاعتبارات التي  
كانت تحده في ذلك قد كانت اعتبارات دينية اكثر منها سياسية . ولم يكن من المستطاع  
كسر الروح الاسلامية بل كان لابد من ان يحسب حسابها ، وكانت خصوصية الاسلام  
للدولة الاموية تهددها بالانهيار ، وعلى هذا فان خليفة أموياً يجتهد في ان يتمشى  
مع اصول الاسلام ( وفي تجريد حركات المعارضة من سلاحها الاسلامي بان يزيل  
اسباب الشكوى التي كان لها ما يبررها ويستجيب الى ما يمكن الاستجابة اليه من  
مطالب ، ان خليفة يعمل لذلك لا يكون قد أتى شيئاً يضر بمصلحة أسرته  
الحاكمة .

وكان لابد لعمر بن عبدالعزيز وهو يحقق السلام الاجتماعي ان يخفف  
من ثورة الاحزاب المعارضة للدولة الاموية ، فقد كان الصراع السياسي يؤدي الى  
صراع اجتماعي ، كما امتزجت تعاليم الفرق السياسية والدينية والاجتماعية . وفي مقدمة  
هذه الفرق المعارضة ، جماعات الخوارج ، التي اقلقت مضاجع الخلفاء الامويين  
منذ قيام دولتهم . واشتهر الخوارج بالعنف والقسوة ، ونشروا الارهاب في ربوع  
العراق وخراسان . كما اشتهروا بالاستبسال في القتال حتى الموت ، واشتراك  
النساء معهم في القتال . وقد شهدت بلاد العراق في عهد الحجاج ثورات  
متوالية قام بها الخوارج الازارقة ثم الخوارج الصفرية (١) ولم ينجح الحجاج

(١) انظر التفاصيل في تاريخ الطبري ج٧ ص ٢١٨ وما بعدها ، والمسعودي : مروج  
الذهب ج٣ ص ٧٠ وما بعدها وابن الاثير : المعامل ج٤ ص ١٦٣ ، ابن كثير :  
البداية والنهاية ج٨ ص ١٢ وما بعدها .

الثقفي في كسر شوكة الخوارج الا بعد استعانته بجند الشام<sup>(١)</sup> وتبع سليمان بن عبد الملك الخوارج وألقى بهم في السجن<sup>(٢)</sup>.

ورأى عمر التفاهم مع الاحزاب المعارضة • وفي ذلك يقول المستشرق ( فلهوزن )<sup>(٣)</sup> : حاول عمر بن عبد العزيز ان يجد في الاسلام اساسا مشتركا بين الجميع ، يمكن ان تلتقى عنده الحكومة والقوى المتحفزة الطامحة المعادية لها • وهو ، تمشيا مع هذه الدعاية ، سار على سياسة التفاهم والتصالح ولم يكن عمله في ذلك مقصورا على الموالى وحدهم ، فقد حاول ايضا ان يزيد اسباب التدمير في الامصار ، وخصوصا حاول ان يزيد ما كان في نفوس اهل العراق من شعور بانهم تحت حكم رياسة شامية اجنبية عنهم ، وكان يبره يتسع للجميع على السواء ، بل كان يظن انه يستطيع ارضاء الخوارج بمناظرة اياهم في آرائهم • وهو قد نجح على الاقل في ان جعلهم يفقدون سيوفهم ما امتدت حياته • ولم يكن يعاقب المجرمين السياسيين على حين انه كان شديدا على غيرهم من المجرمين • وقد اثبت بره بالملويين ، ورد اليهم ما كان قد اخذ منهم من ممتلكات وفعل ذلك مع ورثة طلحة ، وترك لمن على بن ابي طالب ، وكذب بذلك السي

المراد الافاق •

(١) المسعودي : مروج الذهب ج٣ ص ٨٠

(٢) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ١٥٩

(٣) فلهوزن : الدولة العربية ص ٢٩٩

خرجت الخوارج بالعراق على عمر بن عبدالعزيز بزعامة شوذب . وأرسل  
عمر جيشا بقيادة مسلمة بن عبد الملك نجح في الحاق الهزيمة بالخوارج . ورغم  
انتصار عمر ، فقد كتب عمر رسالة الى شوذب جاء فيها : " بلغنى انك خرجت  
غضباً لله ونبيه ولست بأولى بذلك منى ، فهل انظرك ، فان كان الحق بأيدينا  
دخلت فيما دخلت فيه الناس ، وان كان في يدك نظرنا في أمرنا " .<sup>(١)</sup>

وسمعت شوذب برجلين الى عمر يناظرانه ، فسألهما : عما عن سبب خروجهم  
فقال أحدهما : رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك وسميتها المظالم ، وسلكت غير  
سبيلهم ، فان زعمت انك على هدى وهم على ضلال فالعنهم وتبرأ منهم ، فهذا  
الذي يجمع بيننا وبينك او يفرق .

فقال عمر : هل علمتم ان ابا بكر حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وارتدت العرب قاتلهم فسفك الدماء ، وأخذ الاموال وسبى الذراري ؟ قالوا : نعم  
فقال عمر : فهل علمتم ان عمر حين قام بمعد أبي بكر رد تلك السبايا الى أصحابها ؟  
فأجابوا : نعم . فقال عمر : فهل يرى عمر من أبي بكر ؟ قالوا : لا .

ثم قال عمر : أفرايتم أهل النهروان .<sup>(٢)</sup> اليسوا من أسلافهم . ومن تقولون

(١) الطبرى ج ٨ ص ١٣٢

(٢) أهل النهروان هم الخوارج الاوائل في عهد علي بن ابي طالب .

وتشهدون لهم بالنجاة ؟ قالا : بلى . فقال عمر : فهل علمتم ان اهل الكوفة حين  
(١)  
خرجوا اليهم كفوا ايديهم فلم يسفكوا دما ولم يخيفوا آمنة ولم يأخذوا مالا ؟ ...

واستمر الحوار بين عمر وبنودي الخوارج ، حتى اقتنما بحجج عمر ، فقال  
أحدهما : ما سمعت كالسيوم أحدا أبين حجة ولا أقرب مأخذا ، أما أنا فأشهد  
أنك على الحق ، انى برى مما برى منك . (٢) وركن الخوارج الى الهـمدو  
والسلام وأصبحوا يترحمون على سليمان بن عبد الملك اذ استخلف عليهم هذا  
الخليفة المؤمن العادل . (٣)

وشمر عمر بن عبد العزيز بالسرور والفرح ، اذ نجحت سياسة اللين والمهادنة  
والتعايش الاجتماعى ، فقال لاحد أصحابه : اذا قدرت على دواء تشفى به صاحبك  
دون الكى ، فلا تكيهه أبدا . (٤)

ورأى عمر بن عبد العزيز ايضا ان يهادن العلويين وشيعتهم ، ويرضى  
مشاعرهم ، ويهدى من سخطهم على الدولة الاموية . وقد عاش عمر بن عبد العزيز  
شظرا طويلا من حياته فى المدينة المنورة . ولمس منزلة العلويين فى قلوب أهلها

- 
- (١) المسمودى : مروج الذهب ج ٢ ص ١٢٦  
(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٢ ص ٤٠٦  
(٣) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ١٢٧  
(٤) ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٢

وقد توالى ثورات العلويين فى العصر الاموى ، وسقط كثير من الشهداء ، وأثارت دماؤهم المشاعر ، وخاصة دماء الحسين بن على ، حتى أصبحت صيحة ( يا لثارات الحسين ) تهز اركان الدولة الاموية .<sup>(١)</sup>

وقد عاصر عمر بن عبد العزيز فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان أحداثا أثارت مشاعر المسلمين ، وألهبت سخطهم على الدولة الاموية . فقد قامت حركة التوابين الذين ندموا على تخاذلهم فى الدفاع عن الحسين ، وأقسموا على الاخذ بثأره .<sup>(٢)</sup> وتزعهم سليمان بن صرد الخزاعى وهو من صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وبعض اصحاب على بن أبى طالب .<sup>(٣)</sup> كما عاصر عمر أيضا حركة المختار ابن ابى عميد الثقفى ، الذى اعلن أنه وزير آل محمد ، زعاعية محمد بن على بن أبى طالب المعروف بابن الحنفية ، وأنه يثار لمصرع الحسين بن على .<sup>(٤)</sup> وجمع المختار حوله موالى الصفاق ووعدهم بمساواتهم بالمعرب ، فقامت حركة اجتماعية خطيرة فقد وعد المختار الموالى ان " يعطيهم اموال ساداتهم " .<sup>(٥)</sup> ولم يكن يسمع فى معسكر المختار كلمة عربية واحدة .<sup>(٦)</sup>

(١) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج١ ص ١٠٤

(٢) المسمودى : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٧-٣٨

(٣) البلاذرى : انساب الاشراف ج ٥ ص ٣٠٦

(٤) المسمودى : مروج الذهب ج ٣ ص ٢١ ، ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٧٢

(٥) البغدادى : الفرق بين المرق ص ٣٢

(٦) الدينورى : الاخبار الطوال ص ٣٠٤

ورأى عمر تهدئة خواطر الملويين والشيعة ، فأوقف سب على بن أبى طالب  
على المنابر ، وقد كان هذا السب تقليدا طوال العصر الاموى . وأمر عمر ان يحل  
مكان السب على المنبر تلاوة الآية الكريمة : ( ان الله يأمر بالعدل والاحسان  
وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يحظكم لملككم  
تذكرون ) . (١)

وأمر عمر أيضا برد الحقوق المالية والاجتماعية للملويين ، فأمر بتوزيع الخمس  
على بنى هاشم ، ورد ارض فدك الى أولاد فاطمة رضى الله عنها . (٢)

حاول عمر حل مشكلة ارض فدك التى بدأت بعد وفاة الرسول عليه الصلاة  
والسلام ، واستمرت القضية طوال عهود الخلفاء الراشدين والامويين والمباسبين  
والفاطميين ، وأصبحت ماثرا للنقاش والاجتهاد . وبرزت خطورة هذه القضية فى  
مطلع خلافة أبى بكر الصديق ، حين طالبت السيدة فاطمة الزهراء بأرض فدك كميراث  
لها عن أبيها الرسول عليه الصلاة والسلام . وأنضم اليها فى طلبها زوجها على بن أبى  
طالب وكثير من بنى هاشم . وارتبطت قضية ارض فدك بموقف على بنى هاشم من البيعة  
لابى بكر بالخلافة . ورأى ابو بكر ان الانبياء لا يورثون وضم الارض الى بيت المال .

(١) المسمودى : مروج الذهب ج ٣ ص ١٨٣ ، الفخرى ص ١١٢

(٢) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٨٦

(٣) البيهقى ج ٢ ص ٣٠٥

وسزت قضية أرض فدك مرة أخرى في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، حين  
أجلى يهود فدك عن الأرض بعد تمريضهم عنها ماديًا • وطالب علي بن أبي طالب  
بالأرض كميراث له عن زوجته السيدة فاطمة • وطالب العباس بن عبد المطلب بها أيضا  
باعتبارها ميراثا له عن ابن أخيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم •

وأصبحت أرض فدك طوال عهد الخلفاء الراشدين تتبع بيت المال ، حتى  
بدأ العصر الأموي فذهب معاوية بن أبي سفيان هذه الأرض لمروان بن الحكم ، وتوارثها  
أبنائه حتى آلت إلى عمر بن عبد العزيز . ( ١ )

وهكذا أصبح عمر بن عبد العزيز طرفا في قضية أرض فدك ، وهي من أبرز  
قضايا التاريخ الإسلامي • ووقف عمر على المنبر يقيم على المنبر هذه القضية ،  
ثم يعلن قراره ، فقال عمر : " إن فدك كانت مما أفاء الله على رسوله ، ولم يوجف  
المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فسألته أياها فاطمة رحمها الله تعالى ، فقال :  
( ما كان لك أن تسأليني ومكأن لي أن أعطيك ) ، فكان يضع ما يأتيه منها  
في أبناء السبيل • ثم ولي أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فوضعوا ذلك

---

( ١ ) الخريوطي : أرض فدك ص ٣ — ٤



بحيث وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ولى معاوية فأقطعها مروان بن الحكم فوهبها مروان لأبى ولعبد الملك ، فصارت لى وللوليد وسليمان حصته منها فوهبها لى فاستجمعتها وما كان لى مال أحب الى منها ، فاشهدوا انى قد رددتها الى ما كانت عليه .<sup>(١)</sup>

N  
وأبدى العلويون سرورهم ورضاهم عن سياسة عمر نحوهم ، وكتبوا اليه يشكروا له ما فعله معهم من صلة أرحامهم .<sup>(٢)</sup> وقال امام الشيعة الامامية محمد الباقر .<sup>(٣)</sup> : " ان لكل قوم نجية<sup>(٧)</sup> ، وان نجية بنى امية عمر بن عبد العزيز ، وانه يبعث يوم القيامة وحده .<sup>(٤)</sup> " وقالت فاطمة بنت الحسين بن على : لو كان بقى لنا عمر ما احتجنا بعمره الى أحد .<sup>(٥)</sup>

<sup>(٦)</sup> طلق المستشرق ( فلهوزن ) فقال : رد عمر أرض فدك الى آل النبى ، وهم العلويون ، وذلك الذى عمر ما كان قد جرى عليه أبو بكر وعمر ، ومعنى هذا انه لم يكن يتبعهما اتباعا تاما .

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٥ - ٤٦ ، ابن عديده : المقد الفريد

ج ٤ ص ٤٢٥

(٢) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٨٦

(٣) وهو ابن الامام على زين العابدين

(٤) ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٦٢

(٥) المصدر السابق ج ٥ ص ٦٥

(٦) فلهوزن : الدولة العربية ص ٢٨٢

(٧) لعل صحته : نجيب هو الكريم الحبيب أو نجية  
يَعْنَى هُوَ نَجِيَّةٌ قَوْمُهُ ، إِذَا كَانَهُ هُوَ النَجِيَّةَ مِنْهُمْ  
أَوْ نَجِيَّةً بِمَعْنَى الْخَفِيِّ الْأَوْفَى ، وَفِي حَدِيثٍ أَنَّهُ مَسُودٌ  
« الْأَنْفُسُ مِنْ خِطَابِ الْقُرْآنِ » أَوْ « أَفْأَنْفُسُ سَوْرَةٍ  
عَنْ رَجُلٍ الْعُرُوكِ

## ٥- الضمان الاجتماعي والرعاية الاجتماعية

تصير يحتاج إلى تحديد  
فلكم الراعي المسئول عن

أعلن عمر أنه الراعي المسئول عن رعيته ، فيحقق لهم العدالة الاجتماعية ، ويوطد لهم أركان السلام الاجتماعي ، ثم ويوفر لهم الضمان والتكافل والرعاية الاجتماعية ورأى عمران المهام الأولى للدولة والعمال هي حل مشاكل الجماهير ، اليومية والاجتماعية ، وطلب منهم الايجابية في العمل ، وسرعة الانجاز ، وأعلن لولاه أن " قوام الدين العدل والاحسان " .<sup>(١)</sup> وطلب من رعاياه مواجهة الظلم ، فقال :  
" ان الرجل الهارب من الامام الظالم ليس بظالم " .<sup>(٢)</sup>  
هل هذه مواجهة للظالم ؟

وعمر يطلب من العمال الخروج الى الشارع ، ولقاء الجماهير ، ومحت مشاكلهم على الطبيعة ، وحلها بطول شافية ، فهو يكتب الى عامله في المدينة : " اياك والجلوس في بيتك " ثم يقول له " اخرج للناس ، فآسى بينهم في المجلس والمنظر ، ولا يكون أحد من الناس آثر عندك من أحد ولا تقولن هؤلاء من أهل بيت أمير المؤمنين ، فان أهل بيت أمير المؤمنين وغيرهم عندى اليوم سواء ، بل أنا احسرى أن أظن بأهل بيت أمير المؤمنين انهم يقهرون من نازعهم " .<sup>(٣)</sup>

(١) الطبري ج ٦ ص ٥٦٩

(٢) المصدر السابق

(٣) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٥٦

وعمر يرى ان مصالح الشعب هي أمانة ، وفي عنق الخليفة ، ثم في اعناق ولايته وعماله وحقوق الشعب هي حقوق الله تعالى ، فيكتب عمر الى عامله بالكوفة : " اعلم أني قد أشركك في أمانه عظيمة ، فان ضيقت حقاً من حقوق الله كنت اهدون خلقه عليه ، ثم لا يفنى عنك عمر من الله شيئاً " . (١)

وأعلن عمر انه المسئول عن الاغنياء والفقراء على السواء ، وان طاعة الشعب للمعامل موهونة بطاعته لله تعالى ، فقد طلب عمر من أمير الحج ان يقرأ رسالته في جماهير المسلمين ، المحتشدين في عرفات ، والقادمين من كل أرجاء العالم الاسلامي ، وفي هذه الرسالة يقول عمر : " أنا معول كل مظلوم ، ألا وأى عامل من عمالي رغب عن الحق ، ولم يعمل بالكتاب والسنة فلا طاعة له عليكم ، وقد صيرت أمره اليكم حتى يراجع الحق وهو ذميم ، ألا وانه لا دولة بين أغنيائكم ولا اثرة على فقرائكم في شيء من فيئكم ... " . (٢)

اتجه عمر الى تطبيق وتوسيع فكرة الضمان الاجتماعي بحيث تشكل كافة طبقات الامة رجالاً ونساءً وأطفالاً وفقراء ، وعاجزين ومريضين وسافرين ، مسلمين وغير مسلمين ، عرباً وموالي ، واعتقاداً منه بان هذا الضمان — الذي شهد به عهد الرسول وعصر خلفائه الراشدين — أمر ضروري اذا ما أريد للعدل الاجتماعي ان يأخذ مجراه .

(١) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٩

(٢) ابن الجوزي ص ٧٢ — ٧٣

وفى سبيل جعل هذا الضمان أكثر ايجابية عملية والمسؤولين أكثر قدرة على الحركة والمطاء ، أقر عمر نظاما لامركزيا مفتوحا فى جمع الاموال وتوزيعها ، فجمّل كل ولاية من ولايات الدولة الاسلامية تسمى الى نوع من الاكتفاء الذاتى فى جمع الضرائب وتوزيعها على الاحتياجات المحلية ، وكى يعزز الخليفة هذا الاجراء جعل تبادل المعونات المالية بين الاقليم والمركز أمرا مفتوحا ، لسد المجز المالى فى أى من الطرفين ، فى حالة حدوثه .  
(١)

قال عامل من عمال عمر ، يدعى أبو مجلز ، لعمر : انك وضعتنا بمنقطع التراب (٢) فاحمل الينا الاموال . فقال عمر : يا أبا مجلز قلبت الامر . قال : يا امير المؤمنين أهولنا أم لك ؟ قال عمر : بل هو لكم اذا قصر خراجكم عن أعطياتكم . فقال أبو مجلز : فلا أنت تحمله الينا ولا نحمّله اليك ، وقد وضعت بعضه على بعض فقال عمر : أحمله اليكم ان شاء الله .  
(٣)

ورأى عمر الموازنة بين دخل كل ولاية وبين مصروفاتها ، وان تكفى كل ولاية نفسها ، والا أرسل اليها الاموال من العاصمة دمشق اذا لم يجد العامل ما يكفى المطاء المنوح للجماهير . كما رأى عمر ان يوزع الفائض من الإيرادات ، بعد المصروفات ، على المحتاجين من اهل الولاية دون ان يرسل الى الخزنة العامة فى العاصمة .

(١) عماد الدين خليل : ملاح الاضطراب الاسلامى ص ١٢٥

(٢) أى فى منطقة جرداء قليلة المحصول والانتاج

(٣) الطبرى ج ٦ ص ٥٧

كتب عمر الى عتبة بن زريق الطائي عامل خراج خراسان : " . . . ان كان الخراج  
- كافا لا عطياتهم فسبيل ذلك ، والا فأكتب الى حتى احمل اليك الامه وال فتوفر  
لهم اعطياتهم " . واحصى عتبة الخراج فوجده يزيد على المطا ، فكتب بذلك الى عمر ،  
فاجابه عمر : " ان اقسم الفضل في اهل الحاجة " . (١)

واهتم عمر بالفقراء ، ورأى توفير الرعاية الاجتماعية لهم ، فتضمن الدولة لهم  
القيام بضرورات الحياة . فقد كتب عمر الى عدي بن أرطاة عامل البصرة : " . . . اني  
كنت كتبت الى عمرو بن عبد الله ان يقسم ما وجد بعمان من عشور التمر والحب (٢) في  
فقراء أهلها ومن سقط اليها من أهل البادية ، ومن أضافته اليها الحاجة والمسكنة  
وانقطاع السبيل . فكتب الى أنماى عمرو بن عبد الله - سأل عاملك - على عثمان -  
عن ذلك الطعام والتمر ، فذكر انه باعه وحمل اليك ثمنه ، فاردد الى عمرو ما كان حمل  
اليك عاملك على عمان من ثمن التمر والحب ليضمه في المواضع التي أمرته بيها ،  
ويصرفه فيها " (٣) وكان رد المظالم اذا استنفذ ايرادات ولاية من الولايات ، ويبحث  
عمر باموال من الخزائن العامة في العاصمة دمشق لتغطية المجرى . (٤)

تفسير الواضع

(١) الطبري ج ٦ ص ٥٦٨

(٢) الحب : الفلال .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ص ٩٤

(٤) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٥٢

ما عندكم ينفد

أخذ الضمان الاجتماعي في دولة عمر بن عبد العزيز صورة فريدة ، وسمى  
ال خليفة الى توزيع المدل على الجميع ماداموا مواطنين بمدل الله وشرعه . (١)

أمر عمر بمنح المطاء للجنود على قدم المساواة ، لافرق بين عرس أو مولى (٢) ،  
فالاسلام يجمعهم ويجعلهم مواطنين مسئولين من الخليفة ، وعزل عمر والى خراسان  
لانه منع المطاء عن الموالى . (٣) والمطاء هو الاساس الاول للضمان الاجتماعي ، ولذا  
أمر عمر بتوزيع صدقات كل حى في أبناء هذا الحى ، حتى أصبح الرجل يصيبه فريضة  
أو ثلاث . (٤) كما كان الديوان يحفظ المطاء لكل غائب حتى يعود ، وقال عمر  
للناس : " فانما هو مالكم نرده عليكم " . (٥) وأهتم عمر بأبناء المقاتلين وأسراهم ،  
وأمر بمنح الاطفال في سن الفطام ارزاقا . (٦) وخصى اعطيات للمرضى المزمنين  
الذين لا يرجى شفاؤهم . (٧) وأقام مطعما شعبيا سماه ( دار الطعام ) لأطعام المساكين  
والفقراء وأبناء السبيل ، وحذر أهله من ارتيادها . (٨)

(١) عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الاسلامى ص ١٢٧

(٢) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٥٤

(٣) الطبرى ج ٦ ص ٥٥٩

(٤) ابن الجوزى ص ٨٦ - ٨٧

(٥) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٥٥

(٦) الطبرى ج ٦ ص ٥٦٩

(٧) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٨١

(٨) المصدر السابق ج ٥ ص ٢٧٩

ورأى عمر أن مفهوم الضمان الاجتماعي هو توفير ضروريات الحياة لكل فرد من رعاياه . وكان عمر قد بحث برسالة إلى أحد ولاته يأمره بقضاء دين المدينين ، فكتب العامل إلى عمر : أنا نجد الرجل له المسكن والخادم ، وله الفرس ، وله الأثاث ، في بيته . فكتب عمر إلى الوالي : لا بد للرجل من المسلمين من مسكن يأوى إليه رأسه ، وخادم يكفيه مهنته ، وفرس يجاهد عليه عدوه ، وأثاث في بيته ، <sup>(١)</sup> ومصح ذلك فهو غلام ، فاقضوا عنه ما يمكنه من الدين . وأصبح في ميزانية الدولة بند لقضاء ديون الفارمين ، أحياء أو أموات . <sup>(٢)</sup> كما عوض عمر كل فلاح أضرت الكوارث بزراعته <sup>(٣)</sup> كما أنفق على كل من أراد أداء فريضة الحج وعجز عن القيام بنفقات الحج . <sup>(٤)</sup>

والمصادر التاريخية حافلة بالروايات التي توضح أركان الضمان الاجتماعي والرعاية الاجتماعية في عهد عمر . وقد كان عمر يعطف على الرجال ذوي الميال مقدرا أعبائهم ، وعلى الأراذل الذين تأثروا بفقد العائل ، فيفرض عمر للجميع ما يسد حاجاتهم ويكفيهم سؤال الناس . <sup>(٥)</sup> كما كان عمر يحفو على السارق إذا ثبت له

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٦٤

(٢) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٥٧

(٣) ابن الجوزي ص ٧٩

(٤) الطبري ج ٦ ص ٥٦٩

(٥) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٧ وما بعدها .

انه سرق بدافع الحاجة او الجوع . (١) وامر عمر بالا يوثق السجناء فيهم نعمهم الوثاق من الصلاة وهم قيام ، وامر الا يبيت أحد منهم في قيده الا اذا كان مطلوبا بسدم ، وقد اجري عليهم من الصدقات ما يصلحهم في طعامهم وأدمهم . (٢)

ولمخ برغبة عمر في الا يكون في دولته جائع او محتاج ، انه رفض عمل كسوة جديدة للكمة حينما طلب منه حجابها ذلك ، وكتب اليهم : اني رأيت أن اجعل ذلك في ايجاد جائعة ، فانه أولى بذلك من البيت . (٣)

وأهتم عمر بالمكوفين ، فأصدر أمرا بأن يوزع على كل مكوف في الرعية غلام يقوده من غلمان الاسرى الرقيق الذين غنمهم الدولة في حروبها . وأهتم عمر بتكريم ذكرى الراحطين من المكوفين الذين كانت لهم أعمال مأثورة . (٤)

وكان عمر يوصي دائما الاغنياء بمواساة الفقراء ومساعدتهم ، فكان مما قال : " وددت أن أغنياء الناس اجتمعوا ، وفردوا على فقرائهم ، حتى نستوى نحن بهم ، وأكون أنا أولهم " . (٥) وحرص عمر اولاده من مبايع الحياة ، حتى أصبحوا أدنى

---

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٥

(٢) ابن الجوزى ص ٩٧

(٣) البيت : بيت الله الحرام أى الكعبة (ابن الجوزى ص ٧٦)

(٤) الشرياصى : خامس الراشدين ص ١٤١

(٥) ابن كثير : سيرة عمر بن عبد العزيز ١٧٢



من أولاد الفقراء ، مما أثار عطف مسلمة بن عبد الملك ، على أولاد أخته ، فقَالَ  
لعمر : " يا أمير المؤمنين ، انك فطمت أفواه ولدك عن هذا المال ، وتركهم  
عالة ، ولا بد من شيء يصلحهم ، فنظر أوصيت بهم الى ، أو الى نظرائك من أهل بيتك ،  
لكفيتك مؤنتهم ان شاء الله " . ودعا عمر بأولاده ، وكانوا اثني عشر غلاماً  
فنظر اليهم ، وكى ، وقال لهم : " بنفسى فتية تركتهم ولا مال لهم ، يا بني :  
انى قد ترككم من الله بخير ، انكم لا تمرون على مسلم ولا معاهد الا ولكم عليه  
حق واجب ان شاء الله . يا بني : ميلت رأى بين أن تفتقروا فى الدنيا ، وبين  
ان يدخل ابوكم النار ، فكان ان تفتقروا الى آخر الابد خيراً من دخول ابوكم  
يوماً واحداً فى النار . . . قوموا يا بني عصمكم الله ، ووزقكم " . (١)

ولكن تشدد عمر على نفسه وميته لم يتجاوزوه الى غيره ، فهينما نراه أخذوا  
نفسه وأسرته بكل شدة وقسوة ، فافرضا على بيته التقشف والزهد ، نراه يرفق  
بالرعية ويوسع لها ، ويحمل اليها حقوقها فى أمانة واحسان . واذا كنا نراه فى  
بعض الاحيان يراجع ، أو يحاسب ، أو يعاقب على اسراف ، أو يلوم على انحرافه ،  
او يدعو الى اعتدال ، فلم يكن ذلك بخلا منه ، ولا شحاً ، ولم يكن اعتنا  
أو ارهاقاً ، ولكنها شرعة القصد التى دعا اليها الاسلام فى الغنى والفقر ، وأسلوب

---

(١) المصدر السابق .

المدل الذى حجب الاسلام فيه عند الرضا والغضب ، وطريقة الاقتصاد التى يكثر بها  
القليل ويدوم الكثير . (١)

ورأى عمر ان يوفر لكل مسلم ، فى الشرق والغرب ، الرعاية الاجتماعية ، حتى  
ولو لم يطلبها ، فقد قسنا ل مزاحم مولى عمر له : " يا امير المؤمنين ، كأنك مهتم ؟ "   
فقال عمر : " لمثل الامر الذى نزل به ، اهتمت انه ليس من أمة محمد فى مشرق  
ولا مغرب احد الا له قبلى حق يحق على أدائه اليه ، غير كاتب الى فيه ، ولا طالبه  
منى " . (٢)

ضرب امر امثلة كثيرة رائعة للمساواة الاجتماعية ، فقد طلب عمر من جارية  
ان تروح عليه ، تخفيفا من شدة الحرارة ، وفروحت عليه حتى نام . ثم نامت الجارية ،  
واستيقظ عمر ليجد الجارية وقد استغرقت فى نومها ، فأخذ المروحة وأقبل يروحها ،  
فانتبهت وصاحت ، فقال لها عمر : " انما أنت بشر مثلى ، أصابك من الحرما  
اصابنى ، وأحببت ان أروحك مثلما روحتنى " . (٣)

- 
- (١) الشرياصى : خامس الراشدين ج ٢ ص ١٤٤  
(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٢٤  
(٣) ابن الجوزى ص ٧

٩

وتشدد عمر في جمع أموال الزكاة باعتبارها الضريبة الأساسية المفروضة

على المسلمين ، وأهتم بتوزيعها على مستحقيها ، باحثاً عنهم في كل مكان ، وموزعاً جباته في كل الأقاليم ، وفي الحالات التي لم يكن هؤلاء الجباة يجدون فيها الفقراء ، يشتررون بهذه الأموال رقاب المستفيدين ويمتقونهم .<sup>(١)</sup>

وأدت سياسة الاقتصاد في النفقات ، ورد المظالم ، وضبط الجهاز الإداري للدولة ، إلى اختفاء الفقراء والمساكين والفارمين وإلى تحقيق الرفاهية الاجتماعية . فكان منادى عمر ينلدى كل يوم : أين النسفسارمين ؟ أين الناكحون ؟ أين المساكين ؟ أين اليتامى ؟ حتى أغنى كلاً من هؤلاء .<sup>(٢)</sup> وقال المؤرخ ابن كثير : "ولى عمر سنتين ونصفاً ، فملاً الأرض عدلاً ، وفاض المال حتى كان الرجل يهيمه لمن يعطى الصدقة" وأقبل الناس على أداء الزكاة ، حتى بلغ المجموع يفوق كل ما جمعه العمال في العهود السابقة .<sup>(٤)</sup> وكتب عامل الصدقات ابن مجدم إلى عمر يخبره أنه كان يعطى الرجل فريضتين أو ثلاث " فما يفارق الحي وفيهم فقير " .<sup>(٥)</sup>

(١) عماد الدين خليل : ملاح الانقلاب الاسلامي ص ١٢٩

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٩ ص ٢٠٠

(٣) المصدر السابق ج ٩ ص ٢٣٩

(٤) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨٦

(٥) المصدر السابق ص ٦٧

قال عمر بن أسيد : والله ما مات عمر حتى جعل الرجل يأتينا بالوال المعظم ،  
فيقول : اجعلوا هذا حيث ترون ، فما يرح حتى يرجع بماله كله ، قد أغنى عمر  
الناس . (١)

عاش عمر فترة طويلة من حياته في المدينة ، فكان يمدى دائما خنيه اليها ،  
ويسأل كل قادم منها عن أحوال أهلها ، والأشراف والتجار والمساكين والرجال  
والنساء . وجاء رجل مرة فسأله عمر : ما فعل المساكين الذين كانوا يجلسون  
في مكان كذا وكذا ؟ فقال الرجل : قد قاموا يا أمير المؤمنين وأغناهم الله . (٢)

ورحل رباح بن عبيدة الى العراق ، فطلب عمر منه ان يقف على سيرة  
الولاية في الناس ، ومدى رضاهم عن ولايتهم . وعاد رباح ليؤكد للخليفة حسن سيرة  
الولاية في العراق فقال عمر : الحمد لله على ذلك ، لرا خبرتني عنهم بغير  
هذا عزلتهم ولم أستمع بهم بعدها أبدا . (٣)

وكان عمر يتجول متخفيا ، فسأل رجلا قدم من المدينة عن أحوالها ، ولم  
يعلم الرجل ان المستفسر هو الخليفة ، فأجاب : تركت أهل المدينة والظالم

---

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ١٥٦

(٢) ابن الجوزي ص ٧٦

(٣) ابو يوسف : الخراج ص ١١٩

بها مقهور ، والمظلوم منصور ، والظنى موفور ، والعائل مجبور ، فسر بذلك عـ  
وقال : والله لان تكون البلدان كلها على هذه الصفة أحب الى ما طلعت عليه  
الشمس (١)

وهكذا اتت سياسة الضمان الاجتماعى والرعاية الاجتماعية بشمارها  
الناضجة ، فاخطفى الفقر ، وانكشيت الحاجة ، وعطت الابتسامات الشفاء ، وهـ  
النفوس ، وارتاحت القلوب ، وتذكرت الرعاية أيام الخلفاء الراشدين بما حفلت به  
من عدالة وامجاد ومكرمات .

---

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالمؤيد ص ١٣٥

## ٦- أهل الذمة في المجتمع الاسلامي

كانت تعيش في المجتمع الاسلامي ، في العصر الاموي ، جماعات من غير المسلمين ، من أهل الكتاب ، وأصبحوا في ذمة الدولة الاسلامية ، وأطلق عليهم اسم ( أهل الذمة ) . وكان الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب قد وضع قواعدا محددة لمعاملة الذميين ، ولكن كثيرا من الخلفاء والولاة الامويين حادوا عن هذه القواعد ، مما أوجد مشكلات اجتماعية ، كان على عمر بن عبد العزيز مواجهتها ، وهو يواجه سائر مشكلات المجتمع . واتخذ عمر قراراته ونظمه ، فيما يرتبط بالذميين من وحى الاسلام ، باعتباره الدين الرسمي للدولة ، ورغم تقدير المستشرقين لاصلاحات عمر ، ولحمدا لله ونزاهته ، الا انهم لم يقدروا موقفه من أهل الذمة التقدير الحقيقي ، لانهم لم يفتنوا الى حكمته ومراييه . وقد كانت كل اصلاحات عمر وقراراته تنبع من منبع اسلامي واحد ، وتهدف الى اقرار الامن ، وتحقيق العدالة ، وأرساء الرفاهية الاجتماعية ، وحل المشكلات الاجتماعية القائمة ، تجنباً لاي صراع اجتماعي يفتت وحدة المجتمع .

والذمة في اللغة المهد والامان والضمان ، وأهل الذمة هم المستوطنون في بلاد الاسلام من غير المسلمين لانهم دفعوا الجزية فأمنوا على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم ، فان تقاليد الاسلام كانت تقضى بأنه اذا أراد المسلمون غزو اقليم وجب عليهم أن يطلبوا من أهله اعتناق الاسلام ، فمن استجاب منهم طبقت عليه احكام المسلمين ، ومن امتنع فرضت عليه الجزية ، كقوله تعالى : ( قاتلوا

الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يخطوا الجزية عن يدهم صاغرون ) • ولم يكن يتمتع بهذا الامتياز الا اتباع الملل المعترف بها وهى : المسيحية ، واليهودية ، والمجوسية ، والسامرية ، والصابئة . (١)

رحب المسيحيون واليهود بالفتوحات العربية ، أملوا فى الخلاص من مظالم الفرس المجوس فى العراق ، ومن اضطهاد الرومان بسبب الخلاف المذهبى (٢) كما كان المسلمون يطلقون الحرية الدينية لاهل الكتاب مقابل أداء الجزية . (٣)

أقبل معظم أهل الذمة على تعلم اللغة العربية ، مما أدى الى التثاقب بينهم وبين العرب المسلمين وسائر أهالى الامصار المفتوحة . واللغة ليست كلمات أو حروف ، بل هى تعبير وشعور ، ووحدة اللغة تؤدى الى وحدة الثقافة ، والى الوحدة العقلية والنفسية .

وأدى تعميم استخدام اللغة العربية فى الامصار المفتوحة الى اندماج سائر الاجناس على اختلافها اندماجا قويا فى الحياة القومية التى كان يحياها العنصر العربى الحاكم . اذ ربطت اللغة العربية جميع البلاد برباط معنوى . (٤)

---

(١) الخربوطلى : تاريخ العراق ص ٢٦٣

(٢) كان معظم أهالى الشام ومصر يمتنعون المذهب اليعقوبى ، بينما كان المذهب الملكانى هو مذهب الدولة الرومانية الرسمية .

(٣) ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٦٨

(٤) جوزى : من تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام ص ٥

(١) وكانت رغبة تولى أهل الذمة المناصب الحكومية من عوامل اجادتهم اللغة العربية  
ويسمى المستشرق ( بارتولد )<sup>(٢)</sup> ان غلبة اللغة العربية كان بالاختيار لا بسلطان  
الحكومة ، ويذكر ان تسامح العرب أدى الى انتشار اللغة العربية ان العرب  
لم يعتمدوا على قوة السلاح كالجرمان والفرس والمغول .

فرضت اللغة العربية كتاباتها على الفرس وغيرهم ، وقضت نهائيا على الالف  
باء القديمة لهذه اللغات القديمة . فقد اقتبست اللغة الفارسية ، ثلث ألفاظها  
من اللغة العربية وأضافتها الى مجموعة كلماتها الهندو - أوروبية .<sup>(٣)</sup>

وأدت اقامة العرب في المدن الاسلامية الجديدة في الامصار المفتوحة  
الى امتزاجهم بأهالى البلاد وأهل الذمة ، فقد تعاونوا جميعا في الحياة  
الاجتماعية والاقتصادية ، ولم تكن عناصر الامصار المفتوحة غريبة على العرب  
الفاةحين ، كما ان فروقهم الدينية لم تقف حائلا في سبيل تكوين مجتمع  
سرعان ما تكلم اللغة العربية واعتنق الاسلام .<sup>(٤)</sup>

- 
- (١) حتى : تاريخ العرب ج١ ص ٩  
(٢) بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٣٠  
(٣) ديموبين : النظم الاسلامية ص ١٦ - ١٣  
(٤) المرجع السابق ص ٩



والحاطقة الاجتماعية هي المنصر الدائم في الشعور الديني ، حتى يمكن ان نعريف الكائن المتدين بأنه كائن محب للاجتماع ، ويرى ( جان ماري جويو ) <sup>(١)</sup> ان اختلاف الاديان انما يرجع خاصة الى اختلاف النماذج الاجتماعية التي يتصور الانسان الكون على مثلها ، وتتجلى الصفة الاجتماعية التي للدين في العبادات التي بواسطتهم يتصل الناس بآلهتهم مجتمعين .

اتبع المسلمون سياسة التعايش الديني مما أدى الى السلام الاجتماعي ، وقد نص القرآن الكريم على وجوب الحرص على هذا التعايش ، وحرص الخلفاء على هذه الروح الطيبة . وقد حدثنا تاريخ عمر بن الخطاب بانه قد أوصى رجاله بان يعيشوا وابناء الديانات الاخرى وابناء الديانات الاخرى في وئام وسلام ، وان ينظروا الى الانسانية نظرة مشاركة . كما أعطى عمر أهل بيت المقدس الامان العام للأرواح والاموال ، وأباح الاسلام للمسلم الزواج من الذمية ، مع بقائها على عقيدتها . واعتفل أهل الذمة بأعيادهم في جو من الحرية والتسامح ، وكان المسلمون يشاركون في أعيادهم . <sup>(٢)</sup>

وصف المستشرق ( ترتون ) <sup>(٣)</sup> حياة أهل الذمة الاجتماعية فقال : وانا لنسمع عن الحياة التي كان الاقباط يحييونها في بيوتهم من حيث الترف والاسراف ، وتقلبهم في رفاهية من العيش واتساع الاموال وكثرة النفقات . ولقد ساهم الاقباط في حياة المسلمين الاجتماعية واخذوا منها بنصيب .

- (١) الدين ، منشأة وعلاقتة بالمجتمع والحياة ص ٢٠ ( ترجمة سامي الدروبي ) .  
 (٢) الشابشتي : الديانات ص ٦٠ ، المقدسي : أحسن التقاسيم : ص ١٨٢  
 (٣) ترتون : أهل الذمة في الاسلام ص ١٥٨

ويشيد المستشرق ( آدم ميتز )<sup>(١)</sup> بتسامح المسلمين مع أهل الذمة ، مما لم يكن معروفًا في أوروبا ، مما أدى إلى رقي الحضارة والعلم .

وفي كتاب ( أهل الذمة في الاسلام ) للمستشرق ( ترثون ) نجد كثيرا من العبارات ، كلها تدل على أن أهل الذمة عاشوا حياة اجتماعية طيبة ، في ظل التسامح الاسلامي . فقال : كان بعض الولاة شديد الحب للنصارى يظهر لهم المودة باللفة . كما قال أيضا : وكانت معاملة الذميين تنطوي على ما يشير إلى مساواتهم التامة بالمسلمين في كافة الحقوق .

اشتهر الخوارج بالتسامح مع الذميين فأباحوا للذميين الجهر بدِينهم .<sup>(٢)</sup> ولذا ساعد أهل الذمة الخوارج في حروبهم ضد الدولة الاموية .

كمان على أهل الذمة طوال عهد الخلفاء الراشدين والامويين واجبات ، ولمهم في مقابلها حقوق ، أما الواجبات ، فكان على أهل الذمة أن يؤدوا الجزية ، مع تقديم الزيت والخل والطعام اللازم للمسلمين .<sup>(٣)</sup> وكان يشترط على أهل الذمة في عقد الجزية شرطان ، أحدهما مستحق والاخر مستحب ، ويشمل هذا الشرط المستحق ستة امور يجب على أهل الذمة تحقيقها ، فيجب عليهم احترام القرآن والرسول وعدم القدح

---

(١) مقبىز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ج١ ص ٥٧

(٢) ابو يوسف : الخراج ص ٣٦

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٨٥

فى الاسلام ، وألا يصيبوا مسلمة بزنا ولا بئناح ، وألا يحولوا مسلما عن دينه . وألا يعينوا أهل الحرب . اما الشرط المستحب فيشمل أيضا امورا ستة ، فعليهم لبس الخيار وشد الزنار ، وان تكون مبانىهم أقل ارتفاعا من مبانى المسلمين ، وألا يسمموا المسلمين أصوات نواقيسهم وثلاوة كتبهم ، وعدم المجاهرة بشرب الخمر أو اظهـار الصلبان والخنازير ، واخفاء دفن الموتى وعدم النواج عليهم ، وعدم ركوب الخيل مع السـاح بركوب البغال والحمير .<sup>(١)</sup> وكان على أهل الذمة ألا يحدثوا بيعة أو كنيسة ، ولكن يجوز بناء ما تهدم من بيعتهم وكنائسهم القديمة<sup>(٢)</sup> كما كان على فلاحى أهل الذمة العناية بالطرق والجسور والاسواق والارشاد وضيافة ابناء السبيل .<sup>(٣)</sup>

أما حقوق أهل الذمة فهى الكف عنهم والحماية لهم<sup>(٤)</sup> ، ولاهل العهد الامان على ارواحهم وأموالهم .<sup>(٥)</sup> وفى الحقيقة كانت معاملة المسلمين لأهل الذمة تنم عن تسامح وعطف وكرم . فقد كان أهل الذمة لا يدفعون سوى عشر التجارة والجزية بينما هم محفون من الصدقات .<sup>(٦)</sup> وكانت الجزية تساوى ما يدفعه المسلم من صدقة<sup>(٧)</sup> كما كانت مقابل بقاءهم على عقائدهم .<sup>(٨)</sup> وأغنى الصبيان والنساء والمساكين وذوو العاهات والرهبان من أداء الجزية .<sup>(٩)</sup>

- 
- (١) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٣٨ — ١٣٩  
 (٢) المصدر السابق ص ١٤٠  
 (٣) الطبرى ج ٤ ص ١٨٤  
 (٤) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٣٧  
 (٥) المصدر السابق ص ١٣٩  
 (٦) ابن آدم : الخراج ج ١ ص ١٠  
 (٧) الطبرى ج ٤ ص ١٩٨  
 (٨) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٣٩  
 (٩) ابو يوسف : الخراج ص ٦٩ — ٧٠

أحدث الحجاج بن يوسف الثقفى تغييرا كبيرا فى نظم الجزية أضرت كثيرا  
بالاسلام أولا ، وبأهل الذمة ثانيا . ولما كان عمر بن عبد العزيز قد تصدى لرفض  
الظلم ، ورد المظالم ، فقد كان عليه مواجهة نظم الحجاج الثقفى ، وتوضيح وضع أهل  
الذمة فى المجتمع الاسلامى .

(١) والجزية ليست من مستحدثات الاسلام ، بل هى قديمة منذ فجر التاريخ .

ووضع الرومان الجزية على الامم التى اخضعوها ، وكانت نحو سبعة أضعاف الجزية  
التي فرضها المسلمون فيما بعد . كما جمع الفرس الجزية من رعاياهم .

(٢) يشبه المستشرق ( آدم ميتز ) الجزية فى العصر الاسلامى بضريبة للدفاع  
الوطنى ، فكان لا يدفعها الا الرجل القادر على حمل السلاح ، ولا يدفعها ذوو الماهات  
ولا المترهبون وأهل الصوامع .

كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقدر الجزية على مقتضى التراضى الذى كان  
يقع بين المسلمين وأعدائهم . وما زالت الجزية بالاتعميين الى آخر عهد أبى بكر . فلما

---

(١) وضع ( يونان أثينا ) الجزية على سكان سواحل آسيا الصغرى حوالى القرن  
الخامس قبل الميلاد ، مقابل حمايتهم من هجمات الفينقيين .

(٢) جرجم زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ج ١ ص ٢٨٨

(٣) ميتز : الحضارة الاسلامية فى القرن ٤ هـ ج ١ ص ٧٨

تولى عمر بن الخطاب وضع نظاما ثابتا للجزية يتبعه الولاة فى سائر الامصار ، وليمنع  
اجتهاد الولاة . (١) فجعل عمر الجزية على الرجال ، على الموسر (٢) ثمانية  
واربعون درهما ، وعلى المتوسط الحال (٣) اربعة وعشرون درهما ، وعلى الفقير (٤)  
اثنا عشر درهما . (٥) وتدفع الجزية على أقساط شهرية .

وفى بعض البلاد المفتوحة كانت شروط الصلح تحدد مقدار الجزية مثلما حدث  
فى مصر حيث اتفق عمرو بن العاص مع الاقباط على أن يدفع الذى دينارين سنويا . فأحيانا  
كانوا يدفعون الجزية باعتبار ما يبقى فى أيدي الناس من دخلهم بعد نفقاتهم ، كما  
حدث فى بلاد العراق والجزيرة ، فقد حدد الفاتحون دينارا على كل رأس فلما تولى  
الخليفة عبد الملك بن مروان استغل ذلك فبعث الى عامله هناك فأحصى الناس ، وحسب  
ما يكسب العامل سنته كلها ، وطرح من ذلك نفقته فى طعامه وأدمه وكسوته ، وطرح  
أيام الاعياد فى السنة كلها ، فوجد الذى يحصل بعد ذلك اربعة دنانير لكل واحد . (٦)

- 
- (١) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٣٨  
(٢) الموسر هو صاحب الحرفة المريحة مثل الصيرفى والبزاز وصاحب الضيعة والتاجر والطبيب .  
(٣) متوسط الحال هو الاقل كسبا عن الفئات السابقة .  
(٤) الفقير : هو العامل بيده مثل الخياط والصباغ والاسكاف وما شابههم ( ابو يوسف :  
الخراج ص ٧٠ ) .  
(٥) ابو يوسف : الخراج ص ٦٩ .  
(٦) الخريوطى : الاسلام وأهل الذمة ص ١٣٧ .

أدت سياسة الحجاج المالية إلى استياء عام ، فقد كان أول من خالف القواعد الخاصة بالخراج والجزية بالنسبة لمن دخلوا حديثاً في الإسلام من غير العرب . ذلك أن أهل البلاد الأصليين كانوا يقيمون بالقرى للزراعة والحرف ، فمن اعتنق منهم الإسلام رفعت الجزية عنه وكان بعد إسلامه يهجر القرية التي كان يعمل فيها كزراع ويهرع إلى المدن ليلتحق بالجيش الإسلامي ويكتب في سجل المطأ . وبدى يهسى أن هذه الأرض التي كانت تترك بعد أن رحل أصحابها عنها بعد إسلامهم تصبح خائبة للظروف ، فقد يستأجرها الغير وقد تترك من غير زراعة ، وإذا استأجرها الغير ففي الغالب ما يكون الأيجار الجديد أقل من القديم ، فينتج من ذلك قلقة إيرادات هذه الأقاليم نتيجة اعتناق أهلها الإسلام .<sup>(١)</sup>

هال الحجاج هذا النقص في الإيرادات ، ففرض الجزية على المسلمين الجدد وألزمهم بالمودة إلى قراهم .<sup>(٢)</sup> وأعاد وضع الخراج على الأرض التي أسلم أصحابها كما كان قبل إسلامهم . وقال لهم حينما أمر بإعادتهم إلى قراهم : " أنتم علوج وعجم وقراكم أولى بكم . ففرقهم وفض جمعهم كيف أحب وسيرهم كيف شاء " ونقش على يد كل رجل منهم اسم البلدة التي وجهه إليها .<sup>(٣)</sup>

---

(١) الخربوطلى : تاريخ المراق ص ١٧١

(٢) الطبري ج ٨ ص ٣٥

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٣ ص ٤١٦

كتب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالعراق عدي بن أرطاة يأمره بترك سياسة  
ونظم الحجاج<sup>(١)</sup> ، كما كتب الى عامل الكوفة ان الله بعث محمدا داعيا الى الاسلام  
ولم يبعثه جابيا ، وأمره برفع الجزية عن أسلم<sup>(٢)</sup> . فقد أثر نصرة الاسلام على أى شئ  
آخر<sup>(٣)</sup> . وأمر عمر بأرجاع كل من أسلم الى قريته حتى يظل فى أرضه ويدفع الخراج  
كما كان اول الامر<sup>(٤)</sup> .

ولذا شهد عهده عمر بن عبد العزيز حركة تحول الى الاسلام واسعة النطاق ،  
تحدث عنها المستشرق ( توماس ، أرنولد )<sup>(٥)</sup> فقال : فقام عمر بتنظيم حركة ملؤها  
الحماسة فى نشر الدعوة ، وقدم للشعوب المحتلة كل لون من ألوان الاغواء لقبول الاسلام  
حتى يمنحهم هبات من الاموال . وقد قيل انه اعطى فى احد المناسبات بطريقا  
نصرانيا ألف دينار تألفه بها على الاسلام ، كما امر عمال الولايات الاسلامية بدعوة  
الذميين الى الاسلام حتى ان الجراح بن عبد الله والى خراسان أدخل فى الاسلام نحو  
من أربعة آلاف شخص . بل قيل ان عمر كتب الى ملك الروم ( ليو ) يدعو الى الاسلام .

- 
- ( ١ ) ابن الجوزى : عمر بن عبد العزيز ص ٥٤  
( ٢ ) ابو يوسف : الخراج ص ١٥٧  
( ٣ ) دوزى : نظرات فى تاريخ الاسلام ص ٣٩٢  
( ٤ ) الطبرى ج ٨ ص ١٣٩  
( ٥ ) ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص ١٠٢

ثم يقول (توماس أرنولد) : ومع ذلك فلا ينبغي ان نفترض ان مثل هذه  
الاعتبارات العادية كانت هي المؤثرات الوحيدة الفعالة في تحول المسيحيين الى  
الاسلام .

كتب عمر بن عبد العزيز الى أبي بكر بن محمد يأمره برفع الظلم عن المسلمين  
والذميين على السواء ، وأن يعيد اليهم ممتلكاتهم المختصة .<sup>(١)</sup>

ويذكر المستشرق (ترثون)<sup>(٢)</sup> ان الخليفة عبد الملك بن مروان عهد الى  
مسيحي بتعليم أخيه الصغير عبد العزيز بن مروان ، وهو والد الخليفة عمر بن عبد  
العزيز . وقد سمح عبد العزيز بن مروان حين أنشأ مدينة حلوان ببناء كنيسة فيها .

وعن موقف عمر من كنيسة دمشق ، روى البلاذري<sup>(٣)</sup> : " لما ولي معاوية  
بن أبي سفيان أراد ان يزيد كنيسة يوحنا في المسجد بدمشق ، فأبى النصارى ذلك  
فأمسك ، ثم طلبها عبد الملك بن مروان في أيامه للزيارة في المسجد وبذل مالا  
فأبوا ان يسلموها اليه ، ثم ان الوليد بن عبد الملك جمعهم في أيامه وبذل لهم  
مالا عظيما على ان يعطوه اياها ، فقال لئن لم تفعلوا لاهد منها ، فقال بعضهم :  
يا أمير المؤمنين ان من هدم كنيسة جن وأصابته عاهة . فأحفظه قوله ودعا بمحمول  
وجعل يهدم بعض حيطانها بيده وعليه قبا ، خز أصفر ، ثم جمع الفعلة والنقاضيين

---

(١) خوادابخش : الحضارة الاسلامية (ترجمة الدكتور الخربوطلى) ص ٢١

(٢) ترثون : اهل الذمة في الاسلام ص ٤٥

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٣١ ١٣٢٦



فهدموها وأدخلها في المسجد • فلما استخلف عمر بن عبد العزيز شكى النصارى اليه ما فعل الوليد بهم في كنيستهم ، فكتب الى عامله يأمره ببرد ما زاده في المسجد عليهم فكره أهل دمشق ذلك فقالوا : نهدم مسجدنا بعد ان أذننا فيه وصلينا ويربيعة ؟ ومنهم يومئذ سليمان بن حبيب المحاربى وغيره من الفقهاء ، وأقبلوا على النصارى فسألوهم ان يعطوا جميع كنائس الخوطة التى أخذت عنوة وصارت فى أيدي المسلمين على ان يصفحوا عن كنيسة يوحنا ويمسكوا عن المطالبة بها ، فرضوا بذلك وأعجبهم ، فكتب به الى عمر فسرره وأمنه •

ويعلق المؤرخ الهندس المسلم <sup>(١)</sup> "خودابخش" على موقف عمر بن عبد العزيز من كنيسة دمشق ، فيقول : ونستطيع ان نقول فى اطمئنان ان العرب لم ينتهجموا سياسة "انتزاع الملكية" ولم يستعملوا القوة فى الاقاليم التى يحكمونها طالما السياسة أجدى •

من المسائل التى تناولها المستشرقون بالنقد ، ما فرضه كل من الخليفين عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز من قيود تتناول ملابس أهل الذمة وبعض المسائل الشكلية • وهم يعتمدون على ما ذكره كاتب واحد هو ( أبو يوسف ) <sup>(٢)</sup> • فأشار المستشرقون الى ان عمر بن الخطاب قد حدد انواع الملابس وطريقة ركوب أهل الذمة ،

---

(١) الحضارة الاسلامية ( ترجمة الدكتور الخربوطلى ) ص ١١٦

(٢) أبو يوسف : الخراج ص ٧٢ - ٧٣

فأشترط عليهم لبس الزنار ، ونهاهم عن التشبه بالمسلمين في ثيابهم وسروجهم ونعالهم ،  
وأمرهم أن يجعلوا في أوساطهم الزنارات ، وأن تكون قلائسهم مضرية ، وأمر عمر أيضا  
بمنع نساء أهل الذمة من ركوب الرحائل . (١)

ونالت أقلام بعض المستشرقين من الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فوصفه (جولد تسيهر)  
بالخليفة المتعصب ، وذهب (وليم ميور ) الى ان غير عمر على الاسلام هي التي  
دفعته الى اضطهاد النصارى واليهود ، فكتب عمر الى عدى بن أرطاة عامله على  
المراق : " مروا من كان على غير الاسلام ان يضعوا الحمايم ، ويلبسوا الاكسية ،  
ولا يتشبهوا بشيء من الاسلام ، ولا تتركوا احدا من الكفار يستخدم احدا من المسلمين " (٢)  
وكتب عمر رسالة أخرى جاء فيها : " لا يركب نصراني سرجا ، ولا يلبس قباء ، ولا طيلسانا  
ولا سراويل ذات خدمة ، ولا يمشين بغير زنار من جلد ، ولا يمشى الا مفروق الناصية ،  
ولا يوجد في بيت نصراني سلاح الا أخذ " . (٣)

وأمر عمر بحزل أهل الذمة من وظائف الدولة ، كما أمر عمر أهل الذمة بأن  
يفتحوا المجال للمسلمين في الطرقات وأماكن الاجتماع وحتم عليهم ان يحملوا شمارا  
معيّنا على أكتافهم يكون لونه أزرق للمسيحيين وأصفر لليهود ، وأسود او احمر للمجوس ،  
ويجب ان تكون بيوتهم أقل ارتفاعا من بيوت المسلمين ، كما كان عمر يصير على التحاق  
الذميّين بالجيواس الاسلامية .

(١) الخريوطى : الاسلام وأهل الذمة ص ٨٤

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٤ ص ٤٣٦٧

(٣) ابن الجوزى : عمر بن عبد العزيز ص ٦٣

هذه هي المسائل التي سلط المستشرقون الاضواء عليها للأساءة الى الخليفةين  
الحادين ، عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ، وقد استند المستشرقون في هذه  
الامور الى كتاب واحد هو كتاب ( الخراج ) لابي يوسف ، ولكننا لا نجد مثل هذه  
الاوامر والنواهي في كتب المؤرخين الاقدمين الموثوق بهم مثل الطبري أو البلاذري  
أو اليعقوبي أو ابن الاثير وغيرهم ، ونجد عهود عمر في كتب هؤلاء المؤرخين القدامى  
خلوا من هذه الشروط وهذا التحديد للملابس ، مما يهدم كل ما ذهب اليه  
المستشرقون .<sup>(١)</sup>

وقد ناقش المستشرق ( ترثون )<sup>(٢)</sup> هذه المسألة فقال : من الشروط التي اشترطها  
عهد عمر على الذميين لبس الزنار والنهي عن التشبه بالمسلمين في ثيابهم وسروجهم  
التي يستعملونها ، وينسب أبو يوسف ( المتوفى سنة ١٨٦ هـ ) هذه الاوامر الى عمر بن  
الخطاب ، على حين ان ابن الحكم المتوفى سنة ٢٥٧ هـ يقرر ان الخليفة أمر النصاري  
لبس ( المنطقة ) وجز مقادهم شعورهم . أما اليهود الواردة في الطبري والبلاذري  
فقد خلت من الإشارة الى الملابس ، وإذا ذهبنا الى ما يذهب اليه المستشرق الايطالي  
( كايثاني ) من أن هذه اليهود قد وضعت فيما بعد ، كما هو العهد ازاء العهد  
لبيت المقدس فان خلو هذه اليهود من الإشارة الى الملابس يدفع الانسان للشك  
القوى في حقيقة اصدار عمر لهذه الاوامر .

(١) الخريوطي : الاسلام وأهل الذمة ص ٨٥

(٢) ترثون : اهل الذمة في الاسلام ص ١٢٢

ولو افترضنا جدلا حقيقة هذه الاوامر الصادرة عن الخليفين ، فقد كان هـ هذا لا غبار عليه ، فهو نوع من التحديد للملابس فى نطاق الحياة الاجتماعية ، وللتمييز بين أصحاب الاديان المختلفة ، وخاصة أننا فى وقت مبكر من التاريخ ، ليس فيه بطاقات تثبت الشخصية ، وما تحمله عادة مثل هذه البطاقات من تحديد الجنسية والدين والعمر وغير ذلك . فقد كانت الملابس المتميزة هى الوسيلة الوحيدة لاثبات دين كل من يرتديها وكان للعرب المسلمين ملابسهم ، كما كان للنصارى أو لليهود أو المجوس ملابسهم أيضا . وإذا كان المستشرقون قد اعتبروا ان تحديد شكل ولون الثياب هو من مظاهر الاضطهاد فنحن نقول لهم ان الاضطهاد فى هذه الصورة يكون قد لحق بالمسلمين وأهل الذمة على السواء . وإذا كان الخلفاء ينصحون العرب والمسلمين بألا يتشبهوا بغيرهم فمن المنطقى ان يأمرؤا غير العرب وغير المسلمين بألا يتشبهوا بالعرب المسلمين . (١)

(٢)

وقى هذه القضية يقول المستشرق ( ترثون ) أيضا ، فقال : كان الفرض من القواعد المتعلقة بالملابس سهولة التمييز بين النصارى والعرب ، وهذا امر لا يرقى اليه الشك ، بل نراه مقررا تقريرا أكيدا عند كل من أبى يوسف (٣) وابن عبد الحكم (٤) وهما من أقدم الكتاب الذين وصلت كتبهم إلينا ، على انه يجب ان نلاحظ انه لم تكن ثمة ضرورة وقت الفتح لالزام النصارى بلبس نوع معين من الثياب يخالف ما يلبسه المسلمون ،

(١) الخريوطى : الاسلام وأهل الذمة ص ٨٦

(٢) ترثون : اهل الذمة فى الاسلام ص ١٣٣

(٣) أبو يوسف : الخراج ص ٧٢

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٥١

اذ كان لكل من الفريقين وقتذاك ثيابه الخاصة ، وكان النصارى يفعلون ذلك من تلقاء  
أنفسهم دون جبر أو الزام ، على أن الحاجة استلزمت هذه الفروض فيما بعد حين  
أخذ العرب بحظ من التمدن ، اذ حمل الاغراء الشعوب الخاضعة لهم على الاقتداء  
بهم فى ملابسهم والتشبه فى ثيابهم .

ونجد فى المصادر التاريخية كثيرا من رسائل عمر بن عبد العزيز تحت ولاته على الرفق  
بأهل الذمة وحسن معاملتهم . فقد كتب الى زيد بن عبد الرحمن عامله على الكوفة ان يكف  
عن ارهاق أهل الذمة ، فاستجاب لامر الخليفة ، كما كتب عمر الى عبد الرحمن بن يعلم :  
لا تهدوا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار صولحتم عليه . (١) وخفف عمر من أعباء الجزية  
المفروضة على النصارى فى قبرص ، وأيلة (٢) ، وفى نجران فى جنوب الجزيرة العربية . (٣)  
وكان من أبرز اسباب عزل اسامة بن زيد عن خراج مصر ارهاقه لاقباطها ، وقد كتب عمر  
الى زريق بن حيان يأمره بالرفق بالاقباط . (٤) وحينما حاور الخوارج عمر بن عبد العزيز  
طالبوه بتخريب الكنائس ، فرفض عمر رفضا باتا ، وقال : هى من صلاح رعيتى . (٥)

---

(١) الطبرى ج ٨ ص ٣٥ ، ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٦٤

(٢) أيلة : العقبة الان — وتسميها اسرائيل ( ايلات ) .

(٣) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج ١ ص ١٨١

(٤) أبو يوسف : الخراج ص ١٣٧

(٥) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٧٤

(١) روى ابن الجوزى رواية تذهب الى أن عمر عندما مرض أرسل الى أحد النصارى وسأوه حول شراء موضع قبره ، فأجابه النصرانى : " والله يا أمير المؤمنين انى لا تبرك بقبرك ويجوارك ، فقد احللتك من الثمن " . وأبى عمر الا أن يدفع . وذكر ابن الجوزى رواية ثانية تذهب الى أن عمر بعث بدينارين الى أصحاب أحد الدير ، قائلاً لهم : ان بعثتمونى موضع قبرى والا تحولت عنكم . فأجابوه : لولا أنا نكره أن تتحول عنا ما قبلناه . وذكر الامام الاوزاعى انه مر بقتسرين أثر تشييع عمر فسأله أحد الرهبان : أشهدت وفاة هذا الرجل ؟ فأجابه : نعم ، فأرخى الراهب عينيه تبكيان . فقال له الامام : ما يبكيك ولست من أهل دينه ؟ فأجاب الراهب : والد موع تسيل على خديه وتبلل لحيته الكثيفة : انى لست عليه أبكى ، ولكن أبكى على نور كان فى الارض فطفئ .<sup>(٢)</sup> ويذكر ابن الجوزى<sup>(٣)</sup> أن بعض الرهبان كانوا يسمون قبر عمر ( قبر الصديق ) .

(١) ابن الجوزى عن ٢٨٢

(٢) المصدر السابق عن ٢٨٩

(٣) المصدر السابق عن ٢٩

## الباب الثالث

### الاصلاحات الاقتصادية

- ١- الحرص على المال العام
  - ٢- سياسة التسقيف الاقتصادي
  - ٣- عدالة الضرائب والنظم المالية، وحرية التجارة .
  - ٤- نظم الخراج وملكية الاراضي .
-

### ١- الحرص على المال العام

وضع عمر بن عبد العزيز سياسة جديدة لم يشهد لها العهد الاموي منذ قيامه ، وهى سياسة الحرص على المال العام ، فأعاد بذلك الى الحقيقة والواقع سيرة الخلفاء الراشدين ، وخاصة جده عمر بن الخطاب .

وكان عمر بن عبد العزيز فى شبابه أميرا أمويا ، ينهج نهجهم فى حياة الترف والرفاهية حتى اذا تولى الخلافة هذا حذو جده عمر بن الخطاب ، فى عدله وحزمه ، وفى حرصه على المال العام ، باعتباره مال المسلمين .

وثارت دهشة الامويين حين رأوا خليفة يخالف العرف والمتبع ، ويحجب عنهم بيت مال الدولة الذى كانوا يفترون منه ما يشاءون . وكان عمر قد بدأ بنفسه ثم بأهل بيته ، ثم برجال بلاطه ، طارقا شعار " انه لينبغى ان لا يبدأ بأول من نفسى " . (١) ثم تمت هذه السياسة الى جميع اجهزة الدولة ، المالية والادارية . وان كان عمر قد نجح فى التجرد الذاتى ، وتغلب على نفسه ، الا ان الطريق امام كسر شوكة الامراء الامويين لم يكن - كما رأينا - سهلا ميسورا . أما اجهزة الدولة ، فقد قام عمر بحركة تطهير واسعة لتخليص الحكومة الاموية من عوامل الفساد المتراكمة عبر الدهور ، وبدأ يبحث عن خامات ايمانية وطاقات مخلصه .

---

(١) ابن الجوزى ص ١١١



وهكذا لم تكن اتجاهات عمر مقتصرة على ذاته ، كما يفعل كثير من الزهاد ، بل كانت سياسة عامة كان يريد ان يطبقها تطبيقا دقيقا على الدولة ورجالها ، فكان يطلب منهم ويعزم عليهم ان يكون متورعين فى أموال المسلمين ، لا ينفقون منها الا القدر اللازم ، وان يكونوا أشح على أنفسهم ، أسخياء على المسلمين ، وكان حريصا على ان يوفر على المسلمين أموالهم ، ويعتقد ان الدرهم دم فلا يجوز ان يجرى فى غير عروقهم ، ولا يرى ان يضيع فى الكاليات والشكليات .<sup>(١)</sup>

(٢)  
وأطلق عمر شمارا جديدا هو " الدراهم دم فلا يجوز ان يجرى فى غير عروقهم " وهو شمار الخليفة المادل ، ويمثل تقييما لكدح الامة ، وحرصا من عمر على ألا يعود إليها . ولذا رأى ان يبدأ بالاقربين من بنى أمية ، أولئك الذين استنزفوا الكثير من أموال الدولة لحسابهم الخاص ، وتشهد الايام الاولى من خلافة عمر تجديدا واسسع انطاق لكثير من أموال وأمالك بنى أمية ، ظلت تنمو فى الماضى وتتسخم لكونهم الحزب الحاكم فحسب ، وهأهى الان ترد الى بيت مال المسلمين لكى يأخذ العدل مجراه ، وتعود أموال المسلمين الى المسلمين ، لا يستأثر بها احد دون أحد ، وهى أموال وأمالك من شتى الصنوع والانواع ، جمعت بمختلف الطرق وسائر الاساليب ، فجرد عمر بنى أمية منها ، ومزق عمر مستنداتهما ، وردّها الى مكانها الصحيح : مظالم وجوائز وهدايا ومخصصات استثنائية وضياع وقطائع ، جمعت كلها على شكل ممتلكات ثابتة ونقود سائلة ، بلغت فى تقدير عمر شطرا كبيرا من أموال الامة جاوزت النصف .<sup>(٣)</sup>

(١) ابو الحسن على الحسنى الندوى : رجال الفكر والدعوة فى الاسلام ص ٣٤

(٢) ابن الجوزى ص ١١٤

(٣) عماد الدين خليل : مالمع الانقلاب الاسلامى ص ١١٦

وعارض الامويون سياسة عمر معارضة شديدة ، فواجههم في حزم وحسم ، وقال :  
” والله لو ددت أن لا تبقى في الارض مظلمة الا ورددتها ، على شرط ألا أرد مظلمة  
الا سقط لها عضو من أعضائي أجد ألمه ، ثم يعود كما كان حيا ، فاذا لم يبق مظلمة  
رددتها سألت نفسي عندها “ . ( ١ )

ويكتب أمير أموى الى عمر رسالة شديدة اللهجة معبرا عن سخط سائر الامراء  
الامويين ، فيرد عمر عليه برسالة أكثر عنفا ، يقول فيها : ” . . . ويلك وويل أبيك ، ما أكثر  
طالبكما وخصمائكما يوم القيامة . . . رويدك فانه لو طالت بي حياة ، ورد الله الحق  
الى أهله ، تفرغت لك ولاهل بيتك ، فأقمتكم على المحجة البيضاء . . . فطالما تركتم الحق  
وراءكم ، وما وراء هذا ما أرجوا ان يكون خير رأى أبغىه : بيع رقبته فان لكل مسلم فيك  
سهما في كتاب الله “ . ( ٢ )

ورأى الامويون ان يدخلوا في حوار مع عمر ، يستثيرون عطفه عليهم ، ويذكروهم  
بأواصر القرابة وصلة الرحم ، فأصم أذنيه عن توسلاتهم ، وقال في حزم : يتسع مالى لكم  
واما هذا المال — أى المال العام — فحقكم فيه كحق رجل باقضى برك الضماد ، فلا ينفعه  
من أخذه الا بعد مكانه ، والله انى لارى ان الامور لو استحالت حتى يصبح أهل الارض  
يرون مثل رأيكم لنزلت بهم بائقة من عذاب الله . ( ٣ )

( ١ ) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٤٧

( ٢ ) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٥١

( ٣ ) ابن الجوزى ص ١١٥

ورأى الامويون ان محاربتهم الجماعية لسياسة عمر لا جدوى منها ، ازاء اصرار  
عمر وحزبه ، وبدأت جهود فردية ، وكل أموى منهم يحاول استرداد ما يستطيع من أموال  
أعادها عمر الى بيت المال ، أو حجبها عن الامويين اذ لا يستحقوها قانونيا .

ضرب عمر بن عبد العزيز المثل الاعلى فى الحرص على مال الدولة ، والسهر على  
حقوقها ، وخير مقياس تقيس به أمانة الحاكم وعدته ونزاهته واستقامته ، هو ان تقارن  
بين حاله قبل الحكم وحاله فى أثناءه . وكان عمر قبل الخلافة يتقلب فى مطارف المعز ،  
حتى اذا تولى الخلافة افتقر بعد غنى ، ويوم مات لم يترك الا دنانيرا قليلة . (١) وترك  
من الفلة غلة ستمائة دينار ، وترك من أولاده الذكور اثنى عشر ولدا ، ومن بناته ست  
بنات . (٢)

وحمل عمر الخلفاء الامويين السابقة مسئولية ما أقدم عليه ولاتهم من الاضرار  
بأموال الدولة . فقد كتب أمير أموى ، هو عمر بن الوليد بن عبد الملك ، رسالة جافسة  
تعدى فيها حدود اللياقة ، فاستشاط عمر غضبا ، وقال " ان لله على من بنى مسروان  
يوما يكون ذبحا ، وايم الله لئن كان ذلك الذبح على يدى " . (٣)

---

(١) ٢١ او ٢٤ ديناراً

(٢) الشرياصى : خامس الراشدين ص ٩١

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٤ ص ٤٣٧

نظر عمر بن الوليد الى سياسة عمر في الحرص على المال العام نظرة شخصية سطحية ، فقد رأى ان فضج عريهده ما كان الاميون ينعمون به من ترف ورفاهية ، فقد كتب عمر بن الوليد : " انك ازريت على ما كان قبلك من الخلفاء ، وعبت عليهم ، وسرت بخير سيرتهم وشئنا لمن بعدهم من اولادهم ، قطعت ما أمر الله به أن يوصل ، اذ عمدت الى اموال قريش وموارثهم فأدخلتها في بيت المال حورا وعدوانا ، ولكن تترك على هذا " .

وكان عمر بن الوليد ابنا لجارية تدعى بنانة من قبيلة السكون ، التي كانت ترتزق من الطواف بالاسواق ، فكتب عمر بن عبد العزيز ردا حازما على رسالة عمر بن الوليد وضع فيها مساوىء أبيه وولاته ، فقال : " اما بعد ، فانه بلغنى كتابك ، وسأجيبك بخير منه . أما اول شأنك يا بن الوليد — كما تزعم — فأملك بنانة أمة السكون ، وأمسك صناجة ، كانت تطوف في سوق حمص وتدور في حوانيتها ، ثم الله أعلم بها ، اشتراها نزيان من أموال المسلمين فأهداها لابيک فحملت بك فبئس المحمول والمولود . ثم نشأت فكننت جبارة غيدا .

" وتزعم أنى من الظالمين لما حرمتك وأهل بيتك فى " الله عز وجل الذى فيه حق القرابة والارامل والمساكين ، وان اظلم منى وأترك لمهد الله من استعملك صبيا سفيها على جند من جنود المسلمين تحكم فيها برأيك ، ولم تكن له فى ذلك نية الا حب الوالد لولده ، فويل لك ، وويل لابيک ، ما أكثر خصماء كما يوم القيامة ، وكيف ينجو أبوك من خصائمه ؟ " .

• وان اظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل الحجاج بن يوسف يفسدك  
الدم الحرام ويأخذ المال الحرام • وان اظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل قسرة  
ابن شريك - أعرابيا جلفا - على مصر • وأذن له فى المحازف واللهو والشراب • وان  
اظلم منى وأترك لعهد الله من جمل لحالية البربرية سهما فى خمس العرب • • • (١)

وكان من بين الامويين نفر قليل • لديهم من الوازع الدينى ما يجعلهم يؤيدون  
سياسة عمر • مثل مسلمة بن عبد الملك • وسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان • وقد رأى  
الاخير ضرورة السير فى طريق اقرار الحق والعدل • ولكن بخير طريق رجمى • فقال  
لمصر : " يا امير المؤمنين امض لرأيسك فيما وليت بالحق والعدل • واخل عن سبقك  
وعما ولى خيره وشره • • فانك مكثف بذلك • "

فقال له عمر : " أنشدك الله الذى اليه نعود • أرأيت لو أن رجلا هلك وترك بنين  
صفارا وكبارا فمزا الاكابر الاصاغر بقوتهم • فأكلوا اموالهم • فأدرك الاصاغر • فجاءوك  
بهم • وبما صنعوا فى اموالهم • • • وما كنت صانعا ؟ • "

فأجاب سعيد : " كنت أرد عليهم حقوقهم حتى يستوفوها • " فقال عمر : " فانى  
وجدت كثيرا ممن قبلى من الولاة عزوا الناس بقوتهم وسلطانهم • وعزهم بها اتباعهم  
فلما وليت أتونى بذلك فلم يسحنى الا الرد على الضعيف من القوى • وعلى المستضعف

---

(١) ابن الجوزى : صفوة الصفوة • ج ٢ ص ٥٩ وما بعدها •

من الشريف \* واقتنع سعيد بحجة عمر ، فقال " وفكك اله يا أمير المؤمنين — (١) "

وروى عبد الله بن دينار : " لم يرتزق عمر من بيت مال المسلمين شيئا ، ولم يرزأه حتى مات \* " وروى ميمون بن مهران : " ما زلت أنا وعمر بن عبد العزيز ننظر في أمور الناس ، حتى قلت : يا أمير المؤمنين ، ما بال هذه الطوامير التي يكتب فيها بالقلم الجليل ، ويعد فيها وهي من بيت مال المسلمين ؟ ... فكتب — عمر — الى الصالح ألا يكتبن في طوامير ، ولا يعد فيه ، فكانت الكتب شبرا أو نحو ذلك \* " (٢)

وتسبب الفقيه الثقفي وهب بن منبه في غياع بعض الدنانير من بيت المال ، ورغم ثقة عمر بن عبد العزيز المطلقة في أمانته ، إلا أنه كتب اليه : " اني لا أتهم دينك ولا أمانتك ، ولكني أتهم تضيقك وتفرطك ، وأنا حبيج المسلم في أموالهم \* " وأمر عمر برد الدنانير المفقودة الى بيت المال ، فردها وهب من أمواله الخاصة . (٣)

جاء عمر وهو يرى قرة عيون الخلفاء في ثلاث : ان يستفيض الامن فينصر البلدان ، لا تنصرف قطرة ماء الا لمكانها ، ولا تشرد شاه فتضيح في يد سارق أو في انياب دئب وان تظهر المودة من الرعية لراعيها ، ولا يكون ذلك الا اذا ادى الراعي حقها قبل

---

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٣

(٢) ابن الجوزي ص ٧١

(٣) ابن الجوزي ص ٨٥

ان تؤدى حقه ، وتحس بالسعادة تصل الى أبوابها دون قلق أو شكوى . وفى هذه الثالثة :  
الامن ، ومودة الرعية ، والثناء على الراعى ، قرّة عيون الخلفاء . (١)

وكان عمر يحذر الحذر كله ان يأخذ شيئا من بيت المال ، او يختلط بماله شئ ،  
منه ، او ينتفع بأمر من أمور المسلمين لاحق له فيه . بحث عمارة بن نسي مع أبى شييبان  
سلتين من الرطب — اول ما ظهر الرطب — الى عمر . ولكن أبى شييبان حملها على دواب  
البريد . فلما علم عمر بذلك ، وفرض ان يأكل منها ، وكلفه ان يبيعها . فباعها ابو شييبان لرجل  
من بنى مروان بثمانية عشر درهما ، أودعها بيت المال . (٢)

وتتوالى الروايات فى المصادر التاريخية ، وهى كثيرة ، وكلها تصور حرص عمر على  
المال العام . فكان عمر يقسم تفاحا من تفاح النقي ، فجاء ابن صغير له فأخذ تفاحا ،  
فانتزعها عمر من فمه ، فألمه انتزاعها ، وذهب الى أمه باكيًا ، فأرسلت الى السوق تشتري  
له تفاحا . فلما رجع عمر شم رائحة التفاح ، فسأل : " يا فاطمة ، هل أتيت شيئا من  
هذا النقي ؟ " فأجابت بالنفي . فقال عمر : " والله لقد انتزعتها من أبنى ، وكأنما  
انتزعتها من قلبى . . . لكنى كرهت أن أضيع نفسى مع الله عز وجل بتفاحة من نفسى  
المسلمين . . . " (٣)

---

(١) سيد الأهل : الخليفة الزاهد ص ١٠١

(٢) الشرياصى : خلاص الراشدين ص ٩٦

(٣) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٩٠

وحدث مرة ان مولى من موالى عمر حمل رجلا على خيل البريد بغير اذنه ، فدعا  
عمر ولامه ، وقال له : لا تبرح حتى تقوم وتضعه فى بيت المال .<sup>(١)</sup>

كان عمر بن عبد العزيز كالنجم الذى لمع فجأة ثم أنطفأ ، فلم يستمر هذا العهد  
الذهبي غير نحو ثلاثين شهرا . وقد كانت نهاية حياة عمر ، نتيجة تلك السياسة الحازمة  
التي اتبعتها نحو الامراء الامويين وانصارهم . فتذكر بعض الروايات ان عمر مات مسموما  
فى دير سمعان ، حيث قضى عشرين يوما يشكو آثار السم . وتذكر بعض الروايات<sup>(٢)</sup>  
أيضا ان الذى دس له السم هو خادم يزيد بن عبد الملك ، وقد اعترف الخادم بذلك .  
والمؤرخان ابن كثير<sup>(٣)</sup> والسيوطي<sup>(٤)</sup> يؤكدان ان قصة موت عمر بالسم ، وينسب السيوطي  
هذا الاغتيال الى سخط الامويين على عمر لسياسته نحوهم فى مصادرة أموالهم وأموالكمهم  
التي أخذوها من قبل بغير حق . ومن الطريف ان عمر ظل حتى اللحظة الاخيرة من حياته  
حريصا على أموال الدولة فيروى السيوطي ان عمر دعا الفلام الذى دس له السم ، وسأله  
عما حمله على ذلك ، فأجاب الفلام : ألف دينار أعطيتها ، وأن اعترق . فأخذ عمر منه  
الدنانير الالف وردّها الى بيت المال وعفا عن الفلام .<sup>(٥)</sup>

---

(١) ابو يوسف : الخراج ص ١٨٥  
(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٤ ص ٤٤٠  
(٣) البداية والنهاية ج ٩ ص ٨٨ او ما بعدها  
(٤) تاريخ الخلفاء ص ١٦٣  
(٥) المصدر السابق .



وخير من يحكم على شخصية عمر وصفاته ، زوجته فاطمة بنت عبد الملك ، فروى أبو يوسف . (١) : " لما استخلف عمر بن عبد العزيز مكث شهرين مقبلا على حزنه لما ابتلى به من أمور الناس . ثم أخذ في النظر في أمورهم ورد المظالم الى أهلها حتى كان همه بالناس أشد من همه بأمر نفسه ، فعمل بذلك حتى انقضى أجله رحمه الله تعالى . فلما هلك جاء الفقهاء الى زوجته يعزونها ويذكرون عظم المصيبة التي أصيب بها أهل الاسلام لموته .

" فقالوا لها أخبرينا عنه ، فان أعلم الناس بالرجل أهله ، فقالت : والله ما كان بأكثركم صلاة ولا صياما ، ولكن والله ما رأيت عبد الله كان أشدا خوفا لله من عمر . كان رحمه الله قد فرع بدنه ونفسه للناس ، فكان يقعد لحوائجهم يومه ، فاذا أمسى — وعليه بقية من حوائجهم — وصلة بليته . فأمسى يوما وقد فرغ من حوائجهم ، فدعا بمصباح قد كان يستصبح به من ماله ، ثم صلى ركعتين ثم أقصى وأغما يده تحت ذقنه تسيل دموعه على خده ، فلم يزل كذلك حتى يرق الفجر فأصبح صائما .

"قلت له : يا أمير المؤمنين ، لشيء ما كان منك ما رأيت الليلة ؟ قال : أجل ، انى قد وجدتني وليت أمر هذه الامة أسودها واحمرها فذكرت القريب القانع الضائع ،

---

(١) أبو يوسف : الخراج ص ١٧ — ١٨

والفقير المحتاج ، والاسير المقهور ، واشباههم في اطراف الارض ، فعلمت ان الله تعالى  
سألني عنهم ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم حجيجي فيهم ، فخفت ان لا يثبت لي عند  
الله عذر ، ولا يقوم لي مع محمد صلى الله عليه وسلم حجة ، فخفت على نفسي ، ووالله  
ان كان عمليكون في المكان الذي ينتهي اليه سرور الرجل مع أهله فيذكر الشيء من  
أمر الله فيضطرب كما يضطرب المصفور قد وقع في الماء . ثم يرتفع بكأوه حتى أطرح اللحاف  
عني وعنه ، رحمة له . ثم قالت : والله لو ددت لو كان بيننا وبين هذه الامارة بعد ما بين  
المشرقيين .

---

## ٢ - سياسة التقشف الاقتصادي

علم عمر بن عبد العزيز الناس جميعا كيف يكون ( الايمان ) دافعا حضاريا فهو الذى يشد القيم المبعثرة ، والارادات المختلفة الاتجاهات ، ويحدد الاهداف ، ويضع لها الاطارات ، مما يدفع الانسان والجماعات ، فى نطاق الحضارة الواحدة ، الى التقدم نحو آفاق جديدة ، ونحو مكاسب اقتصادية ، وعن طريق استغلال امكانيات الزمان والمكان الى أقصى مدى ممكن .

وقد أحدث عمر انقلابا فى حياة العالم الاسلامى ، فى فترة قصيرة ، فى جميع ميادين العمل : السياسة ، والاجتماع ، والاقتصاد ، والادارة ، والحرب ، والتربية . وواجه الانقلاب ركام عقود طويلة من السنين ، كانت قد انحرفت - قبل عمر - بكثير من المفاهيم والقيم والمبادئ الاسلامية . وأحدث تباعدا بين عقيدة الاسلام وشريعته وبين واقع الناس - فوجد عمر بين الشريعة والواقع ، وجعل اجهزة الدولة تعيش نفسى الاطارات التى رسمها القرآن والسنة . وأصبح برنامج عمر هو البرنامج الاسلامى .<sup>(١)</sup>

وكان لابد بعد فترات الاسراف التى شهدتها العصر الاموى ، قبل خلافة عمر بن عبد العزيز ، من رد فعل ، فتبدأ فترة تقشف اقتصادى ، تحفظ اموال الدولة - من

---

(١) عماد الدين خليل : ملاحق الانقلاب الاسلامى ص ٢٠١

الضياع ، ولتنفق فى مشروعات اصلاحية ، وقد اعلن عمر هذه السياسة منذ اللحظة الاولى لتوليته الخلافة ، حين رفض امطاء الخيول المطهمة ، وأمر بحل السراقات الفخمة المفروشة بالسجاجيد الفاخرة ، وأمر بضم أثمانها الى خزنة الدولة . ( ١ )

وظهر عمر للناس لأول مرة بثوب بسيط ثمنه ثمانية دراهم . وباع كل ما عنده من متاع ودواب ولباس وعطور ، وودف بالاموال الى بيت المال . ( ٢ )

وبدا عمر سياسة التشقق فى بيته ، فضيق على زوجته واولاده . فقد ضم حلى الزوجة الى بيت المال . ( ٣ ) وأرسلت ابنة لعمر بلؤلؤة وطلبت من أبيها لؤلؤة مثلها لتجمل بهما قرطا تضمه فى اذنها ، فأرسل لها بجمرتين وقال لها : ان استطعت ان تجملى هاتين الجمرتين فى أذنك بعثت اليك بأخت لها . وضاق بعضى خدم عمر بتقشفه ، فقد سأل عمر غلامه ( درهم ) : ما يقول الناس يادهم ؟ فأجاب : وما يقولون ؟ الناس كلهم بخير ، وأنا وأنت بشر . فقال عمر : وكيف ذلك ؟ فقال درهم : انى عهدتك قبل الخلافة عطرا لباسا فاره المركب طيب الطعام ، فلما وليت رجوت ان أستريح وأتخلص فزاد على شدة ، وصرت أنت فى بلاء . فقال عمر : فأنت حمر ، فاذهب عنى ودعنى وما أنا فيه حتى يجعل الله لى منه فرجا . ( ٥ )

( ١ ) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٦٨

( ٢ ) ابن الجوزى ص ٩٨

( ٣ ) ابن عبد الحكم ص ٦١

( ٤ ) المصدر السابق ص ١٦٣

( ٥ ) ابن عبد ربه : المقدر الفريد ج ٤ ص ٤٣٥

وقد يعجب القارىء للمصادر التاريخية بحثا عن سيرة عمر بن عبد العزيز ، حين يرى أخبارا كثيرا تدل على جوده وكرمه وسخائه ، وأخبارا أخرى عديدة تدل على اقتصاده وتقتيره وتشدده . وربما عز على القارىء أن يهضم هذه الروايات كلها التى تبدو كالمتناقضة ، وربما تعجل فوصف الخليفة العادل بأنه من أصحاب الشخصية المزدوجة . ولكن المتابع لسيرة عمر ، يستطيع أن يجمع بين هذه الروايات التاريخية فى نظام ، دون أن يجد خلالها تناقرا أو تناقضا ، أو ازداجا فى شخصية عمر .

كان تشدد عمر على نفسه وبيته ، ولم يتجاوزہ غالبا الى غيره . فبينما نراه آخذا بنفسه وأسرته بالتقشف والزهد ، نراه يرفق بالرعية ، ويوسع لها ، ويحمل اليها حقوقها فى امانة واحسان . وإذا كان يراجع ، أو يحاسب ، أو يعاقب على اسراف ، فلم يكن ذلك منه شحا ، ولكتمها شرعة الفصد التى دعا اليها الاسلام فى الخفى والفقر ، واسلوب العدل .

ومن الضرورى التفرقة ما بين الاقتصاد والبخل ، فالاقتصاد تدبير وتوفير ، والبخل شح وتقتير ، والاقتصاد عدل وانصاف ، والبخل ظلم واعتساف . ويظهر الاقتصاد بصورة أوضح اذا لم يكن فى المال الشخصى ، بل فى مال الخير . وإذا كان المرء فى ماله كريما جوادا ، وفى مال الناس مقتصدا مدبرا . وكذلك كان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه . (١)

---

(١) الشراعى : خامس الراشدين ص ١٤٤

ولم ير عمر من وظيفة بيت المال ان يحفظ الدنانير حتى تتجمد فيه ، بل رأى انه لا ضرورة لان تختزن فيه شئ ، اذا كانت حاجات الرعية تستنفذ المال كله . ولذا رفض عمر ما يسميه الناس اليوم بالمال الاحتياطي ، ورأى ان يوظف المال كله فى منافع الناس ، وقد أقلق العمال وأصحاب بيوت المال الخليفة عمر ، وأقلقهم ، هم كانوا يرون أنه لابد من مال يخزن وهو يرى أنه لا يخزن شئ .

كتب أحد عمال عمر اليه يقول : انك اضرت بيت المال . فكتب اليه عمر : اعط ما فيه ، فاذا لم يبق شئ ، فامأله وحالا . . (١)

ولم يكن عمر يدعو الناس الى الاسراف ، فالاسراف أمر غير قضا ، حاجات ذوى الحقوق اما العمال فكانوا هم المسرفون ، فكانوا يفرقون ما يجمع فى التافه والرخيص ، فسرأى عمر ان يقتصدوا فى الانفاق حتى لا يضيق ذرعا بحاجات الناس . (٢)

ولم يكن عمر مقترا على عماله وولاته ، بل رفع أجورهم الى ثلاثمائة دينار سنوياً ليحقق لهم الكفاية ويغنيهم عن الخيانة ، بينما فرض لنفسه درهمين يومياً لنفقته الخاصة . (٣)

لم يكتف عمر بفرض سياسة التقشف على عماله وموظفيه ، بل اتخذ اجراءات عديدة كضمانات عملية ، لالزام الموظفين حدود وظائفهم كخدام مسئولين أمام الخليفة والامة ،

---

(١) ابن الجوزى ص ٨٥

(٢) سيد الاهل : الخليفة الزاهد ص ١٥٥

(٣) ابن عبد الحكم ص ٤٦

وعدم استغلال مراكزهم لكل من شأنه ان يحقق مصلحة مالية خاصة ويلحق بالامنة ظلما واستغلالا .

وأوقف عمر بشكل جاد أعمال الابتزاز التي كان يتعرض لها بيت مال المسلمين ابتداءً من الخليفة وحتى صفار الجبة ، وما بين هذين من حشد هائل من المال والموظفين . أما الآن فقد غدا بيت المال ، سواء في المركز او في الولايات ، محاطا بأيد امينة لتحرسه وتسهر عليه ، وتقطع أيدي المختلسين . وهذا الحرص ، وهذه الحماية نجحت في تحقيق الموازنة بين إيرادات الدولة ومصروفاتها . ( ١ )

ولم تؤد سياسة التقشف الى فقر أو ضعف ، بل أدت الى توفير الاموال لسد حاجات الشعب ، حتى لم يعد هناك من يستحق الزكاة أو يقبلها ، وتولدت مشكلة جديدة للأغنياء وأصحاب الاموال : أين يخرجون زكاتهم ؟ ( ٢ )

قال يحيى بن سعيد عامل الصدقات في افريقية : " بمشني عمر بن عبد العزيز على صدقات افريقية فاقتضيتها وطلبت فقراء لهم فلم نجد بها فقيرا ، ولم نجد من يأخذها مني ، فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس ، فاشتريت بها رقابا فأعتقتهم ، وولاهم المسلمين " . ( ٣ )

---

( ١ ) عماد الدين خلال : ملاحم الانقلاب الاسلامي ص ١٣٩

( ٢ ) الندوي : رجال الشكر والدعوة ص ٤٤٩

( ٣ ) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٩

ونهى عمر من الاسراف فى كل الامور ، صغيرها قبل كبيرها . فأصل النار  
من مستنصر الشرر ، فقد كتب عمر الى عدى بن أرطاة ينهاه عن الاسراف فى  
ماء الوضوء . وأمر بالاعتصاف — كما ذكرنا — فى أوراق الكتابة .

وأشد عمر فى معاملة الولاة والعمال اذا انحرفوا فى مسائل المال . فقد  
حبس والى العراق يزيد بن المهلب حبس دین حتى يقضى ما عليه ، وذلك ان يزيد  
لم يستطع دفع الخمس من غنائم اقليم بحر الخزر ، وكانت ادارة الامصار فى الدولة  
الاسلامية تتلخص فى تنظيم الناحية المالية فيها ، وكان اصلاح هذه الناحية أول  
ما اتجهت اليه عمة عمر بن عبد العزيز . (١)

وعمر بن عبد العزيز الذى يشدد على نفسه التشديد الذى عرفناه ، هو الذى  
يحرص كل الحرص على ان يصل الى المسلمين جميع حقوقهم ، لا يتأخر منها حق عن  
موعد ، ولا ينقص منها حق . وهذا الحرص يدل على ان عمر لم يتبع سياسة التقدير أو  
التضييق . ولكنها سياسة حسن التصرف ، مع حكمة التدبير ، وعدم التقصير . (٢)

ولكن سياسة التقشف والاعتصاف فى النفقات امتدت الى ناحية لم تكن نتوقعها ،  
بل نتعجب لها ، كمؤرخين محايدین . فقد كان عمر كارها للبناء ، فكان يقول دائما :  
" انى أعطيت الله عهدا ان وليت هذا الامر ألا اضح لبننة على لبننة ، ولا آجرة على  
آجرة " . (٣) وكان لعمر فى بيته سلم تهديم ، وخاف بعض من فى المنزل على عمر

(١) فلهوزن : الدولة العربية ص ٢٦٣

(٢) الشرياصى : خامس الراشدين ص ١٤٧

(٣) ابن الجوزى ص ١٤٣



ان يسقط اذا استخدم السلم ، فأصلحه بطين ، فلما رأى عمر ذلك غضب وأمره بان ينزع الطين .

وحين سأل عامل المدينة عمر الاذن ببناء مسجد بنى عدى بن النجار ، وأخوال الرسول عليه الصلاة والسلام ، لانه تهديم ، كتب اليه عمر : " وجاء فى كتابك تذكر ان بنى عدى بن النجار ، أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنهم هم مسجد هم . وقد كنت أحب ان أخير من الدنيا لم أضع حجرا على حجر ولا لبنة على لبنة ، فاذا أتاك كتابى هذا فابنه لهم بناء قاصدا ، والسلام عليك " . (١) اى لولا أنه مسجد ، وانه لأخوال الرسول الكريم ، لما أذن عمر بالبناء . (٢)

وظل عمر بن عبد العزيز متمسكا بسياسة التقشف والزهد حتى الرق الاخير ، فقد قدم مسلمة بن عبد الملك ، على عمر وهو على فراش مرضه الاخير ، فوجده فراشا من ليف وتحتة وسادة من أديم ، تغير لونهما . وأفاق عمر ، فرأى مسلمة ، فأوصاه بان يلى غلسة ويمشى معه الى قبره . ورأى مسلمة الفرصة سانحة ليوصى عمر بأولاده فيضمن لهم حياة كريمة بعد وفاة عمر ، وطلب مسلمة ان يصبح اولاد عمر فى وصايته او فى وصاية احد أقاربه . وسكت عمر . فقال مسلمة : ألا توصى يا أمير المؤمنين ؟

(١) المصدر السابق .

(٢) الشراصى : خامس الراشدين ص ٢١٤

قال عمر : فيم أوصى ؟ فوالله مالى من مال • فقال مسلمة : هذه  
مائة ألف دينار • فمر فيها بما أحببت • قال عمر : أو تقبل يا مسلمة ؟ قال : نعم  
فقال عمر : ترد على من أخذت منه ظلما • ثم غاب عمر عن وعيه • فبكى مسلمة • وقال :  
يرحمك الله • لقد ألت منا قلوبا قاسية • وأبقيت لنا من الصالحين ذكرا •  
(١)

وأفاق عمر لحظة وقال لمسلمة : أبا لفقر تخوفنى يا مسلمة ؟ أما قولك انى أفرغت  
أفواه ولدى من هذا المال • فوالله انى ما منعتهم حقا هو لهم • وأما قولك لو أصبت  
بهم فان ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين • وان بنى أحد رجلين :  
أما رجل يتقى الله فيجعل الله له رزقا • وأما رجل مكب على المعاصى فانى لم أكن  
لاقويه على معصية الله •

ونظر عمر الى أولاده وقال : بنفسى فتية تركتهم ولا مال لهم • أى بنى • لقد  
ترككم وتركتم لكم خيرا كثيرا • لا تمرون بأحد من المسلمين وأهل ذمتكم الا رأوا لكم  
حقا • يا بنى • ان اباكم مثل بين امرين : اما ان تستغنوا ويدخل أبوك النار • أو تفتقروا  
ويدخل أبوك الجنة • فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب • قوموا يعضكم  
الله • قوموا يرزقكم الله •  
(٢)

---

(١) المبرد : الكامل ج ١ ص ١٤٠

(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٢٨

### ٣- عدالة الضرائب والنظم المالية

#### وحريّة التجارة

(١)

كلف الخليفة المباسي هارون الرشيد قاضي القضاء أبا يوسف ، الفقيه الكبير ، بوضع كتاب يصبح دستوراً مالياً واقتصادياً للدولة . والدارس لهذا الكتاب ، يجد أن أبا يوسف يبدى إعجابه الشديد بالنظم المالية والضرائب التي اتبعها عمر بن عبد العزيز خلال خلافته القصيرة ، ولذا أبرز أبو يوسف نظم عمر بن عبد العزيز وأشاد بها ، وأشار على الخليفة هارون الرشيد باتباعها .

وقد عمل عمر بن عبد العزيز على اقرار سياسة ضريبية عادلة ، تحقق للدولة مواردها ، ولا توقع أى ارهاق على الرعايا . فهي سياسة العدل والرفق في وقست واحد . ولما كانت الأرض والزراعة المصدر الأول للضرائب ، فقد عمل عمر على وضع أسس واضحة ثابتة عادلة ، فاهتم بالاصلاح والتعمير ، واهياء الاراضى ، واقامة المشروعات . ورأى أن تسبق هذه الامور يجب كلها ان تسبق ( الجباية ) .

وتتضح سياسة عمر في تحديد الخراج ، وفي التخفيف عن الرعايا في الضرائب في رسالة بحث بها الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بالمراق وجاء فيها : " انظر الارض ولا تحمل خراباً على عامر ، ولا عامراً على خراب ، وأنظر الخراب فان أطلق

---

(١) وهو أبرز تلاميذ الامام ابي حنيفة النعمان .

شيئا ، فخذ منه ما أطلق وأصلحه حتى يعمر ، ولا تأخذ من عامر لا يمتثل شيئا ، وما أجذب من العامر من الخراج فخذ في رفق وتسكين لأهل الأرض • وأمر أن لا تأخذ في الخراج إلا وزن سبعة ليس فيها ثبر ، ولا أجور الضرابين ، ولا اذابة الفضة ، ولا هدية النيروز والمهرجان •<sup>(١)</sup> ولا ثمن الصحف ، ولا أجور الفيح •<sup>(٢)</sup> ولا أجور البيوت ، ولا دراهم النكاح ، ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض •<sup>(٣)</sup>

وكتب عمر إلى أحد عماله يطلب منه أن يعتمد على ما لديه من فائض في تقديم سلف نقدية لمزارعي أهل الذمة ، كي يتقوا على أعمالهم الزراعية •<sup>(٤)</sup> وكتب عمر إلى واليه بالكوفة رسالة تنبض بالمطف على الفلاحين وتبهر عن رغبته في تخفيف الضرائب عن كاهلهم •<sup>(٥)</sup> ولا شك أنه كان في تخفيف أعباء الفلاحين تشجيع لهم على الإقبال على الزراعة وزيادة الانتاج • ونهى عمر ولاته عن تسخير الفلاحين في أعمال الأرض •<sup>(٦)</sup> وشجع عطف عمر ! أهل البصرة على الكتابة إليه يشكون إليه ملوحة أنهارهم •<sup>(٧)</sup> وطلبوا منه حفر نهر جديد وهددوا برحيلهم عن البصرة ، فكتب عمر إلى عامله عدي بن أرطاة

(١) النيروز أول الربيع ، والمهرجان أول الشتاء •

(٢) الفيح : جمع فج وهو رسول البريد •

(٣) أبو يوسف : الخراج ص ٩٣

(٤) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٨

(٥) المصدر السابق ص ٩٩ - ١٠٠

(٦) اليعقوبي ج ٣ ص ٤٨

(٧) كانت منطقة البصرة منطقة ( بطائح ) أي مستنقعات تؤدي إلى ملوحة الأرض

وضعها •

يأمره بتحقيق رغبتهم فحفر نهر عدى <sup>(١)</sup> ، وأمر عمر بنى امية بأن يقيموا فى ضياعهم  
ويعملوا على اصلاحها . <sup>(٢)</sup>

أعطى عمر ضمانات للمزارعين ، وأمر بحدم ارهاقهم بضرائب خارجية ثابتة على  
أعناقهم ، سواء أكان المحصول جيداً أم رديئاً . ومن اليسير ان نتنبأ بنتائج سياسة  
كهنه تؤكد على تنشيط الزراعة واستغلال الطاقات الانتاجية ، وتطمئن المزارعين .  
فلا ريب ان ضريبة الخراج ، التى نمت بنمو النشاط الزراعى ، كانت تشكل المورد الرئيسى  
الآخر للدولة ، الى جانب الزكاة ، خاصة بعد ان أوقف عمر الغزو وما يعقبه من غنائم ،  
ومعد ان ألغى ضريبة الجزية عن اعناق المسلمين من غير العرب ، وعن أولئك الذين  
يعلنون اسلامهم حديثاً . <sup>(٣)</sup>

ولذا ألقى عمر ثقلاً كبيراً على ضريبة الخراج ، ولم يتهاوى بأى شكل من الاشكال  
ازاء أولئك الذين تخلوا عن دفع هذه الضريبة من بنى امية أو المقربين اليهم خاصة  
ومن العرب عامة . وأعلن عمر أن ارض الخراج هى فى الاصل ملك مشترك بين المسلمين ،  
ولكنها تركت بأيدي المخلوبين لقاء مبلغ يدفعونه للامة الاسلامية وهو الخراج . ولذلك  
فلا يجوز لاي شخص ابطال هذا الايجار ، فاذا أصبحت الارض الخراجية فى ملك مسلم

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣٧٧  
(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٦٤-١٦٥  
(٣) عماد الدين خليل : ملاحم الانقلاب الاسلامى ص ١٣٦

فعليه ان يؤدي عنها حق الامة وهو الخراج . واذا أسلم فمضى اغنى من الجزية ، وله أمواله المنقولة ، أما أرضه فاما ان يدفع عنها الخراج ، أو يتركها لغيره فيدفع زارعها الجديد الخراج عنها ، أما هو فيستطيع الذهاب أنى شاء . (١)

ولنترك الخراج والأرض الخراجية للفصل القادم . ولنتحدث عن اهتمام عمر بوسائل جباية الخراج ، فقد ذكر أبو يوسف (٢) ان عدي بن أرطاة ، عامل العراق ، كتب الى عمر بن عبد العزيز : " أما بعد ، فان أناسا قبلنا لا يؤدون ما عليهم من الخراج حتى يصمم شئ من العذاب " . فكتب اليه عمر : " أما بعد ، فالمجبب كل المجبب من استئذائك اياى فى عذاب البشر كأنى جنة لك من عذاب الله ، وكان رضى ينجيك من سخط الله . واذا أتاك كتابى هذا فمن أعطاك ما قبله عفوا والا فأحلفه فوالله لان يلقوا الله بجناياتهم أحب الى من ألقاه بعذابهم . والسلام " .

وكان عمر يعوئ الفلاحين عن خسارتهم ، فذكر أبو يوسف (٣) ايضا ان رجلا أتى عمر فقال : يا أمير المؤمنين زرعت زرا فمربه جيش من أهل الشام فأفسدوه . فعوضه عمر عشرة آلاف .

---

(١) عبد العزيز الدوري : دراسات فى تاريخ العراق الاقتصادى ص ٣٣

(٢) أبو يوسف : الخراج ص ١٢٩

(٣) المصدر السابق .

وأعلن عمر دائما ان ( الهداية ) قبل ( الجباية ) ، وتمنى ان يمتنع أهل  
الذمة جميعهم الاسلام ، مهما اثر هذا فى موارد الدولة ، مما تجمعه من جزية .  
فكتب عمر الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بالعراق : " كتبت الى تسألنى عن أناس  
من الحيرة يسلمون من اليهود والنصارى والمجوس وعليهم جزية عظيمة وتستأذننى فسى  
أخذ الجزية منهم ، وان الله جل ثناؤه بحث محمدا داعيا الى الاسلام ولم يبعثه  
جائبا ، فمن أسلم من أهل تلك الممل فعلية فى ماله الصدقة ولا جزية عليه ، وميراثه  
لذوى رحمه اذا كان منهم يتوارثون كما يتوارث أهل الاسلام ، وان لم يكن له وارث ،  
فميراثه فى بيت مال المسلمين الذى يقسم بين المسلمين . وما أحدث من حدث ففسى  
مال الله الذى يقسم بين المسلمين يعقل عنه منه . والسلام " ( ١ )

(۶)

أبدى المستشرق (فلهوزن) إعجابه بنظم عمر المالية ، وخاصة نظم الضرائب ،  
والعطاء . فقد قرن عمر بين الواجبات الضريبية ، والحقوق المالية للأفراد عند الدولة ،  
وأبدى (فلهوزن) إعجابه حين قرر عمر سياسة ثابتة للعطاء ، لا تتأثر بالاهــــــــــــــــــــــــــــــــــوا  
السياسية ، وتحقق المساواة بين رعايا الدولة من عرب وموالي ، في كل أقاليم الدولة .

قال فلهوزن : " أما فيما يتعلق بأعطيات المقاتلة من المسلمين في مدن المعسكرات وفي الحاميات الثغور ، فقد كانت الحكومة تسير في اول الامر على مشيئتها الخاصة ، فكانت تسقط من ديوان المقاتلة من تشاء وتفرغ فيه لمن تشاء ، وكانت تزيد في الاعطيات

(١) أبو يوسف : الخراج ص ١٤٢

(٢) فلمهوزن : الدولة العربية ٢٨٨

أو تنقصها كما تشاء ، وكان هذا دائما سببا للشكوى ، وذلك ان اموال الفسى ،  
التي تجرى عنها الاعطيات انما هى بحسب قانون الفنائم لورثة جنود الفتح وحدثهم  
ولم يسكت لهم صوت قط فى المطالبة بان يعطى اليهم كل مال الفى .

” ووسع عمر دائرة اصحاب الاعطيات ، حتى صارت أكثر شمولا لغير العرب  
مما كانت عليه من قبل ، وهو لم يقتصر على اغناء الموالى الذين كانوا يحاربون مع العرب  
فى خراسان من الخراج ، بل جعل لهم أرزاقا وأعطيات ، وكتب عمر لواليه بخراسان بعد  
بارسال اموال ان لم تكف فى ذلك اموال الخراج فى خراسان ، ولكن لم تدع الحاجة  
الى ذلك ” .

وفر عمر أموالا طائلة للخزانة العامة ، كانت الحكومات السابقة تستنفذها فى القضاء  
على الفتن والمنازعات الداخلية والحروب . فقد أوقف عمر الصراع مع الروم ، ووسع الخراج ،  
وسمى الطويين . ونجح عمر فى توحيد الأمة الاسلامية بمختلف احزابها ، وأبعد ها  
عن استنفاد طاقتها فى الصراع الداخلى ، ولذا نجح عمر فى تحقيق ظاهرة التوازن  
والمقابلة المالية فى كل ناحية من نواحي السياسة الاقتصادية . (١)

---

(١) عماد الدين خليل : ملاحق الانقلاب الاسلامى ص ١٣٩



واهتم عمر باختيار العمال الذين يقومون بالشئون المالية ، وعاقب المنحرفين —  
اشد عقاب ، فاخفت الاختلاسات والانحرافات ، وأعاد عمر تنظيم بيوت الاموال ، منما  
للتداخل والتضارب ، فجعل لكل من الخمس والصدقة والفق ، بيوت اموال خاصة  
( ١ )  
بها ، منفصلة عن بعضها .

( ٢ )  
وعلق ( فلمهوزن ) على هذه السياسة فقال : اذا كان عمر قد أسقط الجزية  
عن د خل فى الاسلام من الشعوب والممالك ، فانه انما اراد بذلك ان يتفادى شئ الحروب  
لمجرد الفنائم ، ولم يفرط فى شىء يدخل فى بيت مال الدولة ، لان السمك لم يكن  
قد وقع بعد فى الشبكة ، أما فى الولايات التى كانت قد افتحت قبل عهده بزمان طويل ،  
وتقررت جزيتهما وخراجها طبقا لسقانون الفتح ، أعنى ارض السواد وارض مصر ، فسان  
عمر بن عبد العزيز تمسك بالقانون المأثور الذى كان قد جرى العمل به ، وقاوم انتقاص  
ارض الدولة ودخلها ، كما انه حاول ان يتفادى الضرر الذى من شأنه ان يلحق  
بأموال الدولة بعد اسقاط الجزية عن جميع المسلمين . ولا شك أيضا فى انه اذا منع من  
قبول الولاة للهدايا والمطايا بما فيها من اساءة استعمال السلطة ، انما نال من  
العمال وحدهم ، وهى الذين كانوا يستولون على تلك الهدايا ، واقصى ما يمكن ان يؤخذ  
عليه ، هو انه كان يكثر من القاء الاعباء على بيت المال بسبب انواع المساعدات والبر  
التي قدمها للجميع أو كان يود لو استطاع تقديمها لهم . أما فيما يتعلق بنفسه

---

( ١ ) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٩٥

( ٢ ) فلمهوزن : الدولة العربية ص ٢٩٥ — ٢٩٦

فانه لم يستعمل شيئا من أموال الدولة ولا جمع منها الكنوز ، ولا هو أسرف فيها أيضا في حملات حربية على القسطنطينية ، وكان في ذلك مخالفا لسلفه كل المخالفة . وكذلك عني عمر بالحيلولة بين الولاة وبين ان يكون همهم الاول من مناصبهم جمع الاموال لانفسهم ، والاعل بان ذلك عوض النفقات التي اقتضتها اصلاحاته ضعفين .

كان الحجاج بن يوسف الثقفي أول من أبقى الجزية على من أسلم ، فقد لاحظ ان عددا كبيرا من أهل الذمة قد اعتنق الاسلام وأسرعوا الى سكنى المدن ، ولذا أمر بجمع اغنائهم من الجزية وأعادتهم الى قراهم بالقوة .<sup>(١)</sup> مخالفا بذلك سياسة كل الخلفاء الراشدين والامويين .

أمر عمر بن عبد العزيز برفع الجزية عن أسلم .<sup>(٢)</sup> واختلف المؤرخون المحدثون في تقدير ما فعله عمر . فيرى فيليب حتى<sup>(٣)</sup> ان سياسة عمر قد أضرت ببيت المال ضررا كبيرا ، ويرى فان فلوتن<sup>(٤)</sup> ان اصلاحات عمر ناقصة فقد ايقظت امالا لم تستطع الحكومة تنفيذها . أما دوزي<sup>(٥)</sup> فيرى ان سياسة عمر قد أدت الى ارهاق بيت المال ، كما دفعت بكثير من أهل الذمة الى التظاهر باعتناق الاسلام دون ايمان بها . فرارا من الجزية ، ثم يدافع دوزي عن عمر فيقول انه كان مسلما ورعا تقيا أشرف نصرة الاسلام على أى شىء آخر .

- 
- (١) الطبرى ج ٨ ص ٣٥  
 (٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٩٥  
 (٣) حتى : تاريخ العرب ج ٢ ص ٢٨٥  
 (٤) فان فلوتن : السيادة العربية ص ٥٨  
 (٥) دوزي : نظرات في تاريخ الاسلام ص ٣٢١

ويبدو ان زيف التاريخ على عمر فيما يتصل بأهل الذمة جاء من أنه نزع قبط مصر عن كورها ، وكانت في ايديهم حصة الموارث • ولما كانت حصة الموارث عملا يتصل بالدين فقد نزعها عمر عنهم واستعمل عليها المسلمين ، لانه عمل أشبه بعمل القاضي منه بحمل المحاسب • ولما لم يكن هناك تشريع للموارث بين النصارى ، فقد جعلهم يتوارثون كما يتوارث أهل الاسلام . ( ١ )

حدد الله وجوه صرف الصدقات في الآية الكريمة : ( انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والفارمين وفي سبيل الله وابن السبيل ) ، واذا انعدم وجود واحد من هذه الوجوه الشمانية قسمت الصدقات على باقى الفئات الاخرى • عدا سهم سبيل الله فلا بد ان ينقل الى الجند حيث نزلوا من الثغور • ويجب ان تصرف صدقة كل ناحية في أهلها ولا يجوز نقل صدقات بلد الى غيره • ولا يجوز اعطاء صدقة الى كافر ، ولا يجوز دفعها الى بنى هاشم وسنى عبد المطلب ، كما لا يجوز اعطاء صدقة الى عبد أو مدبر ولا أم ولد ولا الى واحد له من يموله . ( ٢ )

احترم الخلفاء الراشدون هذه القواعد ، اما الخلفاء الامويون فلم يهتموا باتباعها بل امتدت ايديهم وايدى ولائهم بالعراق الى اموال الصدقات ، فكانوا يضحون الصلات

---

( ١ ) سيد الاهل : الخليفة الزاهد ص ١٧٦

( ٢ ) ابو يوسف : الخراج ص ٤٦

( ٣ ) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١١٩

وجوائز الشعراء منها زاعمين ان الشعراء من فقراء المسلمين<sup>(١)</sup> وكان عمر بن عبد العزيز هو الخليفة الاموي الوحيد الذي اهتم بصرف الصدقات في وجوها ، فقد كتب الى عدي ابن اراطاه عامله بالعراق يذكره بآية الصدقات ويأمره بقضاء ديون الفارمين<sup>(٢)</sup> وأمر عمر عامل صدقات العراق بأن تكون صدقات نصارى بني تغلب فيهم<sup>(٣)</sup> . وكان المسجونون يخرجون الى طرق العراق بقيودهم ليتصدق الناس عليهم ، فأمر عامله ان يكون طعامهم من الصدقات<sup>(٤)</sup> .

كان لمعاملة الناس عطاؤهم كما كان لهم أرزاقهم ، وكان المطاء كل سنة والا رزاق كل شهر<sup>(٥)</sup> . وسأوى عمر بن الخطاب بين العرب والموالي في المطاء<sup>(٦)</sup> . وفرض معاوية العطاء للموالي فجعله خمسة عشر درهما ، وجعلها عبد الملك بن مروان عشرين درهما ، وزادها سليمان الى خمس وعشرين درهما<sup>(٧)</sup> . ونقص عطاء الموالي كثيرا خلال حكم الحجاج الثقفي . فقد ذكر أحد الموالي لعمر بن عبد العزيز ان بالعراق عشرين ألفا من الموالي يفزون بلا عطاء ولا رزق<sup>(٨)</sup> . وكان بنو أمية يحرمون غالبا اهل العراق من المطاء عقابا لهم لقيامهم بحركات المعارضة . وفرض عمر بن عبد العزيز المطاء للموالي<sup>(٩)</sup> .

(١) الخريوطي : تاريخ العراق ص ٤٠٩

(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٧١

(٣) ابن الجوزي : عمر بن عبد العزيز ص ٥٢

(٤) أبو يوسف : الخراج ص ٨٨-٨٩ (٧) ابن عبد ربه : المقد الفريد ج ٢ ص ٤٠٠

(٥) الفخري ص ٩٨ (٨) الطبري ج ٨ ص ١٣٤

(٦) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٦٣ (٩) اليعقوبي ج ٣ ص ٤٨

وكان عمر بن الخطاب أول من فرض الارزاق للناس ، اذ فرض لكل مسلم ، رجلاً أو امرأة أو عبداً ، مدى حنطة وقسطى زيت وقسطى خل كل شهر .<sup>(١)</sup> وكانت أرزاق أهل العراق تدفع اليهم أو تقطع عنهم تبعاً للأحوال السياسية . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بالعراق : " ونرى ان ترد المزارع لما جمعت له ، فانما جمعت الارزاق للمسلمين عامة ، فان امر العامة هو افضل للنفع وأعظم للبركة " .<sup>(٢)</sup>

أهتم الخلفاء والولاة بالاقتصاد فى المصروفات حتى يبقى فضل من مال كل ولاية فيحمل إلى حاضرة الخلافة . واتبع الامويون نظام اللامركزية ، فكانت كل ولاية تصرف إيراداتها على مرافقها الخاصة ، ويرسل الباقي إلى بيت المال فى العاصمة . ويذكر الماوردى<sup>(٣)</sup> انه كان على الوالى " اذا فضل من مال الخراج فاضل عن أرزاق جيشه ، حمله إلى الخليفة ليضمه فى بيت المال العام الممد للمصالح العامة " . وامر عمر ابن عبد العزيز عمال العراق بتقسيم فضل مال الفىء بين أهل الحاجة .<sup>(٤)</sup> كما أمر عمر برد امثال بني أمية ، فاستجابوا لامره حتى انه نفذ بيت مال العراق فى سبيل ذلك ، واضطر عمر إلى ان يبحث بالاموال من الشام إلى العراق .<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٦٥  
 (٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٠٦  
 (٣) الاحكام السلطانية ص ٣٠  
 (٤) الطبرى ج ٨ ص ١٣٩  
 (٥) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٢٩

فتح عمر باب التجارة الحرة فى البر والبحر وأعلن : " أما البحر فانا نرى سبيله  
سبيل البر ( الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ، ولتبتغوا من فضله ) .  
فأذن فيه ان يتجر فيه من شاء . وأرى ان لانهول بين أحد من الناس وبينه ، فإن  
البر والبحر لله جميعا سخرهما لعباده ، يبتغون فيهما من فضله ، فكيف نهول بين  
عباد الله وبين معاشهم ؟ " ( ١ )

وعن طريق حرية التجارة ، أقر عمر أسلوا حيويا لتنمية الثروة والدخل القومى ،  
ورفع مستوى المعيشة ، وتهيئة شتى صنوف البضائع بأرخص الاسعار . وعلى الرغم من أن  
عمر الفى المكوس التى يمكن ان تنمو عن طريق حرية التجارة ، إلا ان الدولة كانت تعتمد  
على طريق آخر لجنى ثمار هذه السياسة ، وهو طريق الزكاة ، التى لم يتهاون عمر  
فى جبايتها وتنظيمها وتوزيعها وفق ما أمر الله به ورسوله . ( ٢ )

ألقى عمر المشور عن كافة الفئات من غير المزارعين ، وحدد دافعو الضرائب  
من غير المسلمين بقطاعات ثلاث : المزارعين ، والصناع ، وأصحاب الحرب والتجارة ، أما  
المسلمون من التجار والصناع والحرفيين فليس عليهم ان يؤدوا لبيت المال سوى الزكاة ،  
أما المزارعون فعليهم ان يدفعوا — أيضا — الضريبة المشربة ، أو الخراجية ، بنسبة  
( ٣ ) على زمن تملكهم الارض .

( ١ ) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٩٢

( ٢ ) عماد الدين خليل : ملاحم الانقلاب الاسلامى ص ١٣٥

( ٣ ) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٩٨

أوضح عمر سبب سياسته فقال : " أما المكس فانه النجس الذى نهى الله عنه فقال ( ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تمشوا فى الارض مفسدين ) غير انهم كنسوه باسم آخر . . . " (١)

ومنع عمر الولاة والعمال من الاشتغال بالتجارة حتى لا ينافسوا التجار المتفرجين للتجارة ، وحتى لا يستغل الولاة والعمال نفوذهم الادارى فى التحكم فى الاسعار . قال عمر : " لا يحل لحامل تجارة فى سلطانه الذى هو عليه ، فان الامير متى يتجسس ليستأثر ويصيب امورا فيها غنى وان حرص على ألا يفعل . " (٢)

وارتفعت الاسعار فى عهد عمر ارتفاعا كبيرا ، وسأل احدهم عمر عن سر هذا الغلاء فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، ما بال الاسعار غالية فى زمانك ، وكانت فى زمان من كان قبلك رخيصة ؟ فأجاب عمر : ان الذين كانوا قبلى كانوا يكلفون أهل الذمة فوق طاقتهم ، فلم يكسبوا يجدون بدا من ان يبيعوا ويكسبوا ما فى أيديهم . وأنا لا أكلف احدا الا طاقتة ، فباع الرجل كيف شاء . فقال الرجل : لو أنك سمعت . فقال عمر : ليس الينا من ذلك شئ ، انما السمر الى الله . (٣)

---

(١) المصدر السابق ص ٩٩

(٢) المصدر السابق ص ٦٩

(٣) أبو يوسف : الخراج ص ١٤٢

وهكذا عرف عمر بن عبد العزيز نظرية العرض والطلب وهي من أبرز النظريات الاقتصادية ، فقد كان الولاة الامويون ، وخاصة الكخجاج بن يوسف يلقون الكثير من الاعباء على أهل الذمة كما كانوا يأخذون الجزية من أسلم . كما ان عبد الملك بن مروان زاد الجزية على أهل الجزيرة ، وأدى هذا كله الى سوء حالة جانب كبير من سكان العراق فأقبلوا على بيع انتاجهم الزراعي ، والصناعي ، مما أدى الى النشاط التجاري من جهة وانخفاض الاسعار من جهة أخرى فقد زاد العرض على الطلب ولكن عمر راف بأهل الذمة ومنح الجزية عن أسلم وأدى ديون الفارمين وترك السخرة ، وغير ذلك من ضروب التخفيف من اعباء أهل الذمة والمسلمين على السواء ، مما أدى الى شعورهم بالرخاء الاقتصادي ، فقد توفرت في أيديهم الاموال الكثيرة التي كانت تذهب الى بيت المال أو جيوب العمال ، فأقبلوا على التمتع بحصولاتهم الزراعية ومصنوعاتهم دون بيعها ، كما أقبلوا على شراء ما يحتاجون من أنواع التجارة ، فزاد الطلب على العرض . (١)

---

(١) الخربوطلى : تاريخ العراق ص ٣٦٧



#### ٤- نظم الخراج وملكية الاراضي

أراد العرب الفاتحون ان يقسم عمر بن الخطاب أراضى سواد العراق عليهم باعتبارها جزءاً من الغنائم التى حازوها بانتصارهم على جيوش الفرس ، ولكن عـمـر أبى ذلك عليهم وأصر على ترك هذه الارض لأصحابها مقابل دفع الخراج . (١) رغبة منه فى ان يجعل من جنده العرب حامية اسلامية فى هذه البلاد المفتوحة توطد دعائم الحكم الاسلامى وتجمع الخراج والجزية حتى يكونا مورداً ثابتاً لبيت مال المدينة الحاصمة . كما ان العرب لم يكونوا زمن الفتوح قد اعتادوا بعد الفلاحة الارض . كما ان اصحاب الارض سوف تكون عنايتهم بمزراعة ارضهم أعظم مما لو ورع الفاتحون هذه الارض لانشغالهم بالحروب من جهة وعدم درايتهم بأساليب الزراعة من جهة اخرى . (٢) والحقيقة ان سياسة عمر كانت سياسة رشيدة فقد كان توطيد دعائم الدولة الاسلامية وترقيتها مادياً انما يتوقفان على رفاهية طبقة الفلاحين من سكان البلاد الاصليين ، ولـذا كان منع تقسيم الارض يحقق هذه الاغراض . (٣)

استولى العرب الفاتحون على معظم اراضى العراق غنوة . (٤) ولذا كان ممن المفروض ان تصبح جزءاً من غنائم الفتح . (٥) لكن عمر بن الخطاب رفض اعتبار

(١) الطبرى ج٤ ص ١٨٣

(٢) الخربوطلى : تاريخ العراق ص ٣٣٨

(٣) السيد امير على : مختصر تاريخ العرب ص ٥١

(٤) الطبرى ج٤ ص ١٨٥

(٥) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٤

سواد المراق غيمة لجنده ، ورفض تقسيمه بينهم على هذا الاساس <sup>(١)</sup> وأصر جنود المسلمون على تقسيم السواد ، ورأى عمران يستشير كبار المهاجرين والانصار ، <sup>(٢)</sup> ونجح عمر في اقناعهم جميعا برأيه <sup>(٣)</sup>.

وقيت اراضى السواد المفتوحة عنوة في أيدي أصحابها يؤدون عنها الخراج ، رغم أنها جزء لا يتجزأ من في المسلمين <sup>(٤)</sup> وهذه الارض لا تشتري ولا تباع <sup>(٥)</sup> ، واذا اسلم أحد أصحاب هذا النوع من الارض رفعت عنه الجزية ولكن ارضه تظل فيئا للمسلمين <sup>(٦)</sup> ويترك له الحرية في البقاء في ارضه على ان يدفع ما كان يؤديه من خراج ، ويترك له حرية التخلي عن الارض ، فيضيفها الامام الى الارض التي ليس لها ملاك <sup>(٧)</sup> . وكان الخلفاء يكرهون بيع وشراء أرض السواد لان عليها خراج المسلمين <sup>(٨)</sup>.

أما اراضى الفىء التي صولح أهلها عليها والتي فرغ عنها الخراج فكانت نوعين . أولهما ارض صولح أهلها على زوال ملكيتهم لهذه الارض ، ولذا يجوز بيعها ويكون خراجها مقابل ايجار لها ، ولا يسقط الخراج بأسلام أهلها . والنوع الثانى ارض صولح أهلها على بقاء ملكيتهم لها وهذه يجوز لهم بيعها ويسقط خراجها باسلام أهلها <sup>(٩)</sup> . وكانت

(١) ابو يوسف : الخراج ص ٢١ ، ابن آدم : الخراج ج ١ ص ١٣

(٢) ابو يوسف : الخراج ص ١٤

(٣) المصدر السابق

(٤) ابن آدم : الخراج ج ١ ص ٧

(٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٢٥

(٦) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٩٥ (٨) المصدر السابق ج ٢ ص ٤١

(٧) ابن آدم : الخراج ج ٢ ص ٨ (٩) الطوردي : الاحكام السلطانية ص ١٤

الأرض الصلح إذا بيعت لمسلم سقط خراجها • ولذا منع عمر بن عبد العزيز بيعها للمسلمين  
بعد سنة ١٠٠ هـ • أما الأرض التي أسلم أصحابها عليها ، وهم أهل حرب ، فإن  
أرضهم تصبح ملكا لهم •  
(١)

ويرجع السبب في اتخاذ عمر بن عبد العزيز لهذا القرار ، إلى أن أهل العراق  
اهتموا بالزراعة وأصبحوا يفضلون امتلاك الأرض على امتلاك الأموال أو التجارة أو المصانع  
(٢)  
ولذا أقبلوا على شراء الأرض الخراجية حتى ارتفعت أثمانها من جهة ونضبت الموارد  
المالية من جهة أخرى لأن هذه الأرض الخراجية تتحول إلى أرض عشيرة •

لم يرض على الدولة الأموية خمسون سنة حتى أصبحت أخصب أراضي العراق  
في أيدي بني أمية أو خلفائهم أو مواليهم ، واستغلوها بواسطة أهم العراق في  
ظروف صحية غير ملائمة • وأدى إيجاد الخلفاء لهذه الاطعمات الكبيرة التي  
منحوها للمقربين إليهم إلى استخدام أساليب الزراعة البدائية ، مما أدى إلى عدم التوازن  
(٣)  
في الانتاج وتوزيع السكان •  
(٤)

كان الخراج يظل مفروضا على الأرض المفتوحة عنوة حتى بعد اسلام صاحبها  
لأن هذه الأرض في • للمسلمين وملك لهم جميعا ، وما يدفعه صاحبها هو مقابل زراعته

---

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٩٤

(٢) أبو يوسف : الخراج ص ٣٥

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٣ ص ٣٢

(٤) جوزي : من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ص ٤٨

لها<sup>(١)</sup> . فقد توجه رجل الى عمر بن الخطاب ، فقال له : انى قد أسلمت  
فأرفع عن أرضى الخراج . فقال عمر : ان ارضك اخذت غنوة<sup>(٢)</sup> . وكان عمر بن عبد  
المعز يقول : من أسلم من أهل الارض فله ما أسلم عليه من أهل ومال ، فأما داره  
وأرضه فانها كائنة فى فى \* الله عز وجل على المسلمين<sup>(٣)</sup> .

أما الارض التى صولح أهلها على زوال ملكهم عنها فلا يجوز بيعها ، ويعتبر  
خراجها ايجارا ، ولا يسقط الخراج باسلام أهلها ، انما ترفع عنهم الجزية<sup>(٤)</sup> . أما  
الارض التى صولح أهلها على بقاء ملكهم عليها فيجوز بيعها ويسقط خراجها باسلام  
أهلها وتصبح أرضا عشرية<sup>(٥)</sup> .

كان عمر بن الخطاب ينهى عن شراء أرض أهل الذمة ، أما على بن أبى طالب  
فكان يكره أن يشتري المسلمون أرض البخراج ويقول : عليها خراج المسلمين<sup>(٦)</sup> . وكان  
الحجاج الثقفى يقول : ما أبغض الى ان نكثر العرب فى أرض الخراج<sup>(٧)</sup> . ولذا

(١) ابن آدم : الخراج ج ١ ص ٨

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٧٧

(٣) ابن آدم : الخراج ج ٢ ص ٣٣

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٧

(٥) ابن آدم : الخراج ج ١ ص ٧

(٦) المصدر السابق ج ١ ص ٤١

(٧) الطبرى ج ٧ ص ٢٦٥

أعاد الحجاج الخراج على كل أرض أسلم أصحابها أو اشتراها مسلمون مما أدى إلى هرب أصحابها من القرى إلى المدن ، فأعادهم الحجاج إلى أرضهم قسراً .<sup>(١)</sup>

وأمر عمر بن عبد العزيز بإعفاء كل من أسلم من الخراج .<sup>(٢)</sup> ثم لاحظ أن هذه السياسة تضر ببيت المال ، فوضع حلاً وسطاً لتلك المشكلة بأن رفع عن الأرض التي يملكها المسلمون حتى سنة ١٠٠ هـ ، ثم قرر أن شراء المسلمين وأتلاكهم الأرض بعد هذا التاريخ غير جائز ، لأن المسلمين حينما يشترون تلك الأرض تصبح أرضاً عشرية ويسقط عنها الخراج ، وبذلك تقل الموارد المالية .

وتبعاً لهذه السياسة ، كان إذا أسلم رجل من أصحاب تلك الأرض الخراجية فإن ملكيته تزول عن هذه الأرض وتصبح ملكاً مشاعاً للمسلمين . ومادامت الأرض ليست ملكاً لشخص بعينه فكان يؤخذ منها الخراج والعشر معاً : أما الخراج فلأنه في مقابل الإيجار لتلك الأرض ، وأما العشر فلأنه مسلم تجب عليه الزكاة في الزروع والثمار .<sup>(٣)</sup>

ولذا قال عمر بن عبد العزيز : " لا يحل لأحد أن يحول أرض خراج إلى أرض عشر ، ولا أرض عشر إلى أرض خراج ، وذلك إن يكون للرجل أرض عشر وإلى جانبها أرض خراج فيشتريها مع أرضه ، ويؤدى عنها الخراج ، فهذا حد ما لا يحل في الأرض والخراج " .<sup>(٤)</sup>

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفرید ج ٣ ص ٤١٦

(٢) أبو يوسف : الخراج ص ٤٩

(٣) ابن آدم : الخراج ج ١ ص ١٠

(٤) أبو يوسف : الخراج ص ٤٩

وكان في الدولة الإسلامية أراضى تسمى " الموات " التى يملكها كل من احيائها  
وكتب عمر بن عبد العزيز الى ولاته : " من غلب الماء على شىء فهو له " . (١)

وهناك أراضى " الصوائى " وهى " كل ارض ليست فى يد أحد " ، وخاصة  
الارض التى قتل اصحابها وهربوا عنها او اراضى كسرى وأسرته . (٢) واتبع السولاة  
فى عهد الخلفاء الراشدين والامويين واحدة من ثلاث خصال : ان يعمر الوالى هذه  
الارض ويؤدى الى بيت مال المسلمين عنها شيئا فتكون الفضلة له ، أو ان ينفق  
الوالى عليها من بيت مال المسلمين ويستأجر من يقوم بفلاحتها ويكون فضلها للمسلمين  
أو يقطعها رجلا مسلما قادرا . (٣)

وفى عهد عبد الملك بن مروان اشتعلت النيران فى الديوان خلال ثورة  
عبد الرحمن بن الاشعث ضد الحجاج الثقفى فضاح أصل معظم هذه الصوائى ، واستولى  
كل على ما فى يده . (٤) أما البقية الباقية من الصوائى فقد كتب عمر بن عبد العزيز  
حين تولى الخلافة الى واليه بالمراق بشأنها ، فكتب : " انظر ما قبلكم من أرض

---

(١) ابن آدم : الخراج ج٣ ص ٦٣

(٢) المصدر السابق ج١ ص ٨

(٣) ابن آدم : الخراج ج١ ص ٨

(٤) ابو يوسف : الخراج ص ٣٦

الصفانية ، فأعطوه بالمزاعة بالنصف ، وما لم تزرع فأعطوها بالثلث ، فان لم تزرع فأعطوها حتى تبلغ العشر ، فان يزرعها أحد فامنعها ، فان لم يزرع فأنفق عليها من بيت مال المسلمين ولا تبتزن قبلك أرضاً . (١)

أهتم المشتشرقون بنظم عمر بن عبد العزيز في الخراج ، وخاصة ( كريم ) ، و ( مولر ) و ( فان فلوتين ) و ( فلهوزن ) ، وكان الأخير أكثر اهتماماً وتقديراً وقد عقد فصلاً طويلاً ، وناقش نظم عمر مناقشة علمية موضوعية ، هادئة هادفة ، بل تصدى للرد على بعض المستشرقين المتعصبين ، وان كان وقع أيضاً في الخطأ المحذور .

(٢)  
قال فلهوزن : كانت إدارة الامصار في الدولة الاسلامية تتلخص في تنظيم الناحية المالية فيها ، وكان اصلاح هذه الناحية أول ما اتجهت اليه همة عمر بن عبد العزيز . ولكن ليس من السهل ان نتبين بوضوح نوع اصلاحاته في ميدان نظام الخراج ، والاراء التي جاء بها في هذا الشأن ( ألفريد فون كريم ) وتابعه فيها ( أوجست مولر ) مشوبة بأخطاء حقيقية . ويرى كريم ومولر ان الذي دعا

---

(١) ابن آدم : الخراج ج٢ ص ٤٤  
(٢) فلهوزن : الدولة العربية ص ٢٦٣ وما بعدها .

عمر بن عبد العزيز الى اصلاحاته فى نظام الخراج انما هو القصد الى العودة الى النظام القديم ، وان عمر بن الخطاب كان مثاله الذى أراد ان يزيل ضروب الفساد التى استحدثتها خلفاء بنى امية وعالمهم حتى ذلك الحين .

وبعد ان شرح " فلهوزن " نظم عمر بن الخطاب فى الخراج وفى رفضه تقسيم أراضى السواد ، فانه يصف هذا النظام بأنه " نظام بدائى بعض الشئ " وقاصر على الخطوط الرئيسية " ، وانه تطور تطورا لم يحسب عمر حسابه من قبل ، وان اجراءات الحجاج الثقفى اثارت صيحات اجتماعية ، فهى ضربة فى وجه الاسلام .

( ١ )

ثم قال ( فلهوزن ) : وكان عمر بن عبد العزيز بحكم ورعه مضطرا ان يسلك طريقا آخر ، وهو لم يكن من حيث مقصده ، يختلف عن الحجاج اختلافا كبيرا ، ولكنه حاول ان يصل اليه عن طريق لا يتعارض مع الشهور الاسلامى بالحق والعدل ، فحافظ من هذا الوجه على المبدأ القديم الذى يقضى بان المسلم ليس عليه ان يدفع جزية ولا خراجا ، سواء اكان عربيا أو مولى ، ولكى يتفادى النقصر فى دخل بيت المال ، فانه بعد مشاورة علماء المدينة بلا شك ، استنبط من النظم السابقة ان ارض الخراج يجب ان تكون ملكا للمسلمين جميعا اولا ، ثم هى بعد ذلك لاهل القرى الذين تركها لهم المسلمون مقابل خراجها ، بحيث لا يصح ان تقتطع اجزاء منها



وتعتبر بسبب انتقالها الى ايدى المسلمين ملكا خاصا معفى من الخراج • وتبعها  
لذلك أعلن عمر بن عبد العزيز ان بيع اراضى الخراج على العرب والمسلمين غير جائز  
اعتبارا من سنة مائة للهجرة • ولكنه لم يجعل لهذا المنع أثرا رجميا •

ويقول (فلهوزن) <sup>(١)</sup> أيضا : وقد دعت عمر الى تحريم بيع اراضى الخراج  
اعتبارات ترجع الى احوال بيت المال • فهو قد أراد ان يتفادى نفس الخراج الناشئ  
من انتقال ارض الخراج الى ايدى المسلمين وسقوط الخراج عنها لهذا السبب •  
ولكنه بذلك وضع فى نفس الوقت سدا أمام الرغبة فى اقتناء الضياع • محاولا ان يحصى  
دافعى الخراج من الملاك أن تغطى على أرضهم شهوة التملك من جانب السادة  
العرب الذين كان امتلاك الارض أكثر فائدة لهم بحكم انهم لم يكونوا يؤدون عنها  
خراجا •

ويرى (كريمى) و (موللر) <sup>(٢)</sup> ان ذهن عمر بن عبد العزيز كان خاضعا  
لسلطان الدين • مما أبعدته عن الحكمة السياسية • وهو وان نجح فى تقوية الاسلام  
الا انه أفسد نظام الدولة من أساسه • بعد ان أصبحت الدولة دنيوية • وقد انصرف  
عمر عن سياسة أسلافه الخلفاء الواقعية ليحقق مبادئ مثالية استمدتها من القرآن

(١) المرجع السابق ص ٢٩٣

(٢) أنظر كتاب (الدولة العربية) لفلهوزن ص ٢٦٣

والحديث ، وكان عمر متأثراً بحاشيته الدينية ، حتى أنه لم يتبع سياسة العقل ، فكان تفكيره ساذجاً . ويجمع المستشرقان على أن سياسة عمر قد أغرت ببيت المال ، كما يريان أن سياسة عمر في رد المظالم كان مقصورا على أحوال فردية ، وأن أكثر العمال خيانة كانوا يترقبون الفرص لانتهاك الخزانة .

(١) وخير ما نرد به على رأى المستشرقين المجنفين ، ما قال فلمهوزن : أما ما يزعّمه البعض ( مثل موللر ) من أن أموال الدولة في عهد عمر بن عبد العزيز قد تلاشت ، كما يزول الشيء ، بإشارة سحرية ، وأن ما يتحصل من الخراج قد انحط دفعة واحدة ، فأنى لا أريد هنا أن اتعرض للكلام فيما إذا كان ذلك الزعم أكثر من أن يكون نتيجة خطأ ، ولكنه على كل حال زعم لا يمكن أن يكون صحيحا بوجه من الوجوه . وذلك أن المال المالية كانت سيئة في الأيام المضطربة لعهد عبد الملك والحجاج ، أما في عهد عمر فقد عادت إلى حالة الصحة .

ويكفى أن نذكر حقيقة تاريخية ، هي أن خراج السواد في عهد الحجاج (٢) كان أربعين مليون درهم ، بينما أنه في عهد عمر بن عبد العزيز مائة مليون درهم ، مما يؤكد ثمار إصلاحات عمر .

---

(١) الدولة العربية ص ٢٩٦

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣٣٢

ونحن نتوقع دائما منات واجفاف المستشرقين فى دراساتهم للتاريخ  
الاسلامى ، فهم يتبعون فى هذه الدراسات المنهج الملطانى ، ويفسرون تاريخنا  
تفسيرا ماديا ، وهم أيضا يريدون أحيانا تحطيم مثلنا العليا ، وقد واتنا الطيبة ،  
من حرصوا على القيم الانسانية الاسلامية . ولن يستطع المستشرقون فهم التاريخ  
الاسلامى ، كما نفهمه نحن المسلمين ، وقد اعترف فلموزن - كما مر بنا - بصعوبة  
دراسة نظم الخراج فى عهد عمر ، وأنه لم يكن من السهل عليه ان يتبين بوضوح نوعية  
اصلاحات عمر .

---

## المصادر والمراجع

### أولا : المصادر والمراجع العربية

ابن آدم : ( ٢٠٣ هـ ) يحيى بن آدم

- كتاب الخراج ( ليدن ١٨٩٥ ) .

ابن الاثير : ( ٦٣٠ + هـ = ١٢٣٨ م ) على بن أحمد بن أبي الكرم

- الكامل في التاريخ ، ٦ اجزاء ( القاهرة ١٣٠٢ هـ )

- أسد الغابة في معرفة الصحابة ( طبعة المعارف ، القاهرة ١٢٨٦ هـ )

ارنولد : ( تونس )

- الدعوة الى الاسلام ، ترجمة الدكتور حسن ابراهيم وآخرين ( القاهرة ١٩٤٧ )

احمد أمين :

- فجر الاسلام ( القاهرة ١٩٢٨ )

احمد الشرباصى : الدكتور

١٩٥٩

- خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز ( مطبعة دار الشعب بالقاهرة ) .

احمد شفيق :

- الرق في الاسلام ، ترجمة عن التركية أحمد زكى ( الطبعة الاولى ،

القاهرة )

الاصفهانى : ( ٣٥٢ هـ = ٩٦٧ م ) أبو الفج

- كتاب الاغانى ( طبعة ساسى ، القاهرة ١٣٢٣ هـ )

الأوسى : محمود شكرى

- بلوغ الارب فى أحوال العرب ( القاهرة ١٩٢٤ )

أنستاس مارى الكرملى :

- النقود العربية وعلم النميات ( المطبعة المصرية ١٩٣٩ )

بارتولد : ( ف )

- تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة الدكتور حمزة طاهر ( القاهرة ١٩٤٢ )

البفدادى : ( ٤٢٩ هـ = ١٠٣٧ م ) أبو منصور عبد القادر بن طاهر بن محمد

- الفرق بين الفرق ( القاهرة ١٩٤٨ )

بلوكلمان : ( كارل )

- تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه امين فارس ومخير البعلبكي ( بيروت ،

١٩٤٨ )

البلادى : ( ٢٧٩ هـ = ٨٩٢ م ) أحمد بن يحيى بن جابر

- فتوح البلدان ( القاهرة ١٩٠١ )

- أنساب الاشراف ( فلسطين ١٩٣٨ )

البهيقي :

— المحاسن والمساوي \* ( القاهرة ١٩٠٦ )

ترشون : ( ١٠١ م )

— أهل الذمة في الاسلام ، ترجمة الدكتور حسن جشي ( القاهرة ،

الطبعة الثانية ١٩٥٧ ) .

ابن تيمية :

— رسالة الحسبة في الاسلام ( المطبعة الحسينية بالقاهرة ١٣٢٣ هـ ) .

الجاحظ : ( ٢٥٥ هـ = ٨٦٩ م ) أبو عثمان عمرو بن بحر

— كتاب الحيوان ( القاهرة ١٩٠٧ )

— كتاب المحاسن والاینداد ( القاهرة ١٣٢٤ هـ )

— البيان والتبيين ( القاهرة ١٣٣٢ هـ )

— رسائل الجاحظ ١١ ، رسالة \* ( القاهرة ١٤٢٤ هـ ) .

جولد تسيهر : ( اجناس )

— العقيدة والشریعة في الاسلام ، ترجمة على حسن عبد القادر وآخرین

( القاهرة ١٩٤٦ ) .

الجهشياري : ( ٣٣١ هـ ) أبو عبيد الله بن عبدوس

— كتاب الوزراء والكتاب ( القاهرة ١٩٣٨ ) .

ابن الجوزى : ( ٥٩٧ هـ ) أبو الفرج عبد الرحمن على بن الجوزى

— مناقب عمر بن عبد العزيز ( ليزج ١٨٩٩ )

— صفوة الصفوة ( القاهرة ) .

جوزى : ( بندلى )

— من تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام ( القدس ١٩٢٨ )

جورجى زيدان :

— تاريخ التمدن الاسلامى ( القاهرة ١٩٢٤ ) .

ابن حجر الحسقلانى : ( + ٨٥٢ هـ = ١٤٤٩ م ) شهاب الدين بن على

— الاصابة فى تمييز الصحابة ( القاهرة ١٩٢٢ )

ابن حزم : ( + ٤٥٦ هـ = ١٠٦٤ م ) أبو محمد على بن أحمد

— الفصل فى الملل والاهواء والنحل ( القاهرة ١٣١٢ هـ ) .

حسن ابراهيم حسن : الدكتور

— تاريخ الاسلام السياسى ، الجزء الاول ( القاهرة ١٩٢٥ )

الخضرى : محمد

— تاريخ الامم الاسلامية ( القاهرة ، الطبعة الثانية )

— اعوام الوفاء فى سيرة الخلفاء ( القاهرة )

ابن خلدون : ( + ٨٠٨ هـ = ١٤٠٥ - ١٤٠٦ م ) عبد الرحمن بن محمد

— مقدمة ابن خلدون ( القاهرة )

— المبرود يوان المبتدأ والخبر ٧ أجزاء ( القاهرة ١٢٨٤ هـ )

ابن ظلكان : ( + ٦٨١ هـ = ١٢٨١ م ) شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم

ابن أبي بكر الشافعي .

— وفيات الأعيان ( القاهرة ١٩٤٨ )

الدمشقي : أبو الفضل

— الإشارة إلى محاسن التجارة ( القاهرة ١٣١٨ هـ )

الديميـرى : كمال الدين

— حياة الحيوان ٤ أجزاء ، ( المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٢٧٤ هـ ) .

دوزى : ( ر . ب . أ )

— نظرات في الاسلام ، ترجمة كامل كيلاني ( القاهرة ١٩٣٣ ) .

الدينـورى : ( + ٢٧٢ هـ = ٨٩٥ م ) أحمد بن داود أبو حنيفة

— الاخبار الطوال ( ليدن ١٨٨٨ )

ديمومبيـن : ( موريـس غودفروا )

— النظم الاسالـمية ، ترجمة صالح الشماـع وفيصل السامر ( بغداد ١٩٥٢ )



الروحى : محمد بن أبى السرور بن عبد الرحمن

— بلغة الظرفاء فى ذكرى تواريخ الخلفاء ( القاهرة ١٩٠٩ )

ابن سعد : ( ٢٣٠ هـ ) أبو عبد الله بن سعد كاتب الواقدي

— الطبقات الكبرى (لیدن ١٣٢٢ هـ )

سيد امير على :

— مختصر تاريخ العرب والتقدم الاسلامى ، ترجمة رياض رافت ( القاهرة ،  
١٩٣٨ )

السيوطى : ( + ٩١١ هـ = ٦٠٥ م ) عبد الرحمن بن أبى بكر جمال الدين

— تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الامة ( القاهرة ١٣٥١ هـ )

الشهرستانى : ( + ٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م ) أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم

— الملل والنحل ( القاهرة ١٩٤٨ )

شوقي ضيف : الدكتور

— التطور والتجديد فى الشعر الاموى ( القاهرة ١٩٥٢ )

صالح أحمد العلى : الدكتور

— التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة فى القرن الاول الهجرى

( بغداد ١٩٥٣ )

أبن الصباغ : ( ٨٥٥ هـ )

— الفصول المهمة فى معرفة أحوال الأئمة ( النجف ١٩٥٠ ) .

ابن طباطبا : ( ٧٠١ هـ ) محمد بن على بن طباطبا المصروف بابن الطقطقى

— الفخرى فى الاداب السلطانية والدول الاسلامية ( القاهرة ١٣٤٠ هـ )

الطبرى : ( ٢١٠+ هـ = ٩٢٢ م ) أبو جعفر محمد بن جرير

— تاريخ الامم والملوك ( المطبعة الحسينية ، القاهرة ) .

أبو عبيد :

— الاموال ( القاهرة )

ابن عبد الحكم : ( ٢١٤ هـ ) أبو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم

— سيرة سيدنا عمر بن عبد العزيز ( المطبعة الرحمانية ، القاهرة ١٩٢٧ )

ابن عبد ربه : المقد الفريد ( القاهرة ١٩٤٨ )

عبد الرزاق حميد :

— سيف بنى مروان الحجاج الثقفى ( القاهرة ١٩٤٧ )

ابن العرى : ( ٥٤٣ هـ ) القاضى أبو بكر بن العرى

— المواصم من القواصم ( القاهرة ١٣٧١ هـ )

عبدالعزیز الدروی : الدكتور

— مقدمة فی تاریخ صدر الاسلام ( بغداد ١٩٤٩ )

— تاریخ المراق الاقتصادي فی القرن الرابع الهجري ( بغداد ١٩٤٨ )

عبدالمزیز سيد الاهل :

— الخليفة الزاهد عمر بن عبدالمزیز ( طبعة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية

بالقاهرة )

ابن عساكر : ( ٥٧١ هـ ) أبو القاسم علی بن الحسين

— تهذيب التاريخ الكبير ( دمشق ١٣٣٢ هـ )

عماد الدين خليل : الدكتور

— ملاحم الانقلاب الاسلامي فی خلافة عمر بن عبدالمزیز ( بيروت ١٩٧٠ )

العمري : ( ٧٤٩ هـ ) ابن فضل الله العمري

— مسالك الابصار فی الممالك والامصار ( القاهرة ١٩٢٤ ) .

فان فلوطن : ( ج )

— السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات فی عهد بنی أمية ، ترجمة

دكتور حسن ابراهيم وآخر ( القاهرة ١٩٣٤ )

ابو الفدا : ( ٧٣٢ هـ = ١٣٣١ م ) اسماعيل بن علی عماد الدين

— المختصر فی اخبار البشر ( المطبعة الحسينية بالقاهرة ) .

فيليب حتى : الدكتور

— تاريخ العرب ( بيروت ١٩٥٠ )

فلم—وزن : ( يوليوس )

— الدولة العربية ، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ردة ( القاهرة

( ١٩٥٨ )

ابن قتيبة : ( ٢٧٦ هـ = ٨٨٩ م ) أبو محمد عبد الله بن مسلم .

— الامامة والسياسة ( القاهرة ١٣٢٥ هـ )

— المعارف ( القاهرة ١٩٣٥ ) .

— عيون الاخبار ( القاهرة ١٩٢٥ )

القلقشندي : ( ٨٢١ هـ = ١٤١٨ م ) أبو العباس أحمد

— صبح الاعشى فى صناعة الانشا ( المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩٩٤ )

ابن كثير : ( ٧٧٤ هـ ) عماد الدين أبو الفدا اسماعيل الدمشقي

— البداية والنهاية ( مطبعة السعادة بالقاهرة ) .

كرد على :

— الاسلام والحضارة العربية ( القاهرة ١٩٣٦ ) .

كريم—ر : ( فون )

— الحضارة الاسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الاجنبية ، ترجمة الدكتور /

طه بدر ( القاهرة )

الكندى : ( + ٣٥٠ هـ = ٩٦٦ م ) أبو عمر محمد بن يوسف

- كتاب الولاية وكتاب القضاة ، ( بيروت ١٩٠٨ ) .

لويون : ( جوستاف )

- حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ( القاهرة ١٩٤٨ )

الماوردي : ( + ٤٥٠ هـ = ١٠٥٧ م ) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب

البغدادى البصرى .

- الاحكام السلطانية ( القاهرة ١٢٩٨ هـ )

البيرد : ( ٢٨٥ هـ ) أبو العباس محمد بن يزيد

- الكامل ( القاهرة ١٩٢٣ ) .

محمد جمال الدين سرور : الدكتور

- الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية ( دار الفكر العربى بالقاهرة )

المحمودى : ( + ٣٤٦ هـ = ٩٥٦ م ) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي

- مرجع الذهب ومعادن الجوهر ( القاهرة )

- التنبيه والاشراف ( القاهرة ١٩٣٨ ) .

المقريزى : ( ٨٤٥+ هـ = ١٤٤١ م ) تقى الدين احمد بن على  
- النزاع والتخضم فيما بين بنى امية وبنى هاشم ( القاهرة ١٩٢٧ )

ابن النديم : ( ٣٨٣+ هـ = ٩٩٣ م ) محمد بن اسحاق النديم البغدادى  
- الفهرست ، جزآن ( القاهرة ١٣٤٨ هـ ) .

النسوى : أبو الحسن على  
- رجال الفكر والدعوة فى الاسلام ( دمشق ١٩٦٥ )

النويرى :  
- نهاية الارب فى فنون الادب ( القاهرة ١٩٣١ ) .

ياقوت : ( ٦٢٦+ هـ = ١٢٢٩ م ) شهاب الدين أبو عبد الله الحموى .  
- معجم البلدان ( القاهرة ١٩٠٦ )

اليقوى : ( ٢٨٢ هـ = ٨٩٥ م ) أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن دهب بن  
واضح .

- تاريخ اليقوى ( النجف ١٣٥٨ هـ ) .  
أبو يوسف ( ١٩٢+ هـ = ٨٠٧ = ٨٠٨ م ) يعقوب بن ابراهيم  
- كتاب الخراج ( القاهرة ١٣٠٢ هـ ) .

---

ثانيا : المراجع الافرنجية

Gibb and Kramers:

- Shorter Encyclopaedia of Islam (Leiden 1953).

Hell: (Joseph):

- The Arab Civilization (Lahore 1943).

Irving: (Washington)

- A History of the Lives of the Successors of Mohammed, (Paris 1850).

Khuda Bushcsh: (S).

- Contributions to the History of Islam, 2 Vols. (Calcutta 1930).

Kremer: (Alfred Von).

- The Orient Under the Caliphs, Translated by Khuda Bushcsh, (Calcutta 1920).

Lammens: (H.).

- Etudes Sur le Regne du Calife Omayyade Moawia lèr (Beyrouth 1926).
- Etudes Sur le Sieck des Omayyads (Beyrouth 1936).

Lane-Poole: (Stanly).

- The Muhammadan Dynastus, (Paris 1925).

Mawlana Muhamad Ali :

- Early Caliphate, (Lahore, India 1932).

Muir: (William Temple).

- The Caliphate, Its Rise, Decline and Fall, (Edinburgh 1924).

Nicholson: (A. Raynold).

- A Literary History of the Arabs, (London 1923).

Ockly: (Simon).

- The History of the Saracens, (London 1847).

Perier: (Jean).

- Vie d'Al Hadjadi ibn Yousef, (Paris 1904).

Shedd: (William).

- Islam and the Oriental Churches (Philadelphia 1930).

Sykes: (Perey).

- A History of Persia (London 1921).

---

ورجمنا الى مراجع افرنجية مترجمة الى اللغة العربية بيانها في قائمة المراجع العربية